A-PDF Image To PDF Demo. Purchase from www.A-PDF.com to remove the watermark

جامعة دمشق

كلية الآداب والعلوم الإنسانية

قسم التاريخ

الحملات الفرنجية (الصليبية) ضد شمال إفريقية
(668 – 793 هـ / 1270 – 1390 م)

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في تاريخ العرب والإسلام

إشراف الدكتورة:

فايزة محمد كلاس

إعداد الطالبة:

منى أحمد فاخر النائب

1433هـ/2012م

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

حصرياً لجروب وصفحة
تاريخ وآثار دولة المماليك .. رفع /أحمد عبد الفتاح حسين
https://www.facebook.com/groups/mamlikhistory21/?ref=bookmarks

جامعة دمشق

كلية الآداب والعلوم الإنسانية

قسم التاريخ

الحملات الفرنجية (الصليبية) ضد شمال إفريقية
(668 – 793 هـ / 1270 – 1390 م)

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في تاريخ العرب والإسلام

إشراف الدكتورة:

فايزة محمد كلاس

إعداد الطالبة:

منى أحمد فاخر النائب

1433هـ/2012م

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المحتويات

. مقدّمة.....9.6

. دراسة نقدية لأهم المصادروالمراجع..... .....10. 13

. تمهيد.....50.14

ـــــ الفصـــــل الأول: حملـــة لـــويس التاســـع علـــى تونـــس (668هـــ/ 1270م).....105-51

1. دوافع الحملة وأسباب تحولها إلى تونس.....62-57

الأسباب السياسية 61-57

الأسباب الاقتصادية والإستراتيجية..... 66-62

الأسباب الدينية.....69-66

الأسباب الشخصية 72-69

2. الاستعداد للحملة ومسيرها إلى تونس.....82-73

3. حصار تونس ورد الفعل التونسي 91-83

4. وفاة لويس 95-92

5. عقد الصلح وانسحاب الحملة.....105-96

ـــ الفصـل الثـاني: الحمـلات الفرنجيـة فـي شـمال إفريقيـة حتـى نهايـة القـرن (7هـ / 13م)..... **105-96**

1. محاولة احتلال قسنطينة (681هـ /1282م).....118-113

2. احتلال جربة (688هـ/1289م) ومهاجمة المهدية..... 121-119

3. حركة ابن أبي دبوس (688هـ/1289م).....124-122

4. نشاط حركة التنصير والتبشير في شمال إفريقية.....134-125

ـــــ الفصـــل الثالـــث: الحمـــلات الفرنجيـــة فـــي شمـــال إفريقيـــة حتـــى نهايـــة القرن(8هـ/14م).....171-136

1. غارات قراصنة أراغونة وصقلية على شمال إفريقية.....147-144

2. تحرير جربة سنة (738 هـ/1337م).....149-148

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

3. هجوم الجنويين على طرابلس (755هـ /1354م).....150-155
4. حملة جنوى على جربة سنة (790هـ/ 1388م).....156-159
5. حملة لويس البوربوني على المهدية (793هـ/1390م):.....160-171
الإعداد للحملة..... 160-165
نزول الفرنجة المهدية والمواجهة الإسلامية لها.....166-171
نهاية الحملة وعقد الصلح.....172-177
- الخاتمة.....178-179
- الملاحق.....181-188
- قائمة المصادر والمراجع.....189-202

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مقدّمة:

شهد العالم منذ أقدم العصوروحتى اليوم العديد من الأحداث المهمة والخطيرة، التي اهتز لها كيانه وتركت بصماتها على سير مجرى الأحداث، ولعل أهمها حروب الفرنجة، التي اقتطعت من تاريخ البشرية ثلاثة قرون من الزمان هي (القرون السادس والسابع والثامن الهجري/ الثاني عشر والثالث عشر والرابع عشر الميلادي)، والتي تمثل الحقبة الوسيطة من التاريخ الوسيط، والأمر المهم أن هذه الحروب تركت آثارها على المسرح الدولي ليس حتى نهاية العصر الوسيط فحسب، بل امتدت لتؤثر على سير الأحداث في التاريخ الحديث والمعاصر.

وحروب الفرنجة لها مكانة فريدة في تاريخ البشرية، كما أنها تشكل تجربة فريدة في تاريخ العروبة والإسلام على حد سواء في مشرقها ومغربها، هذه التجربة ليست من التجارب العابرة. وإنما تجربة مليئة بالدروس والعظات ينبغي أن نتأملها ونبحثها لنستفيد من أخطاء الماضي ونتجنبها، ونواجه تحديات الحاضر ونتغلب عليها، ونتيجة لأهميتها ومكانتها فقد شغلت الباحثين منذ زمن بعيد، حيث جرت العادة بين المؤرخين على تحديد الإطار الزمني للحروب الفرنجية بالفترة الممتدة بين (488 – 690 هـ / 1095 – 1291 م)، ولكن هذه النظرية أخذت تهتز لأن جذور هذه الحركة تمتد إلى ما بعد عام (690 هـ / 1291م)، فالتحديد الزمني للحروب الفرنجية يجعل التاريخ الفرنجي مبتوراً أو فاقداً لحلقاتٍ كثيرةً من سلسلته، وحروب الفرنجة في شمال إفريقية تعد إحدى هذه الحلقات المفقودة، حيث ظل الحديث عنها غير واضح ومغيب إلى عهد قريب، مما أثار لديَّ الرغبة في البحث عن الحملات الفرنجية التي وجهت ضد شمال إفريقية، لما يتمتع به هذا الموقع من أهمية إستراتيجية بين القوى الدولية المعروفة آنذاك، وتتمثل أهمية هذا الموقع الإستراتيجي بشكل عام والجغرافيّة بشكل خاص لشمال إفريقية ككل في تميز دوره على طريق التجارة الدولية، وكونه صلة الوصل بين جنوب أوربا من جهة وأفريقية بشكل عام من جهة أخرى، كما يعد شمال إفريقية النافذة الأولى للقارة على البحر المتوسط، هذا البحر الذي يتمتع هو الآخر بأهمية إستراتيجية انعكست على طبيعة الأحداث فيها.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ونتيجة لأهمية شمال إفريقية كانت إحدى ساحات الصراع الإسلامي الفرنجي، حيث نشطت فيها قوى العدوان الفرنجي لعدة قرون، تمثل ذلك في حملات عديدة وجهت إليها الواحدة تلو الأخرى مستغلين . أي الفرنجة. التمزق والتفرقة اللذين أصابا الجناح الغربي من العالم الإسلامي، وهوالسبب نفسه الذي جر البلاء الفرنجي على المشرق العربي، مما أدى إلى انطلاق القوى الفرنجية تضرب المسلمين في الجناح الغربي، في ثلاث جبهات في الأندلس، وصقلية، وشمال إفريقية التي هي موضوع بحثنا .

ومما دفعني لاختيار شمال إفريقية كإحدى ساحات الصراع الإسلامي الفرنجي هو ندرة البحوث العلمية التي تتناول الحديث عن الحملات الفرنجية في شمال إفريقية، وخاصة بين عامي (668 – 792 هـ/ 1270–1390م)، فما كتب عن هذه الحملات من خلال المصادر والمراجع يلقي ضوءاً على حملات حدثت في القرنين (6 – 7 هـ / 12 – 13 م)، وأهمها (حملة لويس التاسع على تونس 668 هـ / 1270 م)، ولكن الحملات التي حدثت في القرن (8 هـ / 14 م)، فالمصادر لم تتصدَ للحديث عنها بشكل واضح، وخاصة فيما يتعلق بحملة (لويس البوربوني على المهدية 793هـ /1390م) ونتيجة لذلك فالأمر يتطلب ملئ الفراغ العلمي التاريخي في سلسلة حروب الفرنجة.

والحملات الفرنجية ضد شمال إفريقية لا تقل أهمية عن حروب الفرنجة، التي حدثت في المشرق، وإن لم تحظ باهتمام الباحثين قياساً بالاهتمام الذي حظيت به حروب الفرنجة في المشرق، لذلك من الأجدر التوجه نحو دراسة حروب الفرنجة في شمال إفريقية، وتحديد أسبابها ومراحلها ثم نتائجها، كما تعود أهمية هذه المرحلة لأهمية أحداثها، ففي الوقت الذي عد المؤرخون حروب الفرنجة قد انتهت في المشرق، استمرت أحداثها الفاشلة إلى حوالي قرنين من الزمن في شمال إفريقية، وبعد المحاولات الفاشلة التي قام بها قادة حملات الفرنجة لاختراق العالم العربي الإسلامي من الشرق والوصول إلى قلب المقاومة العربية في مصر، جاءت الحملات الفرنجية ضد شمال إفريقية كمحاولة لتطويق العالم الإسلامي والوصول إلى مصر، ولكن هذه المرة من جهة الغرب أي من شمال إفريقية ولاستكمال حروب الاسترداد في الأندلس .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والأمر الآخر الجدير بالاهتمام هو أنه منذ فشلت حملة لويس التاسع على تونس بدأت القوى الفرنجية تتخذ منحى آخر للسيطرة على الشمال الإفريقي، وهو التنصير والتبشير بالمسيحية حيث اتجهت جهود القوى الفرنجية لتنصير مسلمي إفريقية ، كمحاولات رومان لول الذي تولى مهمة التبشير في شمال إفريقية منذ عام (690 هـ / 1292 م)، فالتنصير والتبشير بالمسيحية هو أحد أوجه الحروب الفرنجية بطريقة سلمية .

أما عن الصعوبات التي واجهتني أثناء مسيرة البحث عدة أهمها: الاختصار في المعلومة التي تتحدث عن أحداث الحملات، بشكل خاص الحملات التي تلت حملة لويس التاسع على تونس (669هـ / 1270 م) والتي أخذت النصيب الأكبر في مصادر التاريخ، أما باقي الحملات فالحديث لا يعطي صورة واضحة عنها، مما سبب فقر في المعلومة التاريخية، ومما اضطرني للاعتماد على المراجع التي تتحدث عنها، وإن كانت هي الأخرى فقيرة بالمادة العلمية.

لقد قمت بتقسيم البحث إلى ثلاث فصول ومقدمة وتمهيد وخاتمة له:

أما التمهيد فقد حاولت فه إلقاء الضوء على الحملات التي سبقت حملة لويس على تونس(668هـ / 1270م)، أي الحملات التي امتدت (منذ نهاية القرن الخامس، وإلى منتصف القرن السادس الهجريين) وقد شمل ذلك احتلال صقلية، ثم شمال إفريقية، ثم تحرير الشمال الإفريقي.

أما الفصل الأول: تحدثت فيه عن حملة لويس التاسع على تونس (668هـ / 1270م)، حيث بدأت بإلقاء الضوء على وضع المنطقة قبيل الحملة، وما صاحبها من أحداث كانت هي أحد أسباب الحملة، ومن ثم عرضت الأسباب التي أدت إلى قيام لويس بحملته على تونس وقسمتها إلى أسباب سياسية، وأسباب اقتصادية، وإستراتيجية، وأسباب دينية، وأسباب شخصية، ثم انتقلت للحديث عن الاستعداد للحملة ومسيرها إلى تونس وما صاحب ذلك من تحضيرات، ثم كانت انطلاقة الحملة ووصولها إلى تونس ورد الفعل التونسي على ذلك، وقيامهم بالمقاومة، ثم انتقلت للحديث عن مرض لويس ووفاته ومن ثم عقد الصلح ونهاية الحملة.

أما الفصل الثاني: فقد بدأت بتمهيد تحدثت فيه عن شمال إفريقية حتى نهاية القرن (7هـ/13م)، ثم انتقلت للحديث عن محاولة احتلال قسنطينة (681هـ /

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

1282م)، ثم احتلال جربة ومهاجمة المهدية (688 هـ/1289م)، كذلك حركة ابن أبي دبوس (688هـ/1289م)، وأخيراً عن الأسلوب الجديد الذي اتبعته الحركة الفرنجية وهو نشاط حركة التنصير والتبشير في شمال إفريقية.

أما الفصل الثالث: فقد علقت على وضع شمال إفريقية حتى نهاية القرن (8هـ /14م)، ثم انتقلت للحديث عن غارات قراصنة أرغونة وصقلية على إفريقية، ثم تحرير جربة (738 هـ/1337م)، ثم هجوم جنوى على طرابلس (755هـ / 1354م)، كذلك حملة جنوى على جربة (790هـ / 1388م)، ثم حملة لويس البوربوني على المهدية (793هـ / 1390م)، ودخلت في تفصيلات الحملة بدءاً من الإعداد للحملة ومسيرها، مروراً بمواجهة المسلمين لها، وانتهاء بنهاية الحملة وعقد الصلح.

أما منهج البحث فبعد جمع المادة العلمية من مختلف المصادر والمراجع العربية، والأجنبية، والموسوعات، كان قائماً على التحليل العلمي النقدي، والمقارنة بين المعلومات التاريخية، بغية الوصول إلى الحقائق التاريخية المتعلقة بموضوع البحث، وتأتي أهمية الطريقة النقدية في أن المرحلة التي يتناولها البحث حاسمة في تاريخ شمال إفريقية، فلن يتم المرور على الأحداث دون نقد علمي تاريخي، وبما أن البحث يتضمن الحديث عن مجريات حملات، فالاعتماد على الطريقة الوصفية لتشخيص أحداث هذه الحملات وتتبع طور مجرياتها، هي الطريقة المثلى، بالإضافة إلى ذلك فالبحث سيتضمن ترجمة للشخصيات التاريخية التي سيرد ذكرها، والتعريف بالمواقع الجغرافية، مع بعض المصورات الجغرافية التي توضح جغرافيات ومواقع مهمة في البحث.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

دراسة نقدية لأهم المصادر والمراجع:

أما عن المصادر التي لها صلة مباشرة في البحث فهي:

1. ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، لعبد الرحمن ابن خلدون: يقع الكتاب في سبعة أجزاء، وما يهم البحث خاصة، هما الجزأين السادس والسابع، وتأتي أهمية الكتاب من كون صاحبه معاصراً للأحداث التاريخية التي تعرّض لها البحث، فتاريخه يعتبر من أهم مصادر التاريخ المغربي، حيث تحدث عن الشمال الإفريقي في تلك الحقبة، كما تناول الحديث عن الحملات دون أن يغفل أي منها .
2. الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس علي بن محمد بن أبي الزرع: والكتاب يتناول تاريخ المغرب الأقصى من سنة (145هـ إلى سنة 726هـ)، وتكمن أهميته كونه يورد أخباراً مهمة عن حملة لويس على تونس.
3. عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية لأبي العباس الغبريني: يحوي هذا الكتاب ترجمة العديد من المغاربة الذين لهم صلة بأحداث الحملات وخاصة حملة لويس التاسع على تونس سنة (668 هـ / 1270م).
4. الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لابن حجر العسقلاني: وقد قدم ترجمات لأعيان بالمغرب تحوي معلومات تاريخية قيمة خاصة بالبحث، وتحديداً فيما يتعلق بهجوم جنوى على طرابلس (755هـ/1354م).
5. الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية لابن قنفذ القسنطيني: يعطي لمحة عن قيام الموحدين وملوكهم الأولين إلى محمد الناصر، ثم يقدم المؤلف أخبار هذه الدولة في حوليات تنتهي سنة (806هـ)، وسمي بالفارسية نسبة إلى أبي فارس عبد العزيزالسلطان الحفصي.
6. السلوك في معرفة دول الملوك للمقريزي: وموضوعه تاريخ الأيوبيين والمماليك، وما يهمنا أنه ترد به إشارات لأحداث تاريخية، وخاصة حملة لويس التاسع على تونس سنة (668هـ / 1270م).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

7. الحلل السندسية في الأخبار التونسية للوزير السراج: وتأتي أهمية الكتاب في احتوائه على دراسة تاريخية للحملات الفرنجية مع الحديث عن السلاطين الحفصيين الذين شهدوا معظم هذه الحملات.
8. نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار محمود بن سعيد مقديش: وأهميته في مادتنا، أنه يورد معلومات عن أخبار شمال إفريقية، ويتحدث عن الحملات الفرنجية منذ القرن (الخامس الهجري / الثاني عشر الميلادي)، حتى يصل إلى حملة لويس البوربوني على المهدية سنة (790هـ/ 1388م).
9. المؤنس في أخبار إفريقية والمغرب محمد بن أبي القاسم الرعيني القيرواني ابن أبي دينار: يقدم في كتابه تعريفاً بتونس وإفريقية، ثم يتحدث عن الدول التي حكمتها من الصنهاجية حتى الحفصية، كما يورد إشارات واضحة عن الحملات التي شهدتها المنطقة.
10. التذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من أخبار، أبو عبد الله محمد بن خليل بن عبد الرحمن ابن غلبون: حيث يمكن من خلاله الاطلاع على أوضاع طرابلس في تلك الحقبة، وخاصة ما يخص الحملات التي قصدت طرابلس.
11. المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب أحمد بك النائب الأنصاري: وتأتي أهميته كونه يحوي معلومات مهمة عن أوضاع طرابلس والحملات التي قصدتها.
12. إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان، أحمد ابن أبي الضياف: وتأتي أهميته من احتوائه معلومات هامة عن تاريخ تونس، والحملات الفرنجية التي شهدتها المنطقة .
13. الأدلة البيانية النورانية في مفاخر الدولة الحفصية، أبو عبد الله محمد بن أحمد ابن الشماع: ويحوي معلومات قيمة عن تاريخ المنطقة والحملات الفرنجية التي شهدتها.
14. المختصر في أخبار البشر لإسماعيل بن علي بن محمود: والكتاب يتناول التاريخ القديم والإسلامي إلى آخر حياة المؤلف سنة (729هـ)، وأهميته في مادتنا أنه يورد معلومات عن أخبار المغرب وينفرد في ذكر الحملات.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

15. تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب أبي محمد عبد الله الترجمان: وتكمن أهميته من كون المؤلف شاهد عيان على أحداث حملة لويس البوربوني على المهدية سنة (790هـ/ 1388م).

أما عن المصادر التي لها صلة غير مباشرة في البحث فهي:

1. رحلة التجاني لأبي عبد الله بن محمد بن أحمد التونسي: وكانت منطقة رحلته هي البلاد التونسية والليبية بين عامي (706- 708هـ)، حيث يصف المؤلف المدن والقرى التي يمر بها، وخلال ذلك يستطرد بعض الأخبار عن الحياة الأدبية والوقائع التاريخية بالمغرب.
2. المعجب في تلخيص أوضاع المغرب لعبد الواحد المراكشي: ويقع الكتاب في جزء واحد حيث يتناول الحديث عن دولة الموحدين التي نشأ في كنفها وهوكتاب ذو قيمة تاريخية ولا سيما في ما يتعلق بدولة الموحدين التي حررت على يدها المهدية في سنة الأخماس.
3. البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب لأبو العباس أحمد بن عذارى المراكشي: وهو تاريخ عام للمغرب والأندلس منذ الفتح العربي حتى بداية عصر بني مرين، وهو كتاب ذو قيمة تاريخية وخاصة الجزء المتعلق بالحديث عن دولة الموحدين، وهي الدولة التي قامت بتحرير المهدية في سنة الأخماس.
4. الكامل في التاريخ لابن الأثير: وهو من قطاع التاريخ العام بدأه من فجر التاريخ، وحاول أن يكون جامعاً لأخبار المشرق والمغرب، وقد ألقى في كتابه ضوءاً على أخبار الحملات في القرن (الخامس والسادس الهجريين / الثاني عشروالثالث عشر الميلاديين).
5. معجم البلدان لياقوت الحموي: الذي جمع فيه بين التاريخ والجغرافية والأدب وقد عرج على ذكر بعض الأحداث التاريخية في القرن (السادس الهجري/ الثالث عشر الميلادي) في معرض حديثه عن بعض المدن.
6. الروض المعطار في خبر الأقطار لابن عبد المنعم الحميري: وتكمن أهمية الكتاب في التعريف ببعض المواقع والأصقاع المشهورة بالمغرب، مع بعض الوقائع التاريخية التي تتعلق بموضوع البحث.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما عن المراجع التي لها صلة مباشرة في البحث فهي:

1. الحروب الصليبية في شمال إفريقية لممدوح حسين والذي يعد من أهم المراجع بسبب صلته المباشرة بالبحث.
2. المسلمون في جزيرة صقلية وجنوب إيطالية وحرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا 1492.1792، أحمد توفيق المدني.
3. تاريخ صقلية الإسلامية لأحمد عزيز.
4. تاريخ الفتح العربي في ليبيا أحمد الطاهر الزاوي.
5. حكاية مدينة خليفة محمد التليسي.
6. إقليم طرابلس الغرب في القرن الثامن الهجري محمد أنولجي غميض الزايدي
7. تاريخ المغرب وحضارته، حسين مؤنس.
8. تاريخ إفريقية الشمالية، شارل اندريه جوليان.
9. مدينة تونس في العهد الحفصي عبد العزيز الدولاتلي.
10. تاريخ الحروب المقدسة في المشرق والمغرب مكسيموس مونرود.
11. الحروب الصليبية و الأخبار السنية في الحروب الصليبية سيد علي الحريري.
12. الحركة الصليبية و أضواء جديدة على الحركة الصليبية سعيد عبد الفتاح عاشور.
13. السلطنة الحفصية و الحروب الصليبية في المشرق والمغرب محمد العروسي المطوي.
14. تاريخ أفريقيا في العهد الحفصي روبار برنشفيك
15. الصليبيون في شمال إفريقية سامية عامر.
16. حملة لويس التاسع الصليبية مصطفى محمد حسن الكناني.
17. الحروب الصليبية وموسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة العربية أحمد شلبي.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تمهيد:

قبل الحديث عن الحملات الفرنجية التي شغلت ساحة شمال إفريقيا بين عامي (793.668هـ / 1270. 1390م)، وجدت من الضرورة إلقاء الضوء على الحملات التي سبقتها في المنطقة حتى سنة (555هـ / 1160م) وذلك مراعاة للتسلسل التاريخي، وتجنباً لحدوث فجوة تاريخية، وهذا بالتالي يستوجب بداية التعرف على أوضاع تلك المنطقة عند قدوم هذه الحملات، وخاصة بنو زيري ولاة شمال إفريقيا في تلك الآونة، فكانت هذه الأوضاع هي الباعث والمحرض للنورمان للقدوم إلى شمال إفريقيا، فمن هم بنو زيري؟ وكيف انفصل الشمال الإفريقي عن الخلافة الفاطمية ؟ و ما أثر الهجرات الهلالية ـ التي كانت رد فعل على الانفصال ـ على أحداث تلك المنطقة ؟

يعد بنو زيري بطناً من بطون صنهاجة، و صنهاجة بطن من البرانس بن بربر، وهم ولاة الفاطميين بشمال إفريقيا بعد رحيلهم إلى مصر[1]. "فالمعز لدين الله الفاطمي" (341. 365هـ/953.975م) عندما عزم الرحيل إلى "مصر" اختار"بلكين بن زيري بن مناد"، الذي يعد أحد زعماء صنهاجة وعرض عليه الولاية فقبلها[2]، ولكي يضمن المعز لدين الله عدم استقلال شمال إفريقيا عن الفاطميين، فقد رحب بالتباعد بين صنهاجة وزناته[3]، وقسم البلاد إلى عدة قوى سياسية إضافة إلى ولاية بلكين بن زيري[4]. إن ما فعله المعز في شمال إفريقيا له آثار سلبية، فقد رسخ

---

1. (القلقشندي، أبي العباس أحمد بن علي): نهاية الأرب في معرفة أحوال العرب، تح: إبراهيم الابياري، ط 1، الشركة العربية للطباعة والنشر، القاهرة، (1959م)، ص 280 و 317.
2. (ابن خلدون، عبد الرحمن): ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، (1391هـ/1971 م)، ج 6، ص155.
3. (زناته): وهي قبيلة بربرية استقرت في سهول المغرب منذ القرن الثاني والثالث الهجريين، وامتزجوا في القرن الرابع الهجري مع العرب من بني هلال وبني سليم. (الكعاك، عثمان): البربر، ط1، كتاب البعث(الكتاب الخامس)، فيفري،(1956م)، ص 86.
4. (طقوش، محمد سهيل): تاريخ الفاطميين في شمالي إفريقيا ومصر و بلاد الشام، ط1، دار النفائس، بيروت، (1422 هـ / 2001 م)،ص 216.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بذلك التمزق بين القبائل وعـــزز الخلافات بينـــها، مما يجعلها عرضــة لهجمات النورمان في العقود اللاحقة. وما إن استلم بلكين الحكم حتى تفجرت الثورات ضده، وكان على رأسها ثورة بني خزرون الـزناتيين، فما كان منه إلا محاربتهم إلى أن توفّى (372هـ/983م)[1]، ثم بويع ابنه منصور بن بلكين (386.372هـ/995.983م)، وقد تابع سياسة أبيه في قمع الثورات التي كانت تثيرها قبيلة زناته، وقد استعان منصور (379هـ/989م) بأخيه حماد لقمع هذه الثورات، لكن حدة هذه الثورات زادت في عهد ابنه[2] وخليفته باديس (386 406هـ /995 .1015م)[3]، الذي وكل أمر محاربة زناته إلى عمه حماد فخرج وهزم الزناتيين[4].

لكن أكبر خطأ ارتكبه باديس بن منصورإعطاءه حماد وعداً بالولاية على جميع المناطق التي يحتلها، فقامت نتيجة لذلك حرب بينه وبين عمه حماد، وقطع كل صلة تربطه بباديس، وأعلن تبعيته للدولة العباسية، ثم إنه أسس دولة في المغرب الأوسط قاعدتها قلعة بني حماد[5]، أما باديس توفّي فجأة سنة (406 هـ/1015م)، وخلفه المعز بن باديس (406-454هـ/1015-1060م)[6]، والذي كان طفلاً، فقام بالوصاية عليه ابن عمه كرامة بن المنصور[7]، وقد شهد عهد المعز بن باديس عودة

---

1. (ابن خلدون): المصدر السالف، ج6، ص 156.
2. (حسين، ممدوح): الحروب الصليبية في شمال أفريقيا و أثرها الحضاري، ط1، دار عمار، عمان، (1419 هـ/1998م)، ص108.
3. (ابن خلكان، أبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد): وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح:إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، (1970م)، ج1، ص265.
4. (ابن خلدون):المصدر السالف، ج6، ص157-158.
5. (عويس، عبد الحليم): دولة بني حماد، ط2، دار الصحوة للنشر والتوزيع، القاهرة، (1991م)، ص 56ومايليها.
6. (ابن عذارى المراكشي، أحمد): البيان المغرب في أخبار المغرب، دار صادر، بيروت، (د.ت)، ج 1، ص 384 – 386.
7. (مقديش، محمود) : نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار، تح: علي الزاوري، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، (1988 م)، مج1، ص336.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الثورات والفتن من جديد، وعلى رأسها بني خزرون وبني حماد وثورة أهل القيروان[1]، إن ما حدث من ثورات في عهد بني زيري أدى إلى ضعف وتمزق شمال إفريقيا، وزاد الأمر سوءاً هو هجرة العرب الهلالية إليها، والسبب في ذلك اتخاذ المعز بن باديس قرارالانفصال عن الخلافة الفاطمية في مصر؛ مما دفع بالخليفة الفاطمي للانتقام من الزيريين، فدفع بالعرب الهلالية إلى شمال إفريقيا، أما عن السنة التي حدث فيها الانفصال، فقد كانت موضع خلاف بين المؤرخين، فابن عذارى يذكر أنه سنة (433هـ أظهر المعز الدولة العباسية وورد عليه عهد القائم بأمر الله)، ثم يذكر في أحداث سنة (440هـ/1048م): (قطعت الخطبة لصاحب مصر..... وأمر المعز بن باديس أن يدعى على منابر أفريقيا للعباس بن عبد المطلب، ويقطع دعوة الشيعة العبيدين)، كذلك ذكر أنه في سنة (441هـ / 1049م) قطعت أسماؤهم من الرايات والبنود، ثم ذكر في أحداث سنة (443هـ /1051م) كان لباس السواد في القيروان[2]، والسواد كما هو معلوم هو لون شعار العباسيين[3].

أما ابن خلدون فيصف علاقة بني زيري بالخلافة الفاطمية في تلك الآونة فيقول: (..... حتى أظلم الجو بينه وبينهم إلى أن انقطع الدعاء لهم سنة أربعين وأربعمائة على عهد المستنصر من خلفائهم..... ودعا للقائم بن القادر من خلفاء بغداد)، كما أنه ذكر سابقاً أنه في سنة (437هـ /1045م) انقطعت أسماء الخلفاء الفاطميين من الخطبة[4]، أما ابن تغري بردي فيذكر روايتين الأولى مفادها أن المعز قطع الخطبة للفاطميين سنة (435 هـ / 1043 م) ويورد رواية أخرى أن المعز بن باديس قطع الخطبة للفاطميين سنة (443 هـ / 1051م)[5]، أما محمد بن محمد

---

1. (ابن عذارى): المصدر السالف، ج1، ص396-397.
2. (القيروان): مدينة أفريقيا بناها عقبة بن نافع الفهري.(ابن الفقيه، أحمد بن محمد الهمذاني): مختصر كتاب البلدان، مطبع بريل، في ليدن المحروسة،(1302 هـ)، ص79.
3. (ابن عذارى): المصدر السالف، ج1، ص 397 و 399 و 402 و 405.
4. (ابن خلدون):المصدر السالف، ج6، ص159و ص14.
5. (ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف الأتابكي): النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، المؤسسة المصرية العامة، القاهرة، (د.ت)، ج5، ص2 وص50- 51 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مخلوف فيذكر أن المعز قطع الخطبة سنة (440هـ / 1049م)[1]. ويمكن أن نلاحظ أن هذا الاختلاف في تحديد السنة التي حدث فيها الانفصال يدل على أنه لم يحدث بشكل فوري، وإنما النية في الانفصال قائمة ولم توضع موضع التنفيذ بشكل نهائي إلا سنة (443هـ /1051 م)، وقد أجمع المؤرخون على أن حادث الانفصال هذا يمثل السبب في هجرة العرب الهلالية، حيث أرسل الخليفة الفاطمي (الحاكم بأمر الله) لشمال إفريقيا جموعاً من بني هلال[2] من الصعيد المصري عقاباً للمعز بن باديس، والهدف من ذلك زيادة الفوضى والاضطرابات في تلك المنطقة [3]، المهم في معرض حديثنا أن نتحدث عن أثر هذه الهجرة على أوضاع شمال إفريقيا سواء أكانت آثار سياسية، أواجتماعية، أواقتصادية نذكر منها:

1. لقد أحدثت هذه الهجرة انقلاباً كبيراً في شمال إفريقيا من حيث الاقتصاد والسياسة، بل إنها شلت نشاط المغرب وأشاعت الفوضى فيه[4].

2. كانت بداية لزوال ملك الدولة الزيرية، وذلك بسبب الضغط الذي أحدثته تحركات القبائل، فاضطرالزيريون لترك القيروان والاتجاه إلى المهدية[5] [6].

3. قيام هؤلاء بتكوين إمارات مستقلة في شمال إفريقيا حتى إن بعضهم ضرب النقود.

---

1. (مخلوف، محمد بن محمد): شجرة النور الذكية في طبقات المالكية، دار الكتاب العربي، بيروت، (1350 هـ)، ص129- 131 .
2. (بنو هلال وبنو سليم): وهم بطون من عامر بن صعصعة وزغبة والأثبج ورياح، وهم نزل الصعيد.(ابن عذارى): المصدر السالف، ج1،ص425.
3. (الشريف ، محمد الهادي): تاريخ تونس، تر: محمد الشاوش، ط2، دار سراس، تونس، (1985 م)، ص48 .
4. (رمضان، عبد العظيم): الصراع بين العرب وأوربا، دار المعارف، القاهرة، (1983م)، ص251.
5. (المهدية): مدينة محدثة بساحل أفريقيا، وتسمى جمة بناها عبيد الله الشيعي وسماها المهدية نسبة إليه. (الحميري، محمد بن عبد المنعم): الروض المعطار في خبر الأقطار، إحسان عباس، ط2، مؤسسة ناصر للثقافة، (د،م)، (1980م)،ص561.
6. (أحمد، علي): تاريخ المغرب الإسلامي، منشورات جامعة دمشق، (1991-1992م)، ص 153.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

4- ظهورعدو خارجي كان يتحين الفرصة المناسبة للانقضاض على فريسته[1]، وبالفعل كانت الأوضاع في شمال إفريقيا متدهورة، وهذا ما سمح للنورمان بالمضي قدماً بفرنجيتهم التي بدؤوها من صقلية[2]، ثم إلى شمال إفريقيا، وهذا ما سيحدث للأمراء الزيريين اللاحقين، إلا أنه في الوقت نفسه لا يمكن أن ننكر النواحي الايجابية التي نتجت عن هجرتهم، وهي كما أنها أمدت المنطقة بمحاربين يتمتعون بشجاعة وخشونة البادية، وهي بأمس الحاجة إليهم لمواجهة المرحلة المقبلة، التي اتسمت بظهور الخطر النورماني على ساحة شمال إفريقيا [3].

وخلاصة القول يمكن عد هجرة العرب الهلالية نعمة ونقمة في آن واحد، فهي نقمة بسبب ما خلفه هؤلاء من دمار وخراب، وما أشاعوه من فوضى في تلك المنطقة، ونعمة لأن الأمراء الزيريين كانوا بحاجة لشجاعة هؤلاء لاحقاً، وسنقرأ في الصفحات اللاحقة مشاركتهم بصد الحملات الفرنجية الموجهة لشمال إفريقيا، وفي سنة (454هـ/1061م) توفّى المعز بن باديس[4]، لتبدأ بوفاته صفحة من صفحات الصراع الإسلامي الفرنجي، والذي سيشغل ساحة شمال إفريقيا طوال القرون اللاحقة.

---

1. (بن عامر، احمد): الدولة الصنهاجية، الدار التونسية للنشر، تونس،(1390هـ/1970 م)، ص40 وما يليها
2. (صقلية): وهي جزيرة عظيمة بها أنهار و أشجار و ثمارومزارع وفيها جبل يقال له جبل البركات. (ابن الوردي، سراج الدين أبي حفص عمر): خريدة العجائب وفريدة الغرائب، صححه: محمود فاخوري، دار الشرق العربي، حلب، (1991م) ، ص147 .
3. (حسين، ممدوح): المرجع السالف، ص127.
4. (ابن عذارى): المصدر السالف، ج1، ص427.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

احتلال جزيرة صقلية من قبل النورمان وأثر ذلك على شمال إفريقيا :

تعد جزيرة صقلية من أكبر وأهم جزر البحر المتوسط، وتتميز بإستراتيجية موقعها وذلك لصلتها بأفريقيا الشمالية من جهة، وإيطالية الجنوبية من جهة أخرى[1]، فصقلية بموقعها الجغرافي والاستراتيجي شكلت حصناً منيعاً وسط البحرالمتوسط حمت به شمال إفريقيا، وقد مثلت السيطرة على صقلية القدرة على مراقبة السواحل الأفريقيا والإيطالية، كل ذلك جعلها موضع صراع بين قوى إيطالية وأفريقيا[2]، وجعلها بالتالي مطمع للنورمان الذين قاموا باحتلالها في القرنين (الخامس الهجري/ التاسع عشر الميلادي). ولكن قبل الحديث عن احتلال صقلية من قبل النورمان لا بد من التعرف على أصل النورمان ومن أين جاؤوا؟

النورمان كلمة مشتقة من (North) أي: (الشمال) وهى تسمية جغرافية بحتة، لوقوع مركز هجرتهم البشرية شمال القارة الأوربية، فهؤلاء انحدروا من أعالي أوربا نحو الجنوب والشرق منها[3]، أما بالنسبة لغرب أوربا، فقد انتقوا لأنفسهم فيها مكاناً حصيناً في شمال بلاد الغال "فرنسا" وهو المعروف باسم بريتارتي (نورماندیا)، وفي نورماندیا وصلت الأخبار إلى النورمان بأن الأحوال في جنوب إيطالية مضطربة بسبب التنازع بين حكامها، فانطلقت جماعات منهم تحت قيادة زعماء من بيت تانكرد،وعملوا كجنود مرتزقة لدى حكام إيطاليا، فكسبوا إعجاب دوق نابولي[4]، كذلك أغاروا على الأراضي البيزنطية ونجحوا في توطيد أقدامهم في جنوب إيطاليا على حساب البيزنطيين[5].

---

1. (طرخان، إبراهيم علي): المسلمون في أوربا في العصور الوسطى، مؤسسة سجل العرب، القاهرة، (1966م)، ص87.
2. (زكار، سهيل): الموسوعة الشاملة في تاريخ الحروب الصليبية، دار الفكر، دمشق، (1416هـ/1995م)، ج2، ص223
3. (المدني، أحمد توفيق): المسلمون في جزيرة صقلية وجنوب إيطالية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، (1365هـ/ 1945م)، ص27.
4. (العدوي، أحمد إبراهيم): بلاد الجزائر تكوينها الإسلامي والعربي، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، (1399هـ / 1970م)، ص277-278
5. (أحمد، عزيز): تاريخ صقلية الإسلامية، تر: أمين توفيق الطيبي، الدار العربية للكتاب، طرابلس، (1980م)، ص 57-58.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويقول "فيشر" واصفاً النورمان: (الحقيقة أن أولئك المغامرين بلغوا من علو الصيت مبلغاً غير متناسب مع أعدادهم، حتى إنهم استطاعوا أن يستولوا على جنوب إيطاليا وصقلية كلها ببضع مئات من الفرسان)[1]، وفي سنة (451هـ/1060م) استولى روبرت جيسكارد[2]على مدينة ريو بوابة صقلية من أيدي البيزنطيين، ومنها ستكون الانطلاقة الأولى للتفكير باحتلال صقلية، وبسبب انشغال روبرت جيسكارد في حروبه مع البيزنطيين؛ أصبح دوره ثانوياً في افتتاح صقلية بالنسبة لدور رجار[3]، ثم بدأ النورمان يتطلعون لاحتلال صقلية بعد تثبيت أقدامهم في جنوب إيطاليا، ويبدو أن ظروفها وأوضاعها كانت مشجعة على احتلالها، فصقلية كانت تابعة لسلطة الدولة الفاطمية في مصر، إلا أنها تتمتع باستقلالها الداخلي تحت حكم أسرة الكلبيين، وقد تداول أمراء هذه الأسرة على حكمها إلى أن حدث اختلاف فيما بينهم على الإمارة، وقامت الفتن الداخلية فاضطر "الصقليون" لطلب المساعدة من المعز بن باديس سنة (437هـ/1045م) وذلك لإنهاء حالة الانقسام، لكن الجيش الزيري فشل في إقرار النظام وانتهى عهد الكلبيين بإخراج الحسن الصمصام[4]. وهو آخر أمراء الأسرة الكلبية. سنة (444هـ / 1052م)، وبعزله اضطربت أحوال المسلمين في تلك الجزيرة وتفرقت كلمتهم، حيث استقل عبد الله بن منكوت في مازرة[5]، وطرابنش[6]، وابن

---

1. (فشر ،هـ.ا.ل): تاريخ أوربا في العصور الوسطى، تر: محمد مصطفى زيادة وآخرون، دار المعارف، مصر، (د.ت)، ق2، ص120.
2. (روبرت جيسكارد): هو أحد أبناء تانكرد من أسرة هوتفيل وشقيق رجار. (أحمد، عزيز): المرجع السالف، ص57.
3. (أحمد، عزيز): المرجع السالف، ص58.
4. (رمضان ، عبد العظيم) : المرجع السالف، ص253.
5. (مازرة): بفتح الزاي وآخره راء مدينة بصقلية. (البغدادي، صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق): مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، تح: علي محمد البجاوي، ط1، دار الجيل، بيروت،(1412 هـ / 1992 م)،مج 3، ص1219.
6. (طرا بنش): وهي مدينة بصقلية صغيرة المساحة مسورة، بينها وبين تونس مسيرة يوم وليلة. (ابن جبير، أبو الحسن محمد بن أحمد): رحلة ابن جبير، تح: حسين نصار، مكتبة نصر، القاهرة، (1992م)، ص427.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الحواس في جرجنت[1]، وفي سرقوسة[2]، وقطانية[3] ابن الثمنة[4]، وفي هذه الظروف التي تعيشها الجزيرة جاءت الفرصة التي طالما انتظرها النورمان للتدخل في شؤون الجزيرة، حيث قام "ابن الثمنة" بعرض الجزيرة عليهم، قد نقل ابن الأثير الحديث الذي جرى بين النورمان وابن الثمنة: (قال: أنا أملككم الجزيرة فقالوا: إن فيها جنداً كثيراً، ولا طاقة لنا بهم، فقال: إنهم مختلفون)[5]، وهذا إن دل على شيء يدل على حالة الانقسام والتمزق التي تعيشها صقلية في تلك الآونة، الأمر الذي شجع النورمان على احتلالها.

وفي الوقت نفسه الذي عرض فيه ابن الثمنة الجزيرة على النورمان كانت تحاك خيوط المؤامرة الفرنجية بين البابوية وزعماء النورمان، حيث عقدت معاهدة ملفي سنة (450هـ/1059م) التي تعهد النورمان بموجبها بنقل الحرب إلى صقلية لاستعادتها من المسلمين، ثم قام البابا بمباركة الحملة، وأصر على أن تكون الفتوحات في صقلية باسم المسيح مما لا يجعل مجالاً للشك في صليبية هجوم النورمان على صقلية[6]، وبما أنه من أهداف الحركة الفرنجية محاربة المسلمين أينما وجدوا، فصقلية هي إحدى أماكن الوجود الإسلامي.وبعد مباركة الحملة من قبل البابا قام رجار بمحاولة استطلاعية في صقلية سنة (452 هـ/1060م)، حيث أبحر من"ريو" وهاجم

---

1. (جرجنت): مدينة متحضرة من أشرف الحواضر عامرة بالصادر والوارد وقلعتها حصينة. (المدني، أحمد توفيق): المسلمون في جزيرة صقلية، ص40.
2. (سرقوسة): مدينة بصقلية مهد الذكريات الإغريقية، أهم آثارها المسرح اليوناني. (المدني، أحمد توفيق): المسلمون في جزيرة صقلية، ص45.
3. (قطانية) : ثاني مدن صقلية بعد بالرمة (المدني، أحمد توفيق): المسلمون في جزيرة صقلية، ص45.
4. (ابن أبي دينار،أبي محمد بن أبي القاسم الرعيني القيرواني): المؤنس في أخبار أفريقيا و المغرب، ط1، مطبعة الدار التونسية، تونس، (1869م) ،ص86.
5. (ابن الأثير، عز الدين أبي الحسن بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني): الكامل في التاريخ، دار صادر، بيروت، (1386هـ/ 1966م)، مج10، ص196.
6. (حسين، ممدوح): المرجع السالف، ص136.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

"مسينة[1]"، فقام أهلها واستنجدوا "بابن الحواس" لكن "رجار" أنزل قواته في "كالكار جنوب مسينة" وهزم قوة إسلامية اقتربت لمساعدة الأهالي، وتمكن أخيراً من احتلال المدينة التي اتخذها لاحقاً مركزاً للعمليات النورمانية في صقلية[2]، ثم اشتبك مع "ابن الحواس" قرب "قصريانة"[3]، لكنهم هزموه فاضطر للتراجع إلى الحصن[4]، وقد أثار ما كان يجري في الجزيرة مطامع عدو آخر وهو مدينة "بيزة الإيطالية" التي عرضت على رجار مشاركته بأسطولها البحري، لكنه رفض لأنه لم يرغب وجود من يشاركه في الجزيرة، فما كان من بيزة إلا أن شنت هجوماً منفرداً على "بالرمة"[5] سنة (455هـ/1063م) محاولة الاستيلاء عليها، لكنها واجهت صعوبات، فلجأت إلى النهب ثم عادت محملة بالغنائم[6]، وفي ظل هذه الأوضاع السيئة في صقلية استنجد أهلها"بالمعز بن باديس" فعّمر أسطولاً كبيراً وكان الوقت شتاءً فسار إلى قوصرة[7]، لكن لسوء الحظ هاج البحر عليه فغرق أكثرهم ولم ينج إلا القليل[8]، ثم عاود أهالي صقلية نداءاتهم لأمراء شمال إفريقيا واستصرخوا "تميم بن المعز" (453-501هـ/ 1061-1107م)[9]، فأنجدهم بأسطول يقوده ابناه أيوب وعلي، وبعد وصولهم خاف

---

1. (مسينة): من أهم المدن الصقلية ومرساها من أوسع مراسي البحر المتوسط وأكثرها حركة (المدني، أحمد توفيق): المسلمون في جزيرة صقلية، ص41.
2. (أحمد، عزيز): المرجع السالف، ص59.
3. (قصريانة): بالياء المثناة من تحت وألف ساكنة ثم نون مكسورة وبعدها هاء ساكنة وهي اسم لمدينة كبيرة بصقلية. (الحموي شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله): معجم البلدان، ط3، دار صادر، بيروت، (2007 م) ، مج 4، ص365.
4. (ابن الأثير): المصدر السالف، مج10، ص197.
5. (بالرمة): من أمهات الدن قديماً وحديثاً، ومن أجمل الحواضر وهي مدينة كنعانية قرطاجنية. (المدني، أحمد توفيق): المسلمون في جزيرة صقلية، ص38.
6. (حسين، ممدوح): المرجع السالف، ص137
7. (قوصرة): بالفتح ثم السكون والصاد مهملة، وهي جزيرة في بحر الروم بين المهدية و جزيرة صقلية. (الحموي): المصدر السالف، مج 4، ص413.
8. (ابن الأثير): المصدر السالف، مج10، ص197.
9. (ابن الآبار، أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي): الحلة السيراء، تح: حسين مؤنس، الشركة العربية للطباعة والنشر، القاهرة، (د.ت)، ج2، ص21- 22.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ابن الحواس على ملكه، وطلب إخراجهما من الجزيرة، ثم اشتبك الطرفان في معركة انتهت بانتصار أيوب، ولقي ابن الحواس مصرعه بسهم أودى بحياته[1]، وهذا إن دل على شيء يدل على أن المصلحة الشخصية كانت تفوق الهدف الأساسي وهو إنقاذ الجزيرة من النورمان، وقد تمكن "أيوب" من السيطرة على "جرجنت"، و"قصريانة" و"بالرمة"، إلا أن "رجار" هزمه سنة (461 هـ /1068م)[2]، أضف إلى ذلك ما حدث من فتنة بين أهالي "جرجنت" والجيش الزيري، الأمر الذي اضطر أيوب إلى ترك صقلية تواجه مصيرها والعودة إلى شمال إفريقيا[3].

إلا أن بني زيري لم يكفوا عن الإغارة على مواقع النورمان في صقلية وجنوب إيطالية وذلك لمساندة مسلمي صقلية، حيث أغار أسطول أرسله تميم سنة (467هـ/1074م) على "نقوطرة" في مقاطعة قلورية بصقلية، ثم أغارعلى "مازرة" لكنه ارتد عنها، فهذه الازعاجات دفعت رجار إلى عقد معاهدة سنة (463هـ/1075م) مع "تميم بن المعز" تعهد بموجبها بالكف عن مضايقة رجار[4]، أما في سنة (471هـ/1079م) نظم رجار حملة ضد طبرمين[5] واحتلها، فاستغل ابن عباد ـ بطل المقاومة في سرقوسة ـ انشغال النورمان بصراعهم مع البيزنطيين سنة (473هـ/1081م)، وانتصر على قائد قطانية النورماني، لكن النورمان هزموه. وفي سنة (476هـ/1084م) حاول "ابن عباد" التحرش بالنورمان بساحل قلورية، وأشعل النار في الكنائس، فجاء رد رجار فرنجياً ذا طابع ديني حيث جهز أسطولاً ضخماً هاجم فيه "سرقوسة" التي قاومت طويلاً [6]، لكن النورمان هزموه وسقط ابن

---

1. (سالم، السيد عبد العزيز): تاريخ المغرب الكبير، دار النهضة العربية، بيروت،(1981م)، ج1، ص674.
2. (أحمد، عزيز): المرجع السالف، ص60.
3. (ابن الأثير): المصدر السالف، مج 10، ص197.
4. (حسين، ممدوح): المرجع السالف، ص175-176.
5. (طبرمن): مدينة بصقلية تتميز بجمال طبيعتها .(المدني، أحمد توفيق): المسلمون في جزيرة صقلية، ص44.
6. (أحمد ، عزيز): المرجع السالف، ص62.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عباد شهيداً، وسقطت سرقوسة بيد النورمان[1]، ولم يبق بيد المسلمين غير قصريانة وجرجنت، فحاصرهم النورمان أشد حصار، فاستسلمت جرجنت وبقيت قصريانة تقاوم ثلاث سنوات ثم استسلمت[2]، وفي سنة (484هـ/1093م) تم احتلال الجزيرة بالكامل من النورمان[3].

وعند سقوط صقلية بيد النورمان لم يبق إلا مالطة[4]، و قوصرة تحميان شواطئ شمال إفريقيا، فأرسل رجار في سنة (485هـ/1093م) أسطولاً إلى مالطة ثم قوصرة، الأمر الذي جعل الخطر الفرنجي النورمان يطرق أبواب شمال أفريقيا[5]، أما عن نتائج سقوط صقلية بيد النورمان:

1. خروج صقلية من السيادة الإسلامية إلى أيدي النورمان، فكان ذلك بمثابة ضربة موجعة للمسلمين، حيث يقول أحد الباحثين: (ومازالت قوة الإسلام في البحر- البحر المتوسط . غالبة وكلمته هي العليا، حتى خرجت صقلية من يدي الإسلام، وإن تكوين دولة نورمانية في إيطالية، ثم صقلية مكن النورمان من السيطرة على مالطة، فكسب غرب أوربا السيطرة على المضائق الحيوية بين أفريقيا وصقلية).

2. كما أن استيلاء النورمان على الجزيرة أعاد للمسيحية السيطرة على البحر التوسط، وبالتالي فإن تحطيم القوة الإسلامية في صقلية جعل الطريق آمنة بين مرسيلة وجنوى إلى الشرق، مما سهل مهمات الحملات الفرنجية المتجهة نحوها[6]، وهذا دليل آخر

---

1. (ضيف، شوقي): عصر الدول الإمارات ليبيا تونس صقلية، دار المعارف، القاهرة، (1992م)، ص344.
2. (ابن أبي دينار): المصدر السالف، ص87.
3. (ابن كثير، أبو الفداء الحافظ): البداية والنهاية، ط1، مكتبة المعارف، بيروت، (1966م)، ج12، ص138.
4. (مالطة): وهي جزيرة كبيرة وفيها مرسى مأمون، وبينها وبين أقرب بر من صقلية ثمانون ميلاً. (الإدريسي، أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس): نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، (د.ن)، (د.م)، (د.ت)، ص197.
5. (طرخان، إبراهيم علي): المرجع السالف، ص252-253.
6. (الدوري، تقي الدين عارف): دراسات في تاريخ العرب وحضارتهم في صقلية، منشورات جامعة ناصر الخامس، ليبيا، (1997م)، ص85-87

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

على أن المخطط الفرنجي شمل كل العالم الإسلامي .

3. وبتمام سقوط صقلية بيد النورمان وزوال الوجود الإسلامي فيها، فقد الرباط الكبير الذي كان حرساً يحمي الشواطئ الإفريقية من غزو النورمان، حيث أصبح وجهاً لوجه مع مسلمي شمال إفريقيا[1].

5. سيطرة النورمان على مسينة أكسب النورمان ميزات تجارية عظيمة وأضحت مدنها مركز للتجارة الناشطة مع ثغور البحر المتوسط بما فيها مراكز التجارة الإسلامية في شمال إفريقيا[2].

---

1. (الدوري، تقي الدين عارف): المرجع السالف، ص85. 8786.

2. (ديوانت، ول): قصة الحضارة، تر : محمد بدران، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، جامعة الدول العربية، ج4، مج 4، ص253-254.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

احتلال شمال أفريقيا :

كان شمال إفريقيا أحد ساحات الصراع العرب الإسلامي من جهة والفرنجي من جهة أخرى، حيث نشطت فيه قوى العدوان الفرنجي لعدة قرون بدءاً من نهاية (القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي) وحتى مطلع العصور الحديثة، حيث اتخذت الهجمات الأوربية فيها أشكالاً أخرى مستغلة التمزق والتفرقة التي أصابت الجناح الغربي من العالم الإسلامي ولابد هنا من الإشارة إلى أن العدوان الفرنجي في شمال إفريقيا لم يكن مقتصراً على القوى النورمانية في صقلية، إذ شاركت قوى أخرى في العدوان لها مصالح وأهداف اقتصادية، ألا وهي المدن البحرية الإيطالية وخاصة "بيزة" و"جنوى" بدليل ما مرسابقاً من محاولة "بيزة" مشاركة رجار في احتلال صقلية، فالمدن البحرية الإيطالية كانت إحدى الأطراف المشاركة في الحملات الفرنجية سواء المتجهة إلى الشرق، أم صقلية، أم شمال إفريقيا.

وفي عهد "تميم بن المعز" قام الزيريون بالاعتداء على تلك المناطق، مما اضطر هذه الدول التي تعرضت لاعتداءاته إلى الاتفاق فيما بينها للقيام بعمل مشترك لتأديبه، وقد شجع البابا على تكوين حملة للإغارة على السواحل الإفريقية رداً على غارات الزيريين[1]، أضف إلى ذلك أن تميم بن المعز سد أبواب المهدية في وجه التجار الإيطاليين وأساء إليهم[2]، وبالفعل تم الإعداد لهذا الهجوم (480هـ/ 1088م)، وقد بلغت عدة هذه القوات ثلاثمئة سفينة على متنها ثلاثين ألف جندياً[3]، وقد تم اللقاء في جزيرة قوصرة، التي أرسل أهاليها كتاباً على جناح الطير يخبرون أهالي المهدية بوصول العدو[4]، وما لبثت أن وصلت القوات إلى مدينتي زويلة[5]، والمهدية فتم

---

1. (ابن الأثير): المصدر السالف، مج 10، ص165.166. (سالم، السيد عبد العزيز): المرجع السالف، ج1، ص675.
2. (حسين، ممدوح): المرجع السالف، ص139.
3. (مقديش): المصدر السالف ،مج1، ص380.
4. (ابن الأثير): المصدر السالف، مج 10، ص165.
5. (زويلة): من المغرب وهي مدينة وسطة لها كورة عريضة . (الإصطرخي، أبي اسحق إبراهيم بن محمد الفاسي): كتاب مسالك الممالك، تح: محمد جابر عبد العال الحيني، دار القلم، القاهرة، (1381هـ / 1961م)، ص34.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الاستيلاء عليهما وترافق ذلك مع أعمال النهب والقتل وحتى الحرق بالنار، وتعلل المصادر الإسلامية دخولهم إلى زويلة والمهدية بما يلي: (غيبة عسكر سلطانها عنها، ومفاجأة الروم...وخلو كافة الناس من الأسلحة والعدد وقصر الأسوار وتهدمها، وتكذيب تميم بخبرهم، وسوء تدبير عبد الله بن منكور متولي أمور الدولة... مخالفة قائد الأسطول في الخروج إليهم للقائم في الماء ومنعهم من النزول إلى البر)[1].

وبعد قراءة الروايات يمكن القول: أنه من غيرالمعقول أن تكون المهدية خالية من السلاح والعدد، ولا أن تكون غير محصنة ومهدمة، لكن قد تكون القوة العسكرية البرية والبحرية المعتمد عليها اتجهت لمحاربة الثوار وخاصة أن عهد تميم مليء بالفتن والثورات، بدليل ما ذكره ابن الأثير: (وكانت عساكر تميم غائبة في قتال الخارجين عن طاعته)[2]، الأمر الذي أغرى الجنويين للإغارة عليها، فالقوة الموجودة في المدينة لم تكن تكفي لمواجهة أسطول عدته ثلاثمئة سفينة وثلاثين ألف جندياً، كذلك أشارت المصادر الإسلامية وأجمعت على قضية الخلاف، الذي دب بين متولي الدولة وقائد الأسطول، ودروس التاريخ تثبت ذلك، فكثير من المدن المحصنة سقطت بيد العدو بسبب خلاف وقع بين القائمين على حماية المدينة.

أما تميم فقد لجأ إلى قصره المعروف بقصر المهدي، وأقام به إلى أن وقع الصلح بينه وبين الجنويين[3]، وقد تضمن الصلح دفع مئة ألف دينار وما انتهبوه من الأموال[4]، كذلك إعفاء البضائع المحملة على السفن الإيطالية من الجمارك[5]، كما وافق تميم أيضاً على إطلاق سراح جميع الأسرى لديه[6] رغم أن الجنويين أخذوا

---

1. (التجاني، أبو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد): رحلة التجاني، قدم لها: حسن حسني عبد الوهاب، المطبعة الرسمية، تونس، (1928م)، ص331-332.
2. (ابن الأثير): المصدر السالف، مج 10، ص165.
3. (الوزير السراج، محمد بن محمد الأندلسي): الحلل السندسية في الأخبار التونسية تح: محمد الحبيب الهيلة، الدار التونسية، تونس، (1970م)، ج1، ق2، ص468.
4. (ابن خلدون):المصدر السالف، ج6، ص160.
5. (رمضان ، عبد العظيم): المرجع السالف، ص251.
6. (حسين، ممدوح): المرجع السالف، ص145-146.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الكثير من أسرى المسلمين من النساء والصبية[1]، كما تعهد بعدم التعرض لسفن المدن المتحالفة في المياه الإفريقية، وفتح أبواب إمارته لتجار المدن المتحالفة لممارسة نشاطهم فيها[2]، ونلاحظ من خلال بنود الصلح أنه على الرغم من فشل هذا الهجوم في تحقيق هدفه، إلا أن الجنويين حصلوا على امتيازات تجارية فيها وحققوا مكاسب اقتصادية، وقد أعاد الروم الكرة في الهجوم على المهدية بتحريض من البابا سنة (498هـ/ 1104م)، وكانوا يهدفون إيجاد فرصة لدخولها، لكنهم فشلوا وعادوا يجرون أذيال الخيبة[3]، والسؤال الآن هل اتخذ هذا الهجوم الصفة الفرنجية (الدينية)؟ للإجابة على هذا السؤال نعود إلى بداية التحضير للحملة حيث شجع البابا على القيام بعمل مشترك بين الدول المتضررة من هجوم السفن الزيرية على بلادهم، وقد تم الإعداد لذلك بعلم البابوية ومباركتها، أضف إلى ذلك التقارب الزمني بين الحملات الفرنجية الموجهة ضد المسلمين في صقلية والمشرق، فالمخطط الفرنجي كان يسير في الوقت نفسه تقريباً، وهذا يعطينا دلالة على دينية الهجمات الموجهة ضد شمال إفريقيا.

وبعد فشل جنوى في هجومها على المهدية ينتقل ثقل العمل الفرنجي إلى قوة أخرى، ألا وهي" النورمان"في صقلية، فبعد استكمال احتلال الجزيرة توفّى رجارسنة (495هـ/1101م) وخلفه ابنه سيمون، لكنه توفّى وتولى أخوه رجار الحكم باسم رجار الثاني سنة (505هـ / 1111م)[4]، وفي سنة (508هـ/1114م) كان هجوم الروم على ميورقة[5] ودخولها بعد حصار شديد، ثم استرجعها علي بن يوسف[6].

---

1. (التجاني): المصدر السالف، ص332.
2. (حسين، ممدوح): المرجع السالف، ص145.
3. (سالم، السيد عبد العزيز): المرجع السالف، ج1، ص677.
4. (بن عامر، احمد): الدولة الصنهاجية، ص64.
5. (ميورقة) : جزيرة في البحر المتوسط طولها أربعون ميلاً،(المغربي ،ابن سعيد): المغرب في حلى المغرب، تح: شوقي ضيف، دارالمعارف، القاهرة، (1995م)، ج2، ص465-466.
6. (ابن القطان المراكشي،أبي محمد حسن بن علي بن محمد بن الكتامي): نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، تح: محمود علي مكي، ط1، دارالغرب الإسلامي، بيروت، (1990م)، ج2، ص75.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المهم أن رجار بدأ مخططه الفرنجي تجاه شمال أفريقيا، واستخدم في حملاته شخصاً يدعى جرجي الإنطاكي، وجرجي هذا كان نصرانياً نشأ في أنطاكية وتعلم اللسان العربي وبرع في العمليات الحسابية، ثم هاجر من المشرق إلى تميم بن المعز، ودخل في خدمته، وقد وثق به وأوكله الأمور المالية في الدولة، ولكن عندما توفّى تميم بن المعز خشي من يحيى بن تميم وخاف على نفسه، فأرسل إلى رجار الثاني يطلب منه الدخول في خدمته[1].

والسؤال لماذا خشي جرجي على نفسه من يحيى بن تميم وهو الذي كان يشاوره في أمور الدولة ؟ وقد أورد ابن خلدون رواية يذكر فيها أن يحيى بن تميم كان يشاوره في كل الأمور[2]، إلا أن ذلك يدل على أن جرجي الإنطاكي كان لديه رغبة مسبقة بالالتحاق برجار الثاني، وكان ينتظر الفرصة المناسبة التي جاءت بوفاة تميم بن المعز، ويبدو أن جرجي الإنطاكي لم يكن يرغب في ترك تميم وهو الذي وثق به وسلمه أموال المسلمين، ويبدو أيضاً أن رجار قد قدم عرضاً أفضل للعمل في خدمة المصلحة الفرنجية، وخاصة أن جرجي الإنطاكي سيقدم لرجار الثاني خدمات جمة لأنه بحكم مكانته في الدولة الزيرية فهو على إطلاع واسع بأوضاعها.

ثم إن رجار الثاني أرسل إلى جرجي سفينة فخرج هووأقاربه في يوم الجمعة في وقت الصلاة فالجميع كان منشغلاً ، ثم إنه تزي بزي البحارة هو وأقاربه وانطلقوا إلى صقلية، وهناك ألحقه رجار الثاني للعمل في خدمة وزيره عبد الرحمن النصراني[3]، وفي تلك الأثناء توفّى يحيى بن تميم سنة (509 هـ / 1116م)، وخلفه ابنه علي بن يحيى (509 .515 هـ/ 1116-1122م) [4]، وجاءت الفرصة التي كان رجار ينتظرها للتدخل في شؤون إفريقيا، حيث وقعت الوحشة بينه وبين علي بن يحيى

---

1. (التجاني): المصدر السالف، ص333. (الوزير، السراج): المصدر السالف، ج1، ق2، ص469.
2. (ابن خلدون):المصدر السالف، ج6، ص161.
3. (الوزير، السراج): المصدر السالف، ج1، ق2، ص469.(مقديش): المصدرالسالف، مج1، ص480.
4. (ابن خلدون):المصدر السالف، ج6، ص160-161.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بسبب السفينة التي أنشأها رافع بن مكي صاحب قابس[1]، فعلياً عندما ولي الحكم لم يرض أن ينافسه أحد نشاطه التجاري، فأرسل إلى قابس لمنع السفينة من الإقلاع، وعندما علم رافع بالأمر كتب لرجار الثاني يطلب منه المساعدة ضد علي بن يحيى، أضف إلى ذلك أنه استخدم الكذب والحيلة لجر رجار الثاني لمساعدته حيث أخبره بأنه أنشأ السفينة ليقدمها هدية له[2].

وبالفعل بعث رجار أسطولاً إلى قابس لنصرة رافع، وعندما علم علي بن يحيى بخروج رجار جمع رجاله واستشارهم فيما يفعل، فأشاروا عليه باسترجاع أسطوله حفاظاً منه على ما بينه وبين رجار من عهود ومواثيق[3]، لكن علي بن يحيى رفض وزاد على ذلك بأن أرسل بقية قطع أسطوله الموجودة في المهدية إلى قابس للانضمام إلى الأسطول الذي أرسله سابقاً، وهناك في قابس وجد النورمان قد تركوا سفنهم و نزلوا إلى البر لحضور وليمة أعدها رافع لهم، وعندما شاهد النورمان أسطول علي اشتبكوا معه في معركة انتصر فيها الأسطول الزيري، وعاد النورمان إلى صقلية خائبين[4]، ثم إن علياً بن يحيى قطع كل صلة تربطه برجار الثاني وسرح وكلائه الموجودين بالمهدية في الوقت الذي وصل فيه رسول رجار يطالب علياً بأموال له بالمهدية، ثم أرسل رسولاً آخر وهذه المرة كانت لهجته أعنف وفيها إساءة أدب، فغضب علي وصرف رسول رجار دون جواب، ورداً على ذلك هدد رجار بغزو المهدية[5]، فهدده علي بإدخال العرب الهلالية إلى صقلية وبالمرابطين أيضاً ثم اتصل بعلي بن يوسف بن تاشفين واتفق معه على مهاجمة صقلية[6]، وفي ذلك

---

1. (قابس):مدينة إلى جهة القيروان، وهي ذات مياه جارية. (ابن حوقل، أبي القاسم النصيبي): صورة الأرض منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت، (1979م)، ص72.
2. (ابن أبي دينار): المصدر السالف، ص89.
3. (الوزير ، السراج): المصدر السالف، ج1، ق2، ص354-355.
4. (ابن غلبون، أبوعبد الله بن خليل بن عبد الرحمن الطرابلسي): التذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من أخبار ،تح:الطاهرأحمد الزاوي،المطبعة السلفية،القاهرة،(1349هـ)،ص40-41
5. (ابن عذارى): المصدر السالف،ج1،ص443.(التجاني): المصدر السالف، ص334.
6. (حسين، ممدوح): المرجع السالف، ص200.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إشارة للعلاقة الجيدة التي تربط الزيريين بالمرابطين الذين يمكن أن يقدمواعوناً له ضد النورمان الذين كانوا يفكرون بشكل جدي بغزو شمال أفريقيا، ومازالت الفتنة القائمة بينهما إلى أن توفّى علي بن يحيى سنة (515هـ/1124م) وولي بعده ابنه الحسن[1]، الذي ستشهد في عهده المهدية أصعب محنها لأنها ستتعرض للغزو مرتين.

وفي سنة (516هـ/1125م) قام أبو عبد الله بن ميمون قائد علي بن يوسف بالهجوم على نقوطرة في جزيرة صقلية، فنسب رجار الثاني ذلك الهجوم للحسن بن علي واعتبره المحرض والمسبب له بسبب الوحشة التي كانت بينه وبين أبيه علي بن يحيى[2]، ورداً على ذلك قام رجار بتعميرالشواني[3] والمراكب فاجتمع لديه من الأسطول حوالي ثلاثمئة مركب وألف فارس بقيادة جرجي الإنطاكي وعبد الرحمن النصراني[4]، وقد حاول رجار الثاني التكتم أثناء الإعداد للحملة، ليمنع تسرب أخبار الحملة للحسن بن علي، وكان هدفه من ذلك الاستفادة من عنصرالمفاجئة، إلا أن الحسن بن علي لم يخف عليه ما كان ينويه رجار الثاني فأمر باتخاذ الأسلحة وتشييد الأسوار، وأنزل قواته بظاهر المهدية[5]، وقد قدرت المصادر الإسلامية عدد الجيش الذي اجتمع للحسن بن علي بمئة ألف رجل وعشرة آلاف من الخيالة [6]، ثم سار الأسطول النورماني بعدته وعتاده 25 جمادى الأولى من سنة (517هـ /1123م) من مرسى علي[7]، ففرقتهم الريح وغرق منه مراكب، فنزل من سلم من

---

1. (ابن أبي دينار): المصدر السالف، ص89.
2. (ابن عذارى): المصدر السالف، ج1، ص444
3. (الشواني): جمع شنينة أو شنيني، وهي أهم قطع الأسطول الإسلامي، وأطولها وتجذف 143مجذاف، وهي مزودة بأبراج وقلاع للدفاع والهجوم. (طرخان،إبراهيم علي): المرجع السالف، ص68.
4. (ابن خلدون): المصدر السالف، ج6، ص161.
5. (ابن الأثير): المصدر السالف، مج 10، ص612.
6. (ابن أبي دينار): المصدر السالف، ص89.
7. (مرسى علي): كانت أيام المسلمين من أكثر المراسي حركة وأكبرها تجارة ونقطة اتصال بين صقلية والبلاد الأفريقيا. (المدني، أحمد توفيق): المسلمون في جزيرة صقلية، ص43.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الريح جزيرة سوقطرة وفتحوها، وقتلوا من بها وسبوا وغنموا[1]، ثم نزلت الحملة بجزيرة الأحاسي التي تبعد عشرة أميال من المهدية [2]، وقد قام القائدان جرجي وعبد الرحمن النصراني بجولة حول المهدية لمعاينتها، فهالهما ما رأيا من أسوار وتحصين، وهذا يدل على أن خبر الحملة وصل للحسن بن علي، بدليل ما شاهده القائد أثناء طوافهما من تحصينات وحشود جمعت لهذا الغرض رغم تكتم رجار الثاني أثناء إعداده للحملة، وحيال ذلك قام الأسطول النورماني بإنزال الفرسان للاصطدام مع المسلمين لكن الدائرة كانت عليهم [3].

وفي أواخر جمادى الأولى تمكنوا من أخذ قصر الديماس[4] نتيجة لخيانة رجل من العرب الهلالية[5]، لكن المسلمين في آخر ليلة من جمادى الأولى دخلوا الجزيرة، ومن أثر التكبيرهلع النورمان إلى سفنهم تاركين أسلحتهم وخيولهم، فأخذها المسلمين كغنيمة، ثم حاصروا قصر الديماس والأسطول النورماني في البحر يراقب عن كثب سير الأحداث، ولا يستطيع أن يتقدم لإنقاذ من بداخل القصر، ثم أقلعوا عائدين إلى صقلية، وكانت مدة إقامتهم في الحصن ستة عشر يوماً[6].

ثم جاءت الضربة الثانية لرجار الثاني حيث قام أسطول المرابطين بقيادة أبي عبد الله بن ميمون للمرة الثانية وأغار على صقلية، وكعادة رجار نسب هذا الهجوم إلى الحسن بن علي، فعزم على غزو المهدية، لكن في الوقت نفسه أدرك أن احتلال أفريقيا ليس بالأمر السهل، لذلك لجأ إلى المراوغة حيث عقد صلحاً مع الحسن بن

---

1. (ابن الأثير):المصدر السالف، مج 10، ص 612.
2. (الحميري): المصدر السالف، ص14.
3. (التجاني): المصدر السالف، ص335. (الوزير، السراج): المصدر السالف، ج1، ق2، ص471.473.
4. (قصر الديماس): هو حصن منيع في وسطه حصن آخر،وهو مشرف على البحر.(ابن الأثير): المصدر السالف، مج 10، ص612.
5. (ابن عذارى): المصدر السالف، ج1، ص445. (التجاني): المصدر السالف،ص338-339.
6. (ابن الأثير): المصدر السالف،مج 10، ص 612. (ابن غلبون): المصدرالسالف،ص 43.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

علي: (وفي نفسه ما فيها لتتم خديعتهم ويتمكن من مراده)، لكن ما فعله الحسن لم يرض رعيته فنقم عليه أهالي المهدية[1]، وكتبوا إلى يحيى بن العزيز الحمادي صاحب بجاية[2]، وأطمعوه بتسليم البلد، وبالفعل أرسل يحيى جيشاً بقيادة مطرف بن حمدون، ولم يكتف بذلك بل إنه دعم الجيش بأسطول بحري لمحاصرة المهدية، ويقول ابن أبي دينار :(وجاءته العربان من كل فج)، أي أن العرب الهلالية لم يكونوا راضين عن الصلح الذي جرى بين رجار الثاني والحسن بن علي [3].

أما المهدية فقد طال الحصارعليها فأرسل الحسن بن علي إلى رجار الثاني يطلب منه المساعدة اعتماداً على ما بينهما من عهود وصداقة[4]، وهذا يدل على التناقض في موقف الحسن بن علي ففي سنة (517 هـ/ 1123 م) يحارب رجار وينتصرعليه، ثم يعود في سنة (529هـ /1135 م) يطلب منه المساعدة، ويبدو أن هذا التناقض فرضته طبيعة الوضع السياسي السائد في تلك الآونة، لكن ذلك لا يبرر للحسن بن علي طلب المساعدة من عدو ضد ابن عمه، المهم أن رجار الثاني تدخل لصالح الحسن بن علي وأرسل أسطولاً إلى المهدية، فاضطر مطرف لفك الحصارعنها[5]، ويبدو أن رجار الثاني لم يرغب بعودة الأسطول دون الحصول على غنائم، فجواسيسه في المهدية أخبروه أن بالمرسى مراكب قد استوفت وسقها، فما كان من قائد الأسطول إلا أن استولى عليها وأرسلها إلى صقلية[6]، أما الحسن فقد كتب لرجار أنه داخل تحت أمره متناسياً ما فعله الأسطول النورماني في نهب المراكب في مرسى المهدية[7].

---

1. (ابن الأثير): المصدر السالف، مج11، ص31-32.
2. (بجاية): مدينة كبيرة حصينة شهيرة برية وبحرية في سفح جبل وعر. (العبدري، أبي عبد الله محمد بن محمد بن علي بن أحمد بن سعود): رحلة العبدري، تح: علي إبراهيم كردي، ط1، دار سعد الدين، دمشق، (1419هـ/ 1999م)، ص82.
3. (ابن أبي دينار): المصدر السالف، ص90.
4. (ابن الأثير): المصدر السالف، مج11، ص31-32.
5. (ابن خلدون): المصدر السالف، ج6، ص161-162.
6. (مقديش): المصدر السالف، مج1، ص484.
7. (الوزير ، السراج): المصدر السالف، ج1، ق2، ص 475.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وبعد أن ضمن رجار الثاني مناصرة الحسن هاجم في السنة نفسها جزيرة جربة[1]، بحجة أنها كانت خارج عن طاعة الحسن وأخذها عنوة، واستخدم اتجاه أهلها الأعمال الشنيعة التي تدل على عنفه الفرنجي، فقتل رجالها وسبى نساءها وباعهم في صقلية، ثم ولى عاملاً من قبله[2]، والغريب موقف الحسن بن علي الذي لم يظهر أي سخط أورد فعل على ما فعله رجار في جربة، فهل كونها خارجة عن طاعته يبرر له موقفه ؟ أم أنه كما قال ابن أبي دينار: (والحسن في أغلب أوقاته يدافعه . أي لرجار- عن نفسه بالتي هي أحسن)[3]، وإذا كان احتلال جربة لم يثر استنكارالحسن بن علي فإنه أثار استنكار الخليفة الفاطمي، الذي أرسل إلى رجار رسالة يحتج فيها على هذا الاحتلال[4]، على الرغم من أن الخلافة الفاطمية كانت في طور الضعف الأمرالذي شجع الفرنجة على القيام بمثل هذه الحملة.

وقد استمر الوضع على ما هو عليه إلى أن كانت سنة (536هـ/1141م) حيث عادت الوحشة من جديد بين رجار الثاني وبين الحسن بن علي، وهذه المرة بسبب مال استلفه الحسن من وكلاء رجار وماطل بوفاء الدين، فما كان من رجار كعادته إلا أن أرسل أسطولاً إلى المهدية، وقد حاول الحسن بن علي إتباع أسلوب الحسنى فأهدى إليه أسرى، لكن رجار رفض، فحاول الحسن مرة أخرى ملاطفته، لكن رجار فرض شروطاً قاسية على الحسن فقبلها ودخل في طاعته[5]، ولم يكتف بذلك بل إنه أثناء وجود الأسطول بالمهدية استولى على مركب يحمل اسم نصف الدنيا، وهذا المركب مشحون بذخائر ملوكية، ليوجه بها إلى الخليفة الفاطمي الحافظ لمصر[6].

---

1. (جربة): جزيرة في بحر أفريقيا أقرب بلادها إلى قابس وطول جربة ستون ميلاً من المغرب إلى المشرق. (الحميري): المصدر السالف، ص158.
2. (أبي الفداء، عماد الدين إسماعيل): المختصر في أخبار البشر، دار المعرفة، بيروت، (د.ت)، ج3، ص10. إلا ابن عذارى يجعل احتلال جربة (529هـ).
3. (ابن أبي دينار): المصدر السالف، ص90
4. (حسين، ممدوح): المرجع السالف، ص208.
5. (ابن أبي دينار): المصدر السالف، ص91.
6. (التجاني): المصدر السالف،ص340.(مقديش): المصدر السالف، مج1، ص484.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وفي سنة (537 هـ / 1142 م) هاجم رجار الثاني طرابلس الغرب[1] ويقول ابن خلدون في ذلك: (كان أهل طرابلس الغرب لما انحل نظام الدولة الصنهاجية بإفريقية تقلص ظلها عنهم..... وكان بالمهدية آخر الملوك من بني باديس وهو الحسن بني علي بن يحيى بن تميم، فاستبد عندما تكالب الإفرنج..... فطمع رجار في ملكها وبعث أسطوله في البحر فنازلها آخر سنة سبع وثلاثين وخمسمئة)[2]، فمن خلال نص ابن خلدون يتبين عدة نقاط :

1. الضعف الذي وصلت إليه الدولة الزيرية، وخاصة في عهد الحسن بن علي، وهذا ما سمح للنورمان بالتطاول على ملكه، وطرابلس هي جزء منه ومن ثم تطاولهم على الحسن بن علي نفسه في المهدية سنة (543 هـ / 1148 م) كما سيمر لاحقاً.

2. استقلال طرابلس وشقها عصا الطاعة للزيرين، وبالتالي أصبحت فريسة سهلة للعدو، فولاة طرابلس من بني خزرون عندما شعروا بضعف الحسن بن علي أعلنوا طاعتهم للخليفة الفاطمي[3]، كل ذلك ورجار متتبع لأحوال طرابلس وينتظر الفرصة المناسبة لمهاجمتها .

3. قيام بني مطروح[4] كمشايخ متصرفين بشؤونها[5]،

وإذا كان ابن خلدون قد حدد أواخر سنة (537هـ /1142 م) كسنة للهجوم على طرابلس، "فابن الأثير" كان أكثر دقة عندما حدد اليوم والشهر الذي وصل فيه أسطول رجار الثاني حيث يقول: (فوصلوا إليهم تاسع ذي الحجة فنازلوا البلد)، ويزيد ابن الأثير على ذلك واصفاً الهجوم النورماني بأن النورمان بعد وصولهم نازلوا المدينة

---

1. (طرابلس الغرب): مدينة متينة مبنية على الطريقة العربية تقع على شاطئ البحر في مكان بهيج . (الحشائشي، محمد بن عثمان): الرحلة الصحراوية، تح: محمد المرزوقي، الدار التونسية للنشر، تونس، (1988م)، ص 204.
2. (ابن خلدون): المصدر السالف، ج5، ص202.
3. (حسين، ممدوح): المرجع السالف، ص212.
4. (بنو مطروح): من وجهاء طرابلس وأكبر أعيانها، كانوا من أنصار محمد بن خزرون والي طرابلس، ثم جمعوا الناس حولهم وأخرجوه منها. (الزاوي، أحمد الطاهر): تاريخ الفتح العربي في ليبيا، دار التراث العربي، ليبيا، (1969م)، ص203-204.
5. (الزاوي، أحمد الطاهر): المرجع السالف، ص203-204.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وعلقوا في سورها، ثم وصل جماعة من العرب لمساعدة أهالي طرابلس، فحملوا عليهم وهزموهم[1]، وبذلك أخفق رجار في احتلال طرابلس على الرغم من ضخامة أسطوله وكثرة جنده، وذلك بسبب المواجهة التي أبداها أهل طرابلس كذلك دور العرب الذين هبوا لنجدتها[2].

والسؤال ما هي الأسباب التي دفعت رجار الثاني إلى محاولة احتلال طرابلس ؟ إن ما تتمتع به طرابلس من أهمية تجارية، فموقعها الجغرافي جعلها تتبوأ تلك المكانة أضف إلى ذلك ميناءهاالذي يربط بين الشرق والغرب وجنوب البحرالمتوسط وشماله، كذلك بوصفها معبراً رئيسياً للسلع والمنتجات الذاهبة إلى أوربة[3]، وقد تابع رجار الثاني مخططه الفرنجي وهاجم جيجل[4] وأخذها عنوة [5]، وفي سنة (539 هـ / 1144م) استولى أسطول نورماني على مدينة برشك[6]، وقتلوا وسبوا حريمها أيضاً[7]، لكن رجار الثاني رغم هزيمته الأولى في طرابلس سنة (537هـ / 1142م) لم ييأس من احتلالها، حيث توفرت له الأسباب للعودة مرة ثانية إليها ومنها:

1. وجود مجاعة في البلاد بسبب هلاك الزروع والحروب التي أدت إلى اختلال أحوال أهلها وهجرة سكانها[8]، حتى إن الحالة الاقتصادية أثرت كماسيظهر على القوة

---

1. (ابن الأثير): المصدر السالف، مج11، ص91-92.
2. (التليسي، خليفة محمد): حكاية مدينة، الدار العربية للكتاب، طرابلس، (1974م)، ص47.
3. (الزايدي، محمد أنويجي غميض): إقليم طرابلس في القرن الثامن الهجري، بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه في تاريخ العرب و الإسلام، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، دمشق، (2007م)، ص131.
4. (جيجل): بكسر الجيم الأولى وفتح الثانية بينهما ياء ساكنة وآخره لام موضع (الحموي): المصدر السالف، مج2، ص196.
5. (ابن غلبون): المصدر السالف، ص49.
6. (برشك): هي ببلاد المغرب بلدة صغيرة، (القرماني، أحمد بن يوسف): أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ، تح: أحمد حطيط، ط1، عالم الكتب، بيروت، (1412هـ/1992م)، مج3، 323.
7. (أبي الفداء): المصدر السالف، ج3، ص17.
8. (رشدي ، راسم): طرابلس الغرب بين الماضي والحاضر، ط1،طرابلس الغرب، (1953م)، ص79.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المدافعة عن المدينة التي أصابها الوهن[1].

2ـ الانقسام السياسي بين مؤيد لبني مطروح ومعارض لهم، وقد تمكن الفريق المعارض من الانتصارعلى الفريق المؤيد وإخراج بني مطروح من البلاد، ثم قاموا بتعيين شخص محايد هو أمير لمتوني ملثم كان ماراً بطرابلس في طريقه إلى الحج[2]، ولكن قبل إكمال الحديث عن احتلال طرابلس لا بد من وقفة عند قضية الرجل اللمتوني الملثم، وما مدى صح هذه الرواية، ففي اعتقادي لا يمكن لأهل "طرابلس" أن يسلموا مدينتهم لشخص مار في طريقه إلى الحج دون أن يكون من أهل المنطقة وعالماً بأحوالها ؟ وما هوية هذا الرجل؟ كما لم يُذكر اسمه في المصادرالإسلامية، لذلك قد تكون هذه الرواية لا أساس لها من الصحة.

وهكذا استغل رجار الثاني الظروف التي تمر بها طرابلس فوجه أسطوله بقيادة جرجي الإنطاكي وألقى الحصار عليها[3]، ونتيجة للخلاف الذي جرى داخلها بين مؤيد ومعارض لبني مطروح خلت الأسوار من المقاتلة، الأمر الذي استغله النورمان وبادروا إلى الأسوار فنصبوا عليها السلالم وفتحوها بالسيف[4]، ثم أن جرجي الإنطاكي عين أبا يحيى بن مطروح والياً عليها، وعين أبا الحجاج يوسف بن زيري قاضٍ في طرابلس، فكانت أحوال المسلمين كلها تعود إلى واليهم[5]، أما بالنسبة للسنة التي حدث فيها الاحتلال، فتختلف المصادر الإسلامية بتحديدها، فمنها من يذكرأن الاحتلال تم في سنة (540 هـ/1145م)، ومنها من يقول: سنة (541هـ/1146م)[6]، إلا أن "النائب

---

1. (الزايدي، محمد أنويجي غميض): المرجع السالف، ص134
2. (التليسي، خليفة محمد): المرجع السالف، ص47.
3. (النائب الأنصاري، أحمد بك): المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب، مطبعة جمال أفندي، (د.م)، (1317هـ/ 1899م)، ص123.
4. (ابن الوردي، زين الدين عمر): تتمة المختصر في أخبار البشر، تح: أحمد رفعت البدراوي، ط1، دار المعرفة، بيروت، (د.ت)، ج2، ص72.
5. (التجاني): المصدر السالف، ص241-242. يذكر كل من التجاني وابن غلبون والحميري أن احتلالها كان سنة (540هـ)، أما كل من ابن الأثير وأبي الفداء وابن الوردي وابن خلكان يذكرون أن احتلالها كان سنة (541هـ).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الأنصاري" يورد رواية مخالفة، يقول إن احتلالها تم سنة (543هـ/1148م)[1]. أما إذا اعتمدنا على رواية المؤرخ المعاصرللأحداث فيمكن أن نعد رواية الإدريسي هي الأصح حيث يقول: (استفتحها رجار في سنة أربعين وخمس ماية فسبى حرمها وأفنى رجالها)[2]، وفي السنة نفسها (540هـ/1145م) قام رجار الثاني بمحاصرة قرقنة[3] والنزول فيها مدعياً أن أهلها رفضوا طاعة الحسن بن علي، فقتل وسبى النساء[4].

وفي سنة (542 هـ/1143م) عاد رجار الثاني إلى "شمال إفريقيا"، ولكن هذه المرة لاحتلال "قابس"، وقد مر سابقاً كيف تدخل رجار الأول لصالح والي قابس ضد "الزيريين"، وكيف أدى هذا التدخل إلى الهجوم على المهدية، فكأن العادة الجارية لدى ولاة قابس أن يلجؤوا إلى أمراء صقلية لحل مشاكلهم مع الزيريين، وهذا ما حدث أيضاً في احتلال قابس التي كان واليها رشيد بن بني دهمان . من بطون الهلالية. لكنه ما لبث أن توفّى ونصب مولاه يُوسف ابنه محمد بن رشيد، وكان الغرض من ذلك الاستبداد بمحمد مستغلاً صغر سنه وإبعاد معمر الابن الأكبر لرشيد [5]، ولم يكتف بذلك بل إنه استولى على البلد واستبّد بها، ثم إنه أخذ يتعرض لحرمة سيده، وكانت امرأة من بني قرة الهلالية، فأرسلت تشكو لأخوتها فحضر أخوتها في طلبها، لكن يُوسف امتنع عن ذلك وقال: (هذه حرمة مولاي)، فوجه بنو قرة ومعمر بن رشيد شكايتهم إلى الحسن بن علي الذي كاتبه في ذلك، لكن يوسف هدد بالاستنجاد برجار الثاني وقال: (لئن لم يكف عني وإلا سلمت قابس إلى صاحب صقلية)[6]، فجهز الحسن بن علي جيشاً وناصره بذلك العرب، وعندما وصل الخبر إلى يوسف بخروج

---

1. (النائب الأنصاري): المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب، ص124.
2. (الإدريسي): المصدر السالف، ص99.
3. (قرقنة): تقابل صفاقس في البحر، وهي وسط بينها وبين صفاقس عشرة أميال . (الحموي): المصدر السالف، مج4، ص329.
4. (شيخة، جمعة): قرقنة وجربة في كتب الرحلات، ط1، المطبعة المغاربية، تونس (1415هـ /1994م)، ص14.
5. (ابن خلدون): المصدر السالف، ج5، ص203.
6. (ابن الأثير): المصدر السالف، مج11، ص120.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الحسن اتصل برجار يظهر له الطاعة ويطلب منه أن يوليه قابس اقتداء ببني مطروح في طرابلس[1]، أما أهالي قابس عندما علموا باستنجاد يُوسف برجار ثاروا عليه وحاصروه وقبضوا عليه وعذبوه ثم قتلوه، وهذه دلالة على أن أهالي قابس لم يرضوا بإدخال عنصرأجنبي إلى بلادهم، وبعد قتل يوسف استلم معمر بن رشيد الحكم مكان أخيه محمد وأخذ بنو قرة أختهم[2]، أما من نجا من أخوة يوسف فكان عيسى الذي فر إلى صقلية، وأعلم رجار الثاني بما حدث وأن الحسن قد أعان على قتل يوسف، (فأنف اللعين من ذلك.....فعول على غزو المهدية)[3].

ومن خلال ما سبق يمكن الاستنتاج أن أحداث قابس هي المحرض على قدوم رجار لغزو المهدية سنة (539هـ/1135م)، وسنة (543هـ /1148م)، وأن استعانة ولاة قابس المستمرة برجار الثاني ضد الزيريين يدل على مدى التفكك والتمزق الذي يسود أفريقيا تلك الآونة، مما جعل منها مطمعاً من جيرانها النورمان في صقلية، أما رجار الثاني فقد أرسل أسطوله إلى قابس وحاصرها، لكنه فشل في احتلالها فسحب أسطوله إلى صقلية[4]، لكنه سيعود مرة ثانية للمهدية، حيث تجمعت لرجارعدة أسباب جعلته يتجه لاحتلالها منها :

1. رغبة رجار أن يجعل من المهدية قاعدة له في شمال أفريقيا ينطلق منها للسيطرة على بقية المدن الإفريقية[5].

2. ما كانت تعانيه شمال أفريقيا من غلاء وقحط منذ سنة (537هـ /1142م)[6]، حتى إن الناس تركوا البلاد وهاجروا إلى صقلية، وقيل أنهم أكلوا بعضهم بعضاً[7].

---

1. (ابن خلدون): المصدر السالف، ج5، ص203.
2. (الوزير ، السراج): المصدر السالف، ج1، ق2، ص356.
3. (ابن أبي دينار): المصدر السالف، ص91.
4. (الوزير ، السراج): المصدر السالف، ج1، ق2، ص356.
5. (العدوي ، أحمد ابراهيم): المرجع السالف، ص284.
6. (ابن العماد، أبي الفلاح عبد الحي): شذرات اذهب في أخبار من ذهب، مكتبة المقدسي القاهرة، (1305هـ/1887م)، ج4، ص13.
7. (أبي الفداء): المصدر السالف، ج3، ص19.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

3ـ أدى هذا الغلاء إلى إضعاف جند الحسن بن علي، وبالتالي أدرك رجار الثاني ضعف الجيش الزيري عن مقاومته عند احتلال المهدية.

4ـ ما ذُكر سابقاً من الوحشة بين رجار الثاني والحسن بن علي منذ سنة (536هـ /1141م).

5. مسيرأهل يوسف إلى رجار يشتكون قتله مما أغضب رجارلتدخل الحسن بن علي.

وهكذا تهيأت الظروف والأسباب لرجار الثاني لاحتلال المهدية، حيث قام بتعمير الأسطول الذي بلغ ما بين 250 إلى 300 قطعة[1]، والذي كان بقيادة جرجي الإنطاكي، ثم وصل إلى جزيرة قوصرة ـ يبدو أن قوصرة هي مفتاح الوصول إلى المهدية ونقطة انطلاق إليها. وهناك صادفوا مركباً وصل من المهدية، وهوعلى ما يبدو عيون وجواسيس تابعة للحسن بن علي، فالحسن عندما شعر بخطر رجار وبنيته القيام بغزو المهدية، وجه عيونه وجواسيسه لتنقل له أخباروتحركات المراكب في عرض البحر، والدليل على ذلك اختيار جزيرة قوصرة التي تقع على منتصف الطريق بين المهدية وصقلية. وقد زود المراكب بالحمام الزاجل لتنقل الأخبار بسرعة.

وعند وصول الأسطول النورماني إلى قوصرة علم بعدم وصول الخبر إلى الحسن، فأمر جرجي أن يكتب الرجل الذي في عهدته الحمام بخطه: (إننا لما وصلنا جزيرة قوصرة وجدنا بها مراكب من صقلية فسألناهم عن الأسطول المخذول فذكروا أنه أقلع إلى جزائر القسطنطينية)[2]، فجورجي الإنطاكي بتصرفه هذا قصد مخادعة ومباغتة المهدية، وبالفعل أطلق الحمام ووصل المهدية، فأطمأن الحسن بن علي من عدم مجيء النورمان، لكن المشيئة الإلهية حالت دون تنفيذ مخطط جرجي، ففي الوقت الذي وصل فيه المهدية في صفر من سنة (543هـ/1148م)[3] هبت ريح منعته من دخول المرسى، حتى إنه لم يستطع الحركة إلا بالمقاذيف[4].

---

1. (ابن خلدون): المصدر السالف، ج5، ص203.
2. (ابن الأثير): المصدر السالف، مج11، ص125.
3. (ابن سباط ، حمزة بن أحمد بن عمر): تاريخ ابن سباط، تح: عمر عبد السلام تدمري، ط1، جروس برس، طرابلس لبنان، (143هـ/ 1993م)، ج1، ص80.
4. (ابن غلبون): المصدر السالف، ص 43.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وعند فشل خطة جرجي لجأ إلى أسلوب آخر في الخديعة إلا أنها هذه المرة لم تنطل على الحسن بن علي، فقد أرسل جرجي إلى الحسن بأنه باق على عهده، وإنما جاء ليرد محمد بن رشيد إلى قابس، وزاد على ذلك بأنه بحاجة لمساعدته في ذلك حيث طلب منه عسكراً ليستعين بهم بتنفيذ مهمته[1]، فجمع الحسن أهالي المهدية واستشارهم في ذلك، إلا أنه في النهاية قال: (والرأي أن نخرج بالأهل والولد ونترك البلد فمن أراد أن يفعل كفعلنا فليبادر معنا)[2]. ولكن السؤال هنا ما هي دوافع الحسن بن علي للخروج من المهدية ؟ ولماذا رأى الخروج أفضل رغم أن الفقهاء والأعيان أشاروا عليه بالقتال ؟ لقد رأى الفقهاء المهدية حصينة وقادرة على الوقوف في وجه النورمان، لكن الحسن أدرك قلة المؤونة والعسكر وخاصة أن قسم من العسكر خرج لمساعد محرز بن زياد صاحب المعلقة[3] في قتاله مع ابن خراسان في تونس[4]، كذلك فالحسن بن علي لم يرغب في مساعدة العدو ضد المسلمين، فخرج من القصر بما خف ومن أمكنه من أهله وولده وتبعه الناس[5].

أما الأسطول فقد بقي ينتظر هدوء الريح إلى لانت وهدأت، فدخل المهدية فوجدها خالية، ثم دخل قصر الحسن بن علي فوجده على حاله مملوءً بالذخائر الملوكية والخزائن والغرائب، ثم نادى بالأمان فارتفع النهب والسلب[6]، أما الحسن بن علي فقد توجه إلى المعلقة وأميرها محرز بن زياد وأقام عنده بضعة شهور، ثم عزم على قصد مصر[7]، وعندما علم جرجي بذلك جهز الشواني ليمنعه من ذلك، فغير الحسن رأيه وعزم على المسير إلى عبد المؤمن بن علي بالمغرب، فبقي إلى أن ملك عبد المؤمن

---

1. (الوزير ، السراج): المصدر السالف، ج1، ق2، ص475.
2. (ابن الأثير): المصدر السالف، مج11، ص126.
3. (المعلقة): قلعة حصينة بشمال إفريقية تجاور تونس . (ابن خلكان): المصدر السالف، ج6، ص217
4. (التجاني): المصدر السالف، ص341.
5. (مخلوف): المصدر السالف، ص134.
6. (أبي الفداء): المصدر السالف، ج3، ص19.
7. (ابن خلكان): المصدر السالف، ج6، ص217.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بجاية سنة (547هـ/1152م) فحضر عنده، وبعد أن انتهى رجار الثاني من احتلال المهدية أرسل أسطولين أحدهما إلى سوسة[1]، التي سلم أهلها بمجرد سماع خبر المهدية بلا قتال، وخرج واليها علي بن الحسن بن علي[2]، وقد علق "ابن عذارى" على احتلال المهدية بقوله: (وتعرف هذه الكائنة الشنعاء بكائنة يوم الإثنين، وفي سنة 558هـ كانت كائنة يوم السبت بنزول الروم على المهدية)، و(في سنة 573هـ كانت كائنة يوم الجمعة بنزول النصارى على المهدية)[3].

أما صفاقس[4] فإن النورمان امتلكوها بالخديعة كسابق عهدهم، فالنورمان عندما هاجموا المدينة خرج أهالي صفاقس لقتالهم، فأظهر النورمان الهزيمة فاتبعهم المسلمون، عندئذ عاد النورمان لمهاجمتهم فتفرق المسلمون إلى قسمين، قسم هرب إلى البرية، وقسم عاد إلى صفاقس، ثم دخلها النورمان في صفر من سنة (543هـ /1139م)[5]، أما عن السنة التي تم فيها الاحتلال فيذكر ابن عذارى روايتين، ففي أولها يذكر أن احتلال صفاقس كان سنة (538هـ/1139م)، ثم يذكر سنة (543هـ/1143م)[6]، وبعد الاحتلال قام رجار الثاني بإسكان جماعة من النصارى فيها، وحصل على رهائن منهم شيخ البلد أبي الحسن الفرياني، وقد بقي ولده عمر بن أبي الحسن قائماً بأمورها[7]، ويبدوأن هدف رجار الثاني من احتلال صفاقس جعلها

---

1. (سوسة): وهي صغيرة حسنة مبنية على شاطىء البحر بينها وبين تونس أربعون ميلاً..(ابن بطوطة ،أبو عبد الله محمد بن إبراهيم): رحلة ابن بطوطة، شرحه: طلال حرب، دار الكتب العلمية، بيروت، (د. ت)، ص35.
2. (ابن الأثير): المصدر السالف، مج11، ص128.
3. (ابن عذارى): المصدر السالف، ج1، ص456-457.
4. (صفاقس): مدينة بشرقي المهدية وهي مدينة صغيرة.(ابن أيوب،عماد الدين إسماعيل بن الملك الأفضل نور الدين علي بن جمال الدين بن محمد بن عمر بن شاهنشاه): كتاب تقويم البلدان، صححه: رينود، دار الطباعة السلطانية، باريس المحروسة، (1840 م)، ص144 . 145.
5. (ابن الأثير): المصدر السالف، مج11، ص128.
6. (ابن عذارى): المصدر السالف، ج1، ص452.
7. (التجاني): المصدر السالف، ص75.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

نقطة لعدوانه ولمد نفوذه على مناطق شمال إفريقيا، وفي سنة (548هـ/1154م) احتل رجار الثاني قرقنة للمرة الثانية، وبقيت تحت سيطرته سبع سنوات، ثم قام بإرسال أسطول إلى بونة[1]، وكان مقدم الأسطول فيليب المهدوي حاصرها وأخذها في رجب من السنة نفسها، ثم عاد إلى المهدية [3].

1. (بونة أو عنابة): وهي مدينة أفريقيا.(الحميري): المصدر السالف، ص115.
2. (ابن الأثير): المصدر السالف، مج11، ص187.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تحرير شمال أفريقيا :

كانت أولى تلك الثورات ضد النورمان ثورة أهالي جربة سنة (541هـ/1154م)، حيث قتل الأهالي الكثير من النورمان المتواجدين في الجزيرة فجاء رد الفعل الفرنجي من "غليالم" الذي أرسل أسطولاً وقمع الثورة، ولم يكتف بذلك بل نقل كثيراً من أهلها سبايا إلى صقلية[1]، ومما يلاحظ على الجزيرة تعرضها للغزو النورماني عدة مرات ثم استردادها، وهذا يدل على صمود أهالي الجزيرة بالدفاع عنها، فالاحتلال لا يدوم طويلاً إذ سرعان ما يهاجم سكانها النورمان ويطردوهم.

أما بالنسبة لصفاقس فقد ثار أهلها سنة (551هـ/1156م) لطرد النورمان، فبعد احتلال صفاقس .كما تقدم . أخذ النورمان أبا الحسن الفرياني رهينة وحل ابنه محله[2]، وقبل مسير أبي الحسن إلى صقلية قال لولده عمر :(إنني كبير السن وقد قارب أجلي، فمتى أمكنتك الفرصة في الخلاف على العدو فافعل .... ولا تنظر في أنني اقتل واحسب أني قد مت)[3]، وهذا إن دل على شيء يدل على غيرة أبي الحسن على أهل بلده وتفضليه المصلحة العامة على المصلحة الشخصية، وإن كان ذلك سيكلفه حياته، ولما وجد عمر بن أبي الحسن الفرياني الفرصة المناسبة دعا أهالي صفاقس إلى الثورة، فوزع جنده وقال لهم: (يطلع منكم جماعة إلى السوروجماعة إلى مساكن الإفرنج والنصارى جميعهم وليقتلوهم فقالوا: إن الشيخ والدك نخاف عليه فقال: هو أمرني بهذا وإذا قتل بالشيخ ألوف من الأعداء فما مات)[4].

وعندما وصلت الأخبار إلى صقلية بثورة أهالي صفاقس أحضر غليالم أبا الحسن وأخبره بفعلة ابنه، وطلب منه أن يكتب له ينهاه عن ذلك، إلا أن أبا الحسن رفض ذلك وقال: (إن من أقدم على هذا لا يرجع بكتاب)، ثم أرسل غليالم إلى عمررسولاً يهدده

---

1. (التجاني): المصدر السالف، ص126. (الوزير، السراج): المصدر السالف، ج1، ق2، ص376.
2. (ابن خلدون): المصدر السالف، ج6، ص169.
3. (ابن الأثير): المصدر السالف، مج11، ص203.
4. (ابن الأثير): المصدر السالف، مج11،ص203-204. (مقديش): المصدر السالف، مج1، ص491 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بقتل أبيه، فلم يُسمح للرسول بالدخول إلى البلد إلا في اليوم التالي، ثم خرج أهل البلد ومعهم جنازة تحت نظرالرسول فدفنوها، ثم طلب الرسول مقابلة عمر فقيل له إنه مشغول بالعزاء في والده بصقلية، فنقل الرسول ما شاهده، فاغتاظ غليالم وقتل أبا الحسن [1]،

أما عمر فقد استمر في تدبير شؤون صفاقس إلى أن نزل عبد المؤمن إلى أفريقيا لتحرير المهدية، فوصل إليها عمر مع جماعة من أعيان صفاقس فأذعنوا له بالطاعة[2]، لكن المؤرخين يعدون ثورة أهالي صفاقس سبباً في ثورة باقي مدن شمال أفريقيا على النورمان[3]، فقد تبعهم أيضاً أبو يحيى بن مطروح في طرابلس، ثم محمد بن رشيد، كما أرسل عمر بن أبي الحسن إلى زويلة يحرضهم على الثورة، وبالفعل ثاروا وساعدهم بذلك العرب الهلالية وأهل صفاقس، فحاصروا المهدية، وعندما وصل الخبر إلى غليالم سيَّرعشرين شنيناً مشحونة بالرجال والطعام والسلاح ودخلوا البلد، لكن النورمان حاولوا شراء بعض الأشخاص من العرب بالمال، وأثناء القتال في ظاهر المدينة أظهر هؤلاء الانهزام، فلم يبق في ساحة القتال سوى أهل زويلة وصفاقس فتكاتل عليهم النورمان، فما كان من أهل صفاقس إلا أن عادوا ولم يبق إلا أهل زويلة، فعادوا إلى مدينتهم فوجدوا أبوابها مغلقة، وأصبح أهل زويلة بين فكي كماشة، ولم يكن هناك مجال إلا القتال واصطدم الطرفان تحت سور زويلة، وقتل كثير منهم ثم فتحت الأبواب وخرج من بداخلها، ففر من استطاع الفرار، ثم عاد النورمان إلى المهدية، لكن جماعة من الناجين مضوا إلى عبد المؤمن وأخبروه بأمر زويلة و المهدية[4].

أما عن ثورة أهالي طرابلس سنة (553 هـ/1158م) فقد ذُكر في الحديث عن ثورة أهالي صفاقس كيف امتد تأثيرها إلى طرابلس في الوقت الذي لاح في الأفق نجم

---

1. (ابن الأثير): المصدر السالف، مج11، ص204. (ابن خلدون): المصدر السالف، ج5، ص 205.
2. (التجاني): المصدر السالف، ص75 . 76. (الوزير، السراج): المصدر السالف، ج1، ق2، ص333.
3. (مقديش): المصدر السالف، مج1 ص493.
4. (ابن الأثير): المصدر السالف، مج11، ص204– 205.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الدولة الموحدية التي ستأتي محررة شمال أفريقيا، وقد حاول "غليالم" إبعاد لهيب الثورة عن طرابلس، حيث لجأ لإحداث فتنة بين الأهالي تلهيهم عن التفكير في الثورة وعن الاتصال بالموحدين[1]، فقد طلب من أئمة المساجد في طرابلس أن يقوموا على المنابر ويذموا الموحدين على مسمع من الناس، لكن القاضي أبي الحجاج اجتمع برئيس الحامية النورمانية الموجودة في طرابلس وبلغه احتجاج الأهالي، وأن ذلك يخالف شروط العقد بينهما الذي ينص على أن: (لا يكلف المسلمون بشيء يخالف دينهم، وذم الموحدين فيه مخالفة للدين كما وهددوهم بإجلائهم عن المدينة)[2]، يتضح من ذلك الروح الإسلامية في أهالي طرابلس ويقظة الشعور الديني الذي بدأ مع بداية ظهور قوة الموحدين التي مثلت الأمل في توحيد الجهود لطرد النورمان،وقد خطط أهالي طرابلس للتخلص من النورمان،وعند حلول الليل قام الأهالي بنصب الخشب والأناشيط في الطرقات لتمنع الخيل من الجري ثم نادوا بالثورة، فبادر النورمان إلى خيولهم لكنها لم تتمكن من الركض (فأخذوا قبضاً باليد وعاد البلد إلى تملك المسلمين).

وبعد طرد النورمان من طرابلس قام الأهالي بتولية "رافع بن مطروح" للمرة الثانية على "طرابلس"، وبقي يصرف شؤونها إلى أن قام "عبد المؤمن بن علي" باسترداد المهدية سنة (555هـ / 1160م)، فوفد رافع إلى المهدية وقدم الطاعة لعبد المؤمن فأقره على طرابلس[3].

أما عن تحرير المهدية فقد ذكرنا كيف وصلت جماعة إلى "عبد المؤمن بن علي" بعد أحداث ثورة صفاقس و زويلة يخبرونه بأوضاع بلادهم، فتأثر لذلك حتى قيل أن عينيه دمعتا ثم قال: (أبشروا لأنصرنكم إن شاء الله ولو بعد حين)[4]. أضف إلى ذلك أن الحسن بن علي منذ إقامته في مُرَاكُش وهو يغري عبد المؤمن بالتحرك تجاه شمال أفريقيا ويحضه على استعادة المهدية من أيدي النورمان، وبالفعل بدأ بالتحرك

---

1. (الزاوي، أحمد الطاهر): المرجع السالف، ص207.
2. (التجاني): المصدر السالف، ص242. (ابن غلبون): المصدر السالف، ص51.
3. (التجاني): المصدر السالف، ص242-243. (ابن غلبون): المصدر السالف، ص51.
4. (ابن الأثير): المصدر السالف، مج11، ص 241.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تجاه المهدية[1]، ولكن قبل البدء بالرحيل قام عبد المؤمن بسلسلة من التحضيرات إدراكاً منه بعد المسافة بين مُرَاكُش والمهدية، فأمر بجمع ما يلزم الجيش من زاد ومياه، كذلك أمر بحفر الآبار على الطرقات لتأمين المياه للجيش أثناء سفره[4]، وقد قدرت المصادر الإسلامية جيش عبد المؤمن بن علي بمئة ألف فارساً أما الرجالة فلا يحصون[2]، إلا أن صاحب كتاب الحلل الموشية في ذكر الأخبار المُراكشية كان له رأي آخر يقول: (بلغ جيشه في هذه الوجهة إلى خمسة وسبعين ألف فارس ومن الرجالة خمسمائة ألف منقسماً على أربعة عساكر لكل عسكر يوم يختص به وماء ينزل عليه.....)[3].

ورغم ما تحمله هذه الرواية من مبالغة إلا أن ذلك لا ينفي أهمية الجيش الذي جمعه عبد المؤمن لهذه المهمة، وكانت انطلاقة هذا الجيش في صفر (554هـ/1159م)، بالإضافة إلى أسطول يسايره بحراً ويتألف من سبعين مركباً يقودهم "محمد بن عبد العزيز بن ميمون" و"ابن الخراط" و"أبو الحسن الشاطبي"[4].

المهم أن الجيش والأسطول سارا باتجاه تُونُسَ في 24جمادى الأخرى من سنة (554هـ/ 1159م)، وكان أميرها "أحمد بن خراسان" وقد أرسل "عبد المؤمن" إلى أهلها يدعوهم إلى الطاعة فامتنعوا، فقاتلهم ودخل الأسطول إليها، لكن الريح منعتهم من دخول البلد، وعند حلول الليل نزل سبعة عشر رجلاً من أعيانها على عبد المؤمن يسألونه الأمان، فأجابهم في أنفسهم وأهليهم وأموالهم، أما ما عداهم من أهل البلد فيؤمنهم في أنفسهم، وأهليهم ويقاسمهم أموالهم وأملاكهم نصفين[5]، وأن يخرج صاحب

---

1. (التجاني): المصدر السالف، ص244. (الوزير، السراج): المصدر السالف، ج1، ق2، ص479.
2. (ابن خلدون): المصدر السالف، ج5، ص206.(مقديش): المصدر السالف، مج1، ص494.
3. (التجاني): المصدر السالف، ص244. (الوزير، السراج): المصدر السالف، ج1، ق2، ص479.
4. (مؤلف مجهول): الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تح: سهيل زكار، ط1، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، (1399هـ / 1979م)، ص52.
5. (التجاني): المصدر السالف، ص247.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

البلد هو وأهله، فاستقر ذلك وتسلم البلد[1]، وقد أقام ثلاثة أيام ثم ارتحل عنها إلى المهدية وخلف بتونس أبا محمد عبد السلام الكومي[2]. وقد وصل عبد المؤمن المهدية يوم الأربعاء12رجب سنة (554هـ/1159م) والنورمان قد أخلوا زويلة فدخلها عبد المؤمن فصارت معمورة[3].

ثم نزل عبد المؤمن المهدية وحاصرها أشد حصار، ويصف "المراكشي" حصانة المهدية الأمر الذي ساعد النورمان على احتمال الحصار، فيقول: (وهي من معاقل المغرب المنيعة، لأن بنيانها في غاية الإحكام والوثاقة، بلغني أن عرض حائط سورها ممشى ستة أفرس في صف واحد.....، والبحر في قبضة من في البلد يدخل الشيني كماهو بمقاتلته إلى داخل دار الصناعة، لا يقدرأحد ممن في البر على منعه، فبهذا قدر الروم على الصبرعلى الحصار،لأن النجدة كانت تأتيهم من صقلية..)[4].

ثم إن النورمان كانوا يقومون بغارات خاطفة على معسكر عبد المؤمن، لذلك أمر ببناء سور يمنع النورمان الخروج من المدينة، وأحاط أسطوله المدينة من البحر، ثم ركب "عبد المؤمن" مع "الحسن بن علي" قطعة وطافا معاً في البحر[5]، فهاله أمرها وعلم أنها لا تفتح بقتال وليس لها إلا مطاولة الحصار، فاستمر حصارها ستة أشهر[6]، وأثناء ذلك بدأت تتوافد على عبد المؤمن وفود المدن الإفريقية فجاء عمر بن الحسن الفرياني صاحب صفاقس كذلك أطاعه أهل طرابلس لكنه فتح قابس بالسيف[7].

---

1. (التجاني): المصدر السالف، ص245. (مؤلف مجهول): المصدر السالف، ص153.
2. (الصنهاجي، أبو بكر بن علي المكنى بالبيذق): كتاب المهدي بن تومرت، تح:عبد الحميد حاجيات، ط2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، (1986م)، ص115.
3. (ابن الأثير): المصدر السالف، مج11، ص241.(ابن خلدون): المصدر السالف، ج5، ص206.
4. (المراكشي ، ابي محمد عبد الواحد بن علي): المعجب في تلخيص أخبارالمغرب، شرحه: صلاح الدين الهواري، ط1،المكتبة العصرية،بيروت، (1426هـ/2006م)، ص169.
5. (ابن الأثير): المصدر السالف، مج11، ص243.
6. (التجاني): المصدر السالف، ص248. (الوزير، السراج): المصدر السالف، ج1، ق2، ص481.
7. (ابن الأثير): المصدر السالف، مج11، ص243-234.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وفي 22شعبان (554هـ /1159م) جاء أسطول نورماني مؤلف من مئة وخمسين شينياً من جزيرة يابسة[1]، وعند اقترابهم من المهدية خرج إليهم جيش عبد المؤمن يقوده أبو عبد الله بن ميمون[2] وأقام عند باب دار الصنعة فلا دخول للمهدية إلا من هذا الباب، وحدثت معركة بحرية كانت لصالح المسملين[3]، وعندما شعر النورمان أن لا أمل لهم في النجاة خرج ثمانية من الأعيان النورمان إلى عبد المؤمن، وقالوا له: (يا أمير المؤمنين أنت موجود عندنا في كتبنا أنك تملك الأرض وغرضنا هو الخروج عن البلاد بأموالنا وأهلنا ونترك لك البلد)، وبالفعل استجاب لطلبهم وأعطاهم الأمان ودخل عبد المؤمن المهدية يوم عاشوراء (555هـ/1160م) فسماها سنة الأخماس[4]، وفي المهدية عرض عبد المؤمن على النورمان الإسلام ودعاهم إليه، فلم يجيبوا وأخذوا يستعطفونه بالكلام اللين، فأمنهم وأعطاهم سفناً فركبوا بها وأقلعوا باتجاه صقلية، وكان الوقت شتاءً فغرق أكثرهم ثم قام عبد المؤمن بإصلاح شؤون المهدية، وولى عليها "أبا عبد الله محمد بن فرج الكومي"، وأسكن الحسن زويلة وأمر"الكومي" أن يقتدي بالحسن ثم غادر "عبد المؤمن" المهدية في صفر من السنة عينها[5].

---

1. (جزيرة يابسة): تأنيث الشيء اليابس ضد الندي ، وهي جزيرة نحو الأندلس (الحموي) : المصدر السالف، مح5، ص424.
2. (ابن خلدون):المصدر السالف، ج5، ص206
3. (مؤلف مجهول): المصدر السالف، ص154.
4. (التجاني): المصدر السالف، ص348- 349. (الوزير، السراج): المصدر السالف، ج1، ق2، ص482. (مؤلف مجهول): المصدر السالف، ص154.
5. (ابن الأثير): المصدر السالف، مج11، ص245. (مقديش): المصدر السالف، مج11 ،ص498 -499.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الأول

حملة لويس التاسع على تونس (668هـ / 1270م):

1. دوافع الحملة وأسباب تحولها إلى تونس
   - الأسباب السياسية
   - الأسباب الاقتصادية والإستراتيجية
   - الأسباب الدينية
   - الأسباب الشخصية
2. الاستعداد للحملة ومسيرها إلى تونس
3. حصار تونس ورد الفعل التونسي
4. وفاة لويس
5. عقد الصلح وانسحاب الحملة

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قبل الدخول في تفاصيل حملة لويس التاسع على تونس، لابد من إلقاء الضوء على أوضاع المنطقة قبيل الحملة، فبعد تحرير المهدية من قبل الموحدين سنة (555هـ /1160م) بقيت شمال إفريقيا تحكم من قبلهم، إلا أنه مع نهاية القرن (السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي) بدأ الضعف يدب في هذه الدولة وخاصة بعد هزيمتهم في موقعة العقاب سنة (609هـ/1212م)[1].

وما إن ظهرت علائم الوهن والضعف على الدولة الموحدية حتى بدأت تتقلص أراضيها في شمال إفريقيا والمغرب، حيث أعلن واليها استقلاله (634هـ / 1236م)، وقطع صلته بمراكش منذ سنة (626هـ / 1229م) وأسس الدولة الحفصية، كذلك أقام "يغمراسن بن زيان" من بني عبد الواد سنة (633 هـ / 1235م) حكماً مستقلاً في تلمسان، ثم استقل بنو مرين في فاس، أما الأندلس فقد انفصلت هي الأخرى عن الدولة الموحدية وتولى بنونصرأمراء غرناطة حكم البقية الباقية منها، وقد دام هذا الانقسام عشرين عاماً قبل الانهيار النهائي للدولة الموحدية[2].

وبالعودة للدولة الحفصية، فإن ظهورها يعود إلى سببين رئيسين الأول : امتداد الدولة الموحدية حتى شملت إفريقيا، وبما أن الموحدين استخلصوها من النورمان فأصبح لزاماً على خلفائهم حماية إفريقيا من الاعتداءات الفرنجية المتكررة عليها، أما السبب الثاني: إن استخلاص إفريقيا من أيدي النورمان الذين كانوا يهددونها بشكل مستمر، جعلها ثغراً يحتاج إلى والٍ قوي، لذلك اختار الموحدون رجالاً من البيت الموحدي لتولي شؤون ولاية أفريقيا و حمايتها[3]، وللدخول في تفصيلات أكثر لابد من التعرف على أصل الحفصيين وكيفية وصولهم إلى حكم تونس.

---

1. (الصلابي، علي محمد): تاريخ المرابطين والموحدين، ط2، دار المعرفة، بيروت، (1426هـ / 2005م)، ص338 ومايليها .
2. (نيابي، ج.ت): تاريخ إفريقيا العام، اللجنة العلمية والدولية لتحرير تاريخ إفريقيا العام، اليونسكو، (د.ت) ، ص173.
3. (مؤنس، حسين): تاريخ المغرب وحضارته، ط1، العصر الحديث للنشر والتوزيع، بيروت، (1992م)، مج 2، ج2، ص216.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ينتسب الحفصيون إلى قبيلة هنتاتة، وهنتاتة من أشهر قبائل مصمودة، ويعود نسبهم إلى أبي حفص عمر بن يحيى وهو أحد العشرة من أصحاب ابن تومرت[1]، ويقال أن أبا حفص يعود بنسبه إلى أمير المؤمنين أبي حفص عمر بن الخطاب، كما أنه يعد من كبار قبيلة هنتاتة، فقد اختص بصحبة المهدي[2]، وكان يسمى بالشيخ، بينما المهدي كان يسمى بالإمام وعبد المؤمن بالخليفة، وهذا يدل على المكانة الرفيعة التي اتسم فيها ابن حفص في الدولة الموحدية[3]، وعند وفاة المهدي عهد بأمره إلى عبد المؤمن، فاستمر أبو حفص في طاعته وخاض حروباً تحت اسم الدولة الموحدية، كما شارك بالجهاد في الأندلس إلى أن توفَّى سنة (571هـ /1181م)[4].

ثم قام أولاده من بعده يتداولون الحكم بالأندلس والمغرب وإفريقيا مع الخلفاء الموحدين من بني عبد المؤمن، حيث ولى المنصور ابنه أبي سعيد على أفريقيا كما استوزر أبا يحيى بن أبي محمد بن عبد الواحد، وفي عهد الناصر وكل إلى أبي محمد عبد الواحد مهمة القضاء على ثورة ابن غانية في تونس[5] فزحف إليه وهزمه، واستولى على عسكره ثم عاد ظافراً[6]، فعينه الناصر والياً على تونس لحمايتها من الثورة المعارضة للموحدين، فحافظ عليها من جميع حركات التمرد والعصيان[7] إلى

---

1. (القلقشندي، أحمد بن عبد الله): قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان، تح: ابراهيم الإبياري، ط2، دار الكتاب العربي، بيروت، (1402هـ/1982م)، ص169.
2. (ابن أبي الضياف، أحمد): إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان، تح: لجنة من وزارة الشؤون الثقافية، الدار العربية للكتاب، (د.م)، (1999م)، ص152.
3. (القلقشندي، أحمد بن عبد الله): مآثر الأنافة في معالم الخلافة ، تح: عبد الستار أحمد فراج، ط2، مطبعة حكومة الكويت، (1985م)، ج2، ص252.
4. (ابن أبي الضياف): المصدر السالف، ص152.
5. (تونس): وهي من المدن العجيبة الغريبة، وهي في غاية الاتساع ونهاية الإتقان، ولها أبواب عديدة. (العبدري): المصدر السالف، ص108.
6. (ابن خلدون): المصدر السالف، ج6، ص276-277.
7. (عودات، أحمد وآخرون): تاريخ المغرب والأندلس من القرن السادس إلى القرن العاشر الهجريين، دار الأمل، عمان، (1989م)، ص149.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أن توفّى سنة (618هـ/ 1221م) ودفن في القصبة[1]، وبعد خلاف حدث بين أبي زكريا يحيى وأخيه أبي محمد عبد الله تحرك أبو زكريا إلى تونس وملكها ووجه أخاه إلى إشبيليا، وقد بويع بالقيروان سنة (625هـ / 1228م)، ثم جُددت بيعته سنة (634هـ / 1236م) وذكر اسمه في الخطبة[2]، ويعد عهده عهد الانفصال الرسمي عن الدولة الموحدية، في الحقيقة هناك عدة أسباب شجعته على ذلك وهي:

1ـ انهيار دولة عبد المؤمن في المغرب والأندلس عقب هزيمة العقاب سنة(609هـ / 1212م).

2ـ رفض الخليفة الموحدي إدريس المأمون سنة (626هـ/1229م) لتعاليم ابن تومرت، ومن ثم إزالة اسمه من الخطبة والسكة .

3. قتل الموحدي إدريس المأمون لأشياخ الموحدين الذين عارضوا سياسته ومعظمهم من هنتاتة قبيلة الحفصيين، ونتيجة لذلك استغل أبو زكريا بن عبد الواحد الموقف المتأزم، ورفض مبايعة الخليفة إدريس المأمون، واستقل عن الموحدين واستطاع تشكيل إمارة في تونس[3]، وقد وصلته في سنة (635هـ/ 1237م) بيعة ابن مردنيش صاحب شاطبة[4]وبيعة سبتة[5]

---

1. (القصبة): وهي أقرب إلى الحصن أكثر من أن تكون قصراً ملكياً. (الشريف، محمد الهادي): المرجع السالف، ص55.
2. (ابن أبي دينار): المصدر السالف، ص125.(الوزير، السراج): المصدر السالف، ج1، ق4، ص1023-1024.
3. (الصلابي، علي محمد): المرجع السالف، ص508.
4. كان ابن مردنيش قد استنجد به لرد هجمات الأسبان على الأندلس عندما زحف طاغية أراغون على حصون المسلمين، وأرسل إليه كاتبه الفقيه ابن الآبار يستصرخه فأنشد بحضرة أبي زكريا القصيدة التالية :

أدرك بخيلك خيل الله أندلسا إن السبيل إلى منجاتها درسا

وهب لها من عزيز النصر ما التمست فلم يزل منك عز النصر ملتمسا

(عودات، أحمد): المرجع السالف، ص150.

5. (سبتة): بلدة مشهورة من بلاد المغرب على ساحل البحر،(القزويني، أبو عبد لله زكريا بن محمد بن محمود): آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، (1970م)، ص201.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والأندلس وامتد نفوذه حتى وصل قسنطينة[1]، كما خطب باسمه بنو مرين[2]، كذلك عقد معاهدات حسن الجوار مع الدول الأوربية مثل بيزة وجنوى والبندقية، وأرسل إليه صاحب صقلية فريدريك الثاني قنصلاً (637هـ / 1239م)، وارتبط بعلاقات دبلوماسية مع ملك أراغون[3]، وقد توفَّى يوم الجمعة 28جمادى الثانية (647هـ/1247م)، ودفن في بونة ثم نقل إلى قسنطينة، وقد بويع بعده ابنه أبو عبد الله محمد المستنصر[4].

وفي سنة (657 هـ / 1259م) وصلته بيعة مكة وتسمى بأمير المؤمنين ولقب بالمستنصر[5]. ويعد أول من تلقب من الحفصيين بألقاب الخلافة[6]. وقد حدث ذلك بعد استيلاء المغول على بغداد، وتراجع الخلافة العباسية (656هـ/ 1258م)، وكان مكتوب البيعة من إنشاء محمد بن سبعين الصوفي[7]، وعند وصول هذه البيعة اهتز لها السلطان، واستحضر لقراءتها الملأ، وقام خطيباً على منبر جامع الزيتونة القاضي

---

1. (قسنطينة): من مشاهير بلاد إفريقية، وهي حصينة في غاية المنعة والحصانة وهي إحدى عجائب العالم. (الحميري): المصدر السالف، ص347.
2. (ابن أبي الضياف): المصدر السالف، ص155و156و160.(الوزير، السراج): المصدر السالف، ج1، ق4، ص1023حتى 1026.
3. (جوليان، شارل اندريه): تاريخ إفريقية الشمالية، تر: محمد مزالي، الدار التونسية، فيفري، (1983م) ، ج2، ص178.
4. (الزركشي، أبو عبد الله محمد بن ابراهيم اللولي): تاريخ الدولتين الموحدية و الحفصية، ط1، مطبعة الدول التونسية المحروسة، تونس، (1289هـ)، ص24.
5. (الوزير، السراج): المصدر السالف، ج1، ق4، ص1024. ويتفق معه ابن أبي دينار. (ابن أبي دينار): المصدر السالف، ص128. أما الزركشي فيذكر أن البيعة تمت في 24 ذي الحجة في سنة (650 هـ). (الزركشي):المصدر السالف، ص25. 28.أما ابن أبي الضياف فيذكر أن البيعة تمت في (658هـ). (ابن أبي الضياف): المصدر السالف، ص161.
6. (القلقشندي): مآثر الأنافة في معالم الخلافة، ج2، ص253.
7. (محمد بن سبعين الصوفي): الفقيه الجليل العارف النبيل الحاذق الفصيح. (المقري، أحمد بن محمد): نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، ط1، مطبعة السعادة، القاهرة، (1367هـ / 1949م)، ج2، ص365.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أبي القاسم بن البرا، وقد نقل "ابن أبي الضياف" وصفاً اليوم الذي وصلت فيه البيعة قائلاً: (وكان يوماً مشهوداً وفي ذلك اليوم دعي المستنصر بأمير المؤمنين وكان يدعى قبلُ بالأمير)، وقد مدحه بعض الأدباء بقولهم:

اهنأ أمير المؤمنين ببيعة جاءتك بالإقبال والإسعاد

فلقد حباك بملكه رب الورى فأتى يبشر بافتتاح البلاد

وإذا أتت أم القرى منقادة من المبرة طاعة الأولاد [1].

ولاشك أن هذا الحدث يمثل قمة المجد الحفصي، حيث أصبحت تونس على رأس خلافة عظمى معترف بها من قبل أعلى سلطة دينية بالإسلام في مكة[2]، ولكن السؤال على ماذا استند الحفصيون في إعلان الخلافة واتخاذ لقب أمير المؤمنين ؟

لقد استندوا إلى الأسس الشرعية كالأصل العربي، والنسب النبوي إلى جانب قرابتهم للموحدين، فزعموا أنهم من سلالة الخليفة أبي حفص عمر بن الخطاب[3]، أما بالنسبة لموقف مصر والمماليك من إعلان الحفصيين للخلافة، فقد شعرت مصر بخطورة أهداف هذه الخلافة الجديدة على حدودها الغربية، حيث وجد "بيبرس" أن سياسة الخلافة الحفصية تتعارض مع سياسة مصر نحو الحجاز، فحكام مصر كانوا دائماً حريصين على مد نفوذهم إلى الحجاز، ورداً على ذلك عمد بيبرس إلى إحياء الخلافة العباسية في القاهرة سنة (659هـ/1261م)، وكان هدفه من ذلك انتزاع الحرمين من نفوذ الحفصيين، ومد سلطانه باسم الخلافة العباسية على الحجاز، والبحر الأحمر[4]، أما بالنسبة إلى المستنصر فكان هدفه من اتخاذ لقب الخلافة هو اعتقاده بأن لا قيمة لسلطة زمنية لا يسندها سند روحي[5].

---

1. (ابن أبي الضياف): المصدر السالف، ص160-161.
2. (الدولاتلي، عبد العزيز): مدينة تونس في العهد الحفصي، تر: محمد الشابي، دار سراس، تونس، (1981م)، ص61 .
3. (العبادي، أحمد مختار): قيام دولة المماليك الأولى في مصر والشام، دار النهضة العربية، بيروت، (1406هـ/ 1986م)، ص194حتى 196.
4. (العبادي، أحمد مختار): المرجع السالف، ص ص194حتى 196.
5. (عاشور، محمد سعيد عبد الفتاح): الظاهر بيبرس، كلية الآداب،القاهرة، (1963م)، ص111.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويبرز سؤال آخر وهو لماذا خطا أشراف مكة هذه الخطوة، وذلك بمنح المستنصر لقب الخلافة ؟ وما سبب الموقف العدائي من السلطان بيبرس ؟ إنه من الصعب تعليل هذا الموقف العدائي من جانب أشراف مكة تجاه بيبرس، وقد حاول ابن خلدون تعليل هذا الموقف بأن أشراف مكة إنما اتجهوا إلى بني حفص عندما غاظهم بيبرس واشتد في معاملتهم، لكن ابن خلدون لم يحاول أن يبين نوع الإساءة التي ارتكبها بيبرس، ولربما أن أشراف مكة أحسوا بقوة بيبرس وثقل سلطانه، فحاولوا من أول الأمر الدخول تحت سيادة حاكم آخر أخف وطأة من السلطان بيبرس، أما بالنسبة لتونس فإن اتخاذ سلطانها لقب خليفة يعني فتح باب العداء بين السلطان بيبرس وبني حفص لكن استياء بيبرس من بني حفص لم يمنعه من الإسراع في تقديم المساعدة للحفصيين عندما ستأتي حملة لويس التاسع على تونس (668هـ /1270م)[1] كما سيبدو لاحقاً.

1. (عاشور، محمد سعيد عبد الفتاح): الظاهر بيبرس، المرجع السالف، ص112-113.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

دوافع الحملة وأسباب تحولها إلى تونس :

اختلفت التأويلات والأقاويل في المصادر والمراجع حول الأسباب التي دفعت لويس التاسع للقيام بحملته على تونس، كذلك اختلفت الأسباب الكامنة وراء اختيار تونس بالذات بعد أن كانت وجهة الحملة إلى المشرق، وخاصة أن سلطان تونس المستنصر كانت تربطه علاقة ودية مع أوربا، ويتساءل سعيد عبد الفتاح عاشور: ألم تكن بلاد الشام أولى عندئذ بجهود لويس التاسع بعد أن سقطت أنطاكية بيد الظاهر بيبرس[1] ؟ ولكن حقيقة الأمر أن هناك أسباباً تتعلق بطبيعة العلاقة مع صقلية، وأسباب تتعلق بأهمية تونس الجغرافية، وأسباب أوردتها المصادر الإسلامية، لذلك قسمت الأسباب إلى أسباب سياسية وأخرى اقتصادية ودينية وغيرها، وسأتطرق للحديث عنها.

الأسباب السياسية:

وتتعلق هذه الأسباب بطبيعة العلاقة مع صقلية والعداء القائم مع تونس، ومنها مايتعلق بصدى فتح بيبرس لأنطاكية، ولكن قبل الدخول في تفاصيل هذه العلاقة، يمكن أن نلقي ضوءاً على طبيعة العلاقة مع صقلية قبل وصول شارل أنجو إلى الحكم فيها، وهو الذي شغل دوراً كبيراً في الحملة المتجهة إلى تونس كانت العلاقة بين صقلية وأفريقيا يسودها شيء من الانسجام حيث إن أبا زكريا نظم علاقاته التجارية مع المدن الايطالية (البندقية، وبيزة، وجنوى)، أما مع صقلية فإنه التزم بموجب معاهدة بين الطرفين بدفع مبالغ سنوية مقابل حرية سفنه التجارية، والقيام بالتجارة في أراضي فريدريك الثاني صاحب صقلية[2]، وقد استمر الأمر كذلك مع المستنصر الذي عقد معاهدة تقتضي حرية التعايش بين سكان صقلية وبقية الجالية الإسلامية بالرمة ونواحيها، إلا أن الأمر اختلف بعد وفاة فريدريك الثاني، وساءت العلاقات بين الطرفين حيث تعرض المسلمون للمضايقة، والتهجير خارج الجزيرة، أضف إلى ذلك أن الخلاف على السيادة في صقلية زاد الأمر توتراً بين صقلية

---

1. (عاشور، سعيد عبد الفتاح): الحركة الصليبية، ط2، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، (1999م)، ج2، 1238.
2. (الزايدي، مفيد): موسوعة تاريخ الحروب الصليبية، ط1، دار أسامة ، الأردن، عمان، (2004م)، ص94.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وإفريقيا[1] وسأتحدث عن ذلك لاحقاً. بعد وفاة فردريك الثاني سنة (1250م) خلفه ابنه كونراد الرابع في حكم الامبراطورية الرومانية المقدسة، لكنه لم يستطع الصمود في وجه المعارضة في ألمانيا، فغادرها إلى صقلية وحكم بين سنتي (1252-1254م) بمساعدة مانفرد . الابن غير الشرعي للإمبراطور فريدريك الثاني، وعندما توفي كونراد حكم ابنه كونراد الخامس، أو كونرادين الذي توج ملكاً على صقلية في بالرمة سنة (1254م)، لكن كونرادين آثر الإقامة في بافاريا في ألمانيا فاستغل مانفرد ذلك، وأعلن نفسه ملكاً على صقلية سنة (1258م)[2].

و"مانفرد" هذا ورث عن أبيه كره البابوية له، التي أخذت تبحث عن أمير تجعله مكان "مانفرد" على عرش صقلية، وقد وجدت ضالتها في شارل أنجو أخ لويس التاسع ملك فرنسا[3]، حيث أرسل البابا سنة (1262م) مندوباً إلى فرنسا أبلغ الملك لويس رغبته في تقليد عرش صقلية لأمير من أسرته وبالفعل تم التباحث بين شارل، ولويس حول موضوع ترشيحه لتولي عرش صقلية.

ثم تم الاتفاق النهائي بين البابا وشارل أنجو[4] الذي زحف سنة (663هـ /1265م) على إيطاليا وهزم مانفرد وقتله في معركة بنيفنتو، وبذلك أصبحت جنوب ايطالية وصقلية بحوزة شارل أنجو[5] ، ولم يمض سبع سنوات على حكمه حتى أصبح الحاكم المطلق في أنحاء المملكة وقضى بذلك على بقايا أسرة "هونشتاوفن" التي سببت المتاعب للبابوات[6].

---

1. (المطوي، محمد العروسي): السلطنة الحفصية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، (1986م)، ص199.
2. (غنيم ، اسمت): دراسات في تاريخ العصور الوسطى، جامعة الاسكندرية، (1992م)، ص18.
3. (رنسيمان، ستيفن): تاريخ الحروب االصليبية، تر: السيد الباز العريني، دار الثقافة، بيروت، (1977م)، ق 3، ص499- 500.
4. كما تم الاتفاق أيضاً على أن تبقى صقلية بأيدي ذرية شارل حتى الوريث الرابع. (زكار، سهيل): الموسوعة الشاملة في تاريخ الحروب الصليبية (ذيل تاريخ متى باريس)، دارالفكر للطباعة والنشر، دمشق، (2001م)،ج50، ص1802.
5. (غنيم ، اسمت): المرجع السالف ، ص21 ومايليها .
6. (التميمي، رفيق): الحروب الصليبية، ط1، مطبعة اللواء، القدس، (1945م)، ص251.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما شارل فقد وسع مطامعه إذ أراد أن يسيطر على كل إيطاليا واستعادة القسطنطينية، فهو بذلك رغب بإقامة إمبراطورية في حوض البحر المتوسط، محققاً أطماعه التوسعية حتى لا يبق نفوذه محصوراً بصقلية وجنوب إيطاليا[1]، وأثناء الصراع على الحكم في صقلية، وجدت تونس نفسها مدعوة للقيام بدور إلى جانب خصوم شارل أنجو، حيث آوى المستنصر أميرا قشتالة هنري وفريدريك اللذين فرا من أخيهما ألفونسو العاشر، فأثناء المعركة التي خاضها شارل ضد "مانفرد" اتجه فريدريك إلى إيطاليا لخوض المعركة إلى جانب "مانفرد"، وبعد الهزيمة عاد إلى تونس، وفي سنة (665هـ/ 1267م) تمكن السلطان الحفصي من إيواء المخلصين لأسرة هونشتاوفن إلى صفه ونظم بالاشتراك معهم حملة ضد صقلية، وهي بمثابة حرب معلنة ضد شارل.

المهم أن شارل تمكن من التربع على عرش صقلية وهو يحمل الحقد على المستنصر الذي آوى المناهضين له [2]، كذلك فإن شارل كان يدرك خطورة موقع تونس بالنسبة لصقلية، فغزو المسلمين لصقلية تم من تونس في عهد الأغالبة على يد قاضي القيروان أسد بن الفرات (214هـ/ 827 م)[3] وهذا ما يفسر محاولة شارل إقناع أخيه لويس في تحويل مسار الحملة إلى تونس لتكون تابعة له نظراً لأهميتها بالنسبة إليه [4].

أما بالنسبة للأسباب التي تتعلق بتحرير أنطاكية، فكما كان تحرير الرها سبباً في مجيء الحملة الثانية، وتحرير القدس سبباً في قدوم الحملة الثالثة كذلك كانت فتوحات بيبرس وتحرير أنطاكية، سبباً رئيسياً في قدوم حملة لويس، فبعد انتصار المماليك على المغول في معركة عين جالوت سنة (658هـ / 1260م)، تمكن المماليك بذلك

---

1. (بردج، انتوني): تاريخ الحروب الصليبية، نقله إلى العربية: أحمد غسان سبانو، راجعه: سهيل زكار، دار قتيبة، دمشق، (1985م)، ص273.
2. (برنشفيك، روبار): تاريخ أفريقيا في العهد الحفصي، تر: حمادي الساحلي، ط1،دار الغرب الإسلامي، بيروت، (1988م)، ص84 –85.
3. (العبادي، أحمد مختار): المرجع السالف، ص227
4. (عبد الوهاب، حسن حسني): خلاصة تاريخ تونس، ط3، دار الكتب العلمية العربية الشرقية، تونس، (1373هـ)، ص108.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

من وضع حد للتقدم المغولي، فالتفتوا بعد ذلك لتصفية الوجود الفرنجي في بلاد الشام، وقد تصدر بيبرس قائمة السلاطين المماليك الذين قادوا أعمال التحرير ضد الفرنجة في المشرق[1]. وقد حاول بيبرس اتباع سياسة مبرمجة استهدفت الاستيلاء على ما بقي من قلاع الفرنجة وموانئهم في الأراضي المقدسة وكانت دوافعه استراتيجية أكثر منها دينية، أي الخوف من تحالف مغولي فرنجي، أوقيام حملة فرنجية[2]، حيث شن هجوماً شاملاً على الفرنجة في الشام، وبعد سلسلة من أعمال التحرير[3]، وصلت في سنة (659هـ/ 1261م) استغاثة من بطريرك بيت المقدس كلمنت الرابع تطلب تدخل لويس التاسع لإنقاذ الكيان الفرنجي في الشام، وبعد ثلاثة أشهر أرسل البابا أوربان الرابع إلى لويس التاسع يعلمه أن الظاهر بيبرس نقض معاهدة الهدنة مع الفرنجة، وبدأ بشن غاراته فكانت هذه الأمور حوافز للإسراع في الاستعداد للحملة الفرنجية الجديدة[4]، وفي سنة (668هـ/1269م)، هاجم بيبرس أنطاكية وأخذها[5]، فاستولى بذلك بيبرس على المدينة التي ظلت رهينة الأسر الفرنجي على مدى أكثر من قرن ونصف وكان ذلك أكبر انتصار حققه المسلمون على الفرنجة منذ أيام حطين واسترداد القدس وكان فرح المسلمين بهذا الفتح عظيماً[6]، وينقل مكسيموس مونروند ما قاله بيبرس لكونت طرابلس المتولي أمور أنطاكية عند سقوطها بيده فيقول: (نحن ملكنا أنطاكية بالسيف والجنود الذين أنتم استودعتموهم حمايتها قد قتلوا كلهم اواه

---

1. (زكار، سهيل): حروب الفرنجة، منشورات جامعة دمشق، دمشق، (2004 -2005م)، ص383.
2. (زكار، سهيل): الموسوعة الشاملة في تاريخ الحروب الصليبية (الحروب الصليبية المتأخرة)، دار الفكر للطباعة والنشر، دمشق، (2008م)،ج53، ص20.
3. فقد أغار بيبرس على عكا وهاجم قيسارية ثم حيفا وعثليث وأرسوف وفي سنة (664هـ /1266م) هاجم المدن الفرنجية الساحلية بين طرابلس وصور ثم هاجم الخليل وصفد ويافا (زكار، سهيل): الموسوعة الشاملة في تاريخ الحروب الصليبية (الإعلام و التبين في خروج الفرنج الملاعين على ديار المسلمين)، دارالفكر للطباعة والنشر، دمشق، (1995م)،ج23، ص348-349.
4. (حسين، ممدوح): المرجع السالف، ص245.
5. (ابن تغري بردي): المصدر السالف، ج7، ص143.
6. قصة الحروب الصليبية: http:/www.islamstory.com 2/ ديسمبر/2010 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لو انك كنت تشاهد خيالتك كيف تطحنوا تحت ارجل الخيول ومدينتك أنطاكية تسيب للنهب...ليتك كنت تنظر الكنايس والصلبان منقلبة ....لكنت صرخت ليت الله كان يرضى باني اكون رماداً وغباراً)[1].

ثم تابع بيبرس مسيرته التحريرية وهاجم طرابلس وحاول بداية الاستيلاء على المنافذ المؤدية للمدينة كحصن الأكراد[2]، ثم أصبح بإمكانه الاستيلاء عليها، لولا وصول الخبر بقدوم الحملة الفرنجية الثامنة بقيادة لويس التاسع ملك فرنسا، فعاد أدراجه إلى مصر، حيث كان يخشى أن يعيد ملك فرنسا قصة المنصورة، لذلك اهتم بتتبع أخبار الحملة، وأعلن حالة التعبئة والاستعداد في الموانئ المصرية، والسؤال هنا:ما علاقة حروب بيبرس التحريرية، بالحملة الفرنجية الثامنة ؟

إن سقوط أنطاكية كان كارثة كبرى على القوى الفرنجية؛ لأنها كانت بحكم موقعها الجغرافي سنداً قوياً للفرنجة منذ أوائل الحروب الفرنجية[3]. وقد وصل صدى هذه الكارثة إلى العالم الأوربي، ففرنجة المشرق أرسلوا إلى البابا يطلبون منه المساعدة والمعاونة، فأرسل بدوره منشوراً إلى ملوك أوروبا بسقوط أنطاكية بيد بيبرس، ويطلب منه مساعدة إخوانهم الفرنجة وتشكيل حملة فرنجية لهذا الغرض[4].

أضف إلى ذلك أن أنباء هجمات بيبرس كانت تتوالى على لويس التاسع وتقلقه، وبحكم اطلاعه على أحوال المشرق كان يدرك أنه مع نشاط بيبرس بدأ يظهر الخطر على الوجود الفرنجي في بلاد الشام، وحيال ذلك لم يجد لويس بداً من القيام بمحاولة جادة لإنقاذ فرنجة بلاد الشام بحملة لم يكن مقرراً في البداية اتجاهها.

---

1. (مونرود، مكسيموس): من تاريخ الحروب المقدسة في المشرق المدعوة حرب الصليب ، طبع في ديرالرهبان الفرنسيسكان، أورشليم، (1865م)، ص347.
2. (حصن الأكراد): حصن منيع وهو من معاملة طرابلس.(ابن شاهين): المصدر السالف، ص48.
3. (العبادي، أحمد مختار): المرجع السالف، ص226-227.
4. (الحريري، سيد علي): الحروب االصليبية، تح: عصام محمد شبارو، ط1، دارالتضامن، بيروت، (1988م)، ص 268. و(الحريري، سيد علي): الأخبار السنية في الحروب الصليبية، ط2، مطبعة النيل، القاهرة، (1911م)، ص372.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الأسباب الاقتصادية والإستراتيجية:

بعد أن استولى شارل على صقلية ماذا سيحدث في شأن الإتاوة، أو الضريبة التي كان يدفعها السلاطين الحفصيين لصقلية منذ عهد فريدريك الثاني[1] ؟ هناك وثيقة مؤرخة (666هـ / 1268م) وصادرة عن الدوائر الرسمية في نابولي تنص: على أن الأقساط الثلاثة الثانوية المستحقة لم تسدد منذ ارتقاء شارل أنجو للعرش، وبالتالي فقد طالب شارل تونس بدفع الاستحقاقات المتأخرة منذ وفاة فريدريك، لكن المفاوضات التي قامت بشأن ذلك فشلت وقضية الضريبة بقيت دون حل عند بداية قيام حملة لويس التاسع على تونس، ونتيجة لذلك كان من الطبيعي أن يعمل شارل على تحويل وجهة الحملة على تونس انتقاماً من خصمه المستنصر الذي رفض دفع الإتاوة السنوية[2].

ويمكن بعد الاطلاع على المصادر الإسلامية أيضاً ذكر أسباب اقتصادية أخرى فابن خلدون يقول: (واعتزم على الحركة متجنياً عليهم فيما زعموا بمال أدعياء تجار .... وأنهم أقرضوا الليالي فلما نكبه السلطان طالبوه بذلك المال وهو بنحو ثلثمئة دينار بغير موجب يستندون إليه ....واشتكوا إلى طاغيتهم فامتعض لهم، ورغبوه في غزو تونس)[3]، فابن خلدون يقول إن سبب حملة لويس التاسع تعود إلى أن الليالي[4] استدان من تجار بروفانس مبلغاً من المال قدره ثلثمئة دينار، فطالبوا المستنصر بقضائها[5]، إلا أن المدينين لم يبرزوا وثائق تثبت صحة قولهم، فاشتكواإلى لويس وحرضوه على غزو تونس[6].

---

1. هذه الإتاوة كانت تدفع تلافياً لقرصنة الصقليين وحرصاً على بيع حبوبهم بموانئ الجزيرة بحرية تامة. (جوليان، شارل اندريه): المرجع السالف، ج2، ص179.
2. (برنشفيك، روبار): المرجع السالف، ص86.
3. (ابن خلدون): المصدر السالف، ج6، ص291.
4. (الليالي): هوأبو العباس أحمد بن إبراهيم القيسي الليالي. (النيفر، محمد):عنوان الأريب عما نشأ بالمملك من عالم وأديب، المطبعة التونسية، تونس، (1351هـ)، ص73.
5. (النيفر، محمد): المرجع السالف، ص73.
6. A.pavy :Histoire de la tunisie, 2Edition, Editions Bouslam, P321

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كذلك يورد كل من ابن الشماع[1]، والوزير السراج[2] رواية مشابهة لرواية ابن خلدون، ويقول شارل اندريه جوليان أيضاً أنه: (لا يمكن أن ننكر مدى تأثير المشاكل الاقتصادية على العلاقات بين الدول في القرن الثالث عشر الميلادي، فابن خلدون لم يكن مخطئاً عندما أكد على ماقام به تجار بروفانس من مساع لاستخلاص ديونهم)[3].

ويورد اليونيني رواية تختلف في مضمونها عما يورد في المصادر الإسلامية السابقة حيث يقول: (وسبب ذلك أن تجاراً قصدوها فضربوا دراهم مغشوشة على سكة صاحب تونس ....وظن العمال أن الأمير تقدم بضربها فأخذوها، ثم فحصوها فوجدوها ضرب خارج الدار فسأل عن أكثر الفرنج، فقيل له أهل جنوى فأمر باستئصال أموالهم في سائر بلادهم وحبسهم، فاستصرخ أهل جنوى بريدا فرنس وأمدوه بالأموال فجمع وحشد وقصد تونس)[4].

ولكن السؤال على ماذا اعتمد اليونيني في روايته هذه وما مدى مصداقيتها ؟ إذ لم أجد في المصادر الإسلامية ما يشابه هذه الرواية أو ما يكون قريباً منها، فربما كانت كغيرها من الأسباب التي لا تعطي سبباً حقيقاً للحملة، ولاشك أن ما ورد في المصادر الإسلامية من أسباب لحملة لويس التاسع على تونس، لم تكن الحقيقية وهي على الأغلب ثانوية فمن غير المعقول أن يجهز لويس حملة تكلف الكثير لشكوى قدمها تجار بروفانس أواستجابة لنداء الجنويين، أو لكلمة تحقير ذكرها المستنصر بحق لويس كما سيمر لاحقاً، وهذا أن دل على شيء فإنما يدل على أن لدى لويس نية مسبقة وواضحة لغزو تونس، وبعيداً عن الأسباب التي أوردتها المصادر الإسلامية يمكن أن نورد أسباباً أخرى، كالموقع الجغرافي المهم لتونس، الذي هيأ لها لكي تقوم

---

1. (ابن الشماع، أبو عبد الله محمد بن أحمد): الأدلة البيانية النورانية في مفاخر الدولة الحفصية، تح: الظاهر محمد العموري، الدار العربية للكتاب، تونس، (1984م)، ص69 -70.
2. (الوزير السراج): المصدر السالف، ج1، ق4، ص1033.
3. (جوليان، شارل اندريه): المرجع السالف، ج2، ص180.
4. (اليونيني، قطب الدين موسى بن محمد): ذيل مرآة الزمان، ط2، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، (1413هـ/ 1992م)، ج2، ص54-55.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بدور هام في تجارة البحر الأبيض المتوسط ؛ وخاصة مع الغرب الأوروبي، فتجارة تونس العالمية تتجه بطريق بحرية تصل تونس بالمرافئ الأوروبية وخاصة إيطاليا التي كانت واسطة بين أفريقيا، والأقطار الأوربية البعيدة. وقد ضبطت التجارة البحرية بدقة بواسطة معاهدات مع كبيرات المدن التجارية في إيطاليا وإسبانيا وبروفانس، كذلك عقدت في القرن (السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي) معاهدات مع بيزة وجنوى، وهذا يدل على الازدهار الذي عاشته تونس في المرحلة الحفصية [1]، ومن خلال هذا الموقع المتميز لشمال إفريقية سيطرأسطولهم على مداخل البحر ومخارجه، ومنع مرور أي سفينة إلا أن يؤذن لها وتدفع إتاوة مفروضة فاضطرت الدول الأوربية مكرهة الاعتراف بسيادة المغاربة، وبدت شمال أفريقيا في تلك الحقبة من التاريخ ذات سيادة وسلطان ووضع دولي يحسب حسابه في العلاقات بين الدول[2].

وقد أراد شارل أنجو استغلال إشارة الصليب ليتمكن من مد نفوذه إلى تونس ذات الموقع الهام ويحقق بذلك أهدافه الاقتصادية، ويضيف إقليماً ذا موقع استراتيجي مميز وهام على الساحل الأفريقي، فيخدم بذلك الحركة الفرنجية التي لازالت تسعى وتحلم في السيطرة على العالم الإسلامي شرقه وغربه [3]، كذلك رغب شارل في توجيه الضربات للمغاربة الذين برعوا في التجارة وركوب البحر لدرجة أنهم نافسوا وبشدة التجار الفرنج في صقلية، فشجع كثير من قادة الحملة لويس للتوجه الى تونس قائلين له: (أن أخذ تونس سيعم الخيرعلينا جميعاً فهي مليئة بالذهب والفضة والثروات الكثيرة)[4]، وهذه إشارة إلى الرخاء الاقتصادي الذي كانت تتمتع بهحيث رغبوا الاستفادة من ثرائها وخيراتها.

---

1. (الدولاتلي،عبد العزيز): المرجع السالف، ص72-73.
2. (شاكر، أمين وآخرون): شمال إفريقية بين الماضي والحاضر، دار المعارف، مصر، (د. ت)، ص16.
3. (الغينمي، عبد الحميد المقلد): موسوعة تاريخ المغرب العربي، ط1، مكتبة المدبولي القاهرة، (1414هـ /1994م)، ج65، ص45.
4. (عامر، سامية): الصليبيون في شمال إفريقية، ط1،عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، بور سعيد، (2002م)،79-80.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أضف إلى الأهمية التجارية والجغرافية شهرة المستنصر وأعماله المعمارية، فالمستنصر قد علا شأنه في الغرب الأوربي وخاصة بعد أن اتخذ لقب الخليفة، فالخليفة وأمير المؤمنين يقابل بالنسبة إليهم البابا عندهم[1]، وقد تجلى الازدهار العمراني في عهد المستنصر بالاهتمام في عمارة القصبة وتزيين تونس بالحدائق، وتجديده عمارة الحنايا، وجنة أبي فِهر وهي حدائق واسعة في تونس[2]، ولا بد من الإشارة هنا إلى أنه رغم كل هذه المظاهر الحضارية التي شهدتها تونس في عهد المستنصر قبيل حملة لويس عليها، لكن المصادر تذكر أن المجاعة والوباء كانا منتشرين في تونس[3]، وهذا مما شجع شارل أنجو على إقناع أخيه لويس للتوجه إليها مستغلاً الظروف السيئة التي تمر بها البلاد، لكن السؤال كيف تتمتع تونس بمثل هذا الرخاء والاستقرار، وبعد ذلك ينتشر بها الوباء والمجاعة ؟ وهل من المعقول أن تنظم حملة عسكرية من أوربا لتكون وجهتها بلداً انتشر فيه الوباء ؟

حقيقة إن تونس قد عانت من قلة الأقوات، ولكن ذلك كان أثناء حصار لويس لها وليس قبل مجيئه إلى تونس بدليل اقتناعه بالتوجه لها، أضف إلى ذلك أن الوباء امتد إلى أفراد الحملة فمات كثير من أفرادها كما سيمر لاحقاً، وهناك مسؤول آخر عن تحويل وجهة الحملة إلى تونس، فمصطفى الكناني يحمّل مسؤولية تحويل مسار الحملة إلى الجنوية حيث يقول: (تلك الحملة التي لم يقم الجنوية بالدور الأساسي في إعدادها وقيادة أساطيلها فحسب، بل كان لهم أكبر الأثر في تغيير مسارها وإفشالها أيضاً)[4]، فالجنوية سيتضررون من توجيه الحملة إلى المشرق والأراضي المقدسة، حيث كانوا على علاقات طيبة مع المماليك ولهم مراكز تجارية في مصر والشام، وتوجيه حملة إلى المشرق يعني التأثير على هذه العلاقات مع المماليك وضياع

---

1. (مؤنس، حسين): المرجع السالف، مج2، ج2، ص229-230.
2. (ابن أبي الضياف): المصدر السالف، ص161.
3. (ابن خلدون): المصدر السالف، ج6، ص291. (المقريزي، أحمد بن علي): كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك، صححه: محمد مصطفى زيادة، ط2، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، (1957م)، ج1، ق2، ص364.
4. (الكناني، مصطفى محمد حسن): حملة لويس التاسع الصليبية، توزيع منشأة المعارف الإسلامية، الإسكندرية، (د.ت)، ص148-150.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مراكزهم التجارية في مصروالشام، كما أن عدم اشتراكهم بالحملة سوف يؤدي إلى غضب البابا ولويس التاسع، لذلك وقع الجنوية في حيرة شديدة ثم تذكروا دور الحفصيين المعادي لهم ومصادرة المستنصر بالله الحفصي العديد من الأموال الخاصة بالجاليات التجارية في إفريقية، ففكر الجنوية بتغيير مسار الحملة إلى تونس بدلاً من المشرق والأراضي المقدسة، وبذلك يرضون الأطراف جميعها دون أن تتضرر مصالحهم، ومن ناحية أخرى يثأرون من الحفصيين لما أصابهم من ضرر على أيديهم من قبل، ثم قاموا بعرض فكرة التوجه إلى تونس على لويس التاسع، ومن ثم الانطلاق إلى مصر ثم الشام والأراضي المقدسة وأن ذلك سيكون فيه الخير للكنيسة، كذلك ناقشوامعه أهمية هذه الحملة من حيث:

1. تأمينها لطرق المواصلات والإمدادات القادمة من أوربة للفرنجة في الشام.

2. كما إن احتلال تونس سيؤمن الطريق الذي طالما هددته سفن القراصنة المغاربة بتحريض من الحفصيين، ثم عرضوا عليه تسخير كافة الإمكانات والأسلحة والسفن لخدمة أغراض الحملة[1]، لم تكن هذه الأسباب وحدها هي التي دفعت جنوى لتحويل مسار الحملة ومحاولتها المشاركة بأحداث المنطقة، فطبيعة العلاقة مع البندقية لعبت دوراً بتوجيه أنظارها إلى الشمال الإفريقي، فبعد انحسار السيادة الإسلامية عن البحر المتوسط في (أوائل القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر للميلاد) بدأت المدن التجارية الإيطالية تسيطرعلى تجارته ومحاولة التحكم بطرق التجارة العالمية، بل تعدى ذلك إلى المنافسة الشديدة فيما بينها خاصة جنوى والبندقية، التي تحاول كل منهما أن تلعب دوراً مهماً في أحداث العالم الإسلامي في الشرق والغرب[2]، وكما هو معروف فقد تسابقت هذه المدن لتقديم المساعدات المختلفة للفرنجة منذ بداية حروبهم عن طريق تقديم الاساطيل لاستيلاء على مدن الساحل الشامي، ثم احتدم الصراع بينهما في المشرق كما حدث في حرب ساباس سنة (654هـ/1256م)[3]، والتي نشبت

---

1. (الكناني، مصطفى محمد حسن): المرجع السالف، ص150-153.
2. (حسين، ممدوح): المرجع السالف، ص499.
3. (رنسيمان، ستيفن): تاريخ الحروب االصليبية، تر: نور ادين خليل، مكتبة الشروق،القاهرة، (1989م)، ج 3، ص333.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بين الجنويين والبنادقة الذين انتصروا في عكا[1]، المهم أن هذا التنافس الذي تطور إلى نزاع مسلح كان سبباً رئيسياً في سريان الضعف إلى الكيان الفرنجي في المشرق، وأضعف النفوذ الجنوي هناك، مما اضطرها إلى البحث عن منافذ أخرى وكان الشمال الإفريقي أفضل منطقة لذلك، كذلك لعب الرهبان الدومنيكان دوراً في تحويل مسار الحملة فهم الذين اقنعوا لويس بسهولة الاستيلاء على تونس، كما أبلغوه عن الثروات الضخمة في تونس وأنه بإمكانه استعمالها لاستعادة الأراضي المقدسة[2] .

الأسباب الدينية:

إن بعض المؤرخين عَدَّ الأسباب الدينية هي الأسباب الرئيسية لحملة لويس التاسع على تونس، أو بتعبير آخر هي الباعث لهذه الحملة، حيث يقول سعيد عبد الفتاح عاشور: (والرأي الأرجح هو أن لويس حاول أن ينشر المسيحية في شمال إفريقيا، واعتقد أن تسامح الأمير أبي عبد الله المستنصر سيساعد على تحقيق هذه الغاية، فإذا فشل في تحقيق غرضه هذا فإن تونس بمواردها وموقعها ستمكن لويس من القيام بحملة فرنجية أخرى ضد تونس)[3]،

ولكن هل صحيح أن المستنصر سيتسامح مع لويس لنشر المسيحية؟ أم أن تسامح المستنصر مع المسيحيين هو السبب في أن شارل حاول إقناع أخيه لويس لتحويل مسار الحملة إلى تونس، حيث أقنعه أن سلطان تونس مستعد للتحول إلى المسيحية[4]؟ أم أوهام الراهب القطلوني رايموند مارتين الذي أقام بعض الوقت في تونس والذي كان يستدعيه المستنصر للاستفسار عن أشياء نصرانية، فظن هذا الرجل أن المستنصر ميال إلى المسيحية، فكتب إلى لويس بذلك[5]؟ وهو أيضا وراء الأكذوبة

---

1. للمزيد من التفاصيل يمكن الاطلاع على الفارس الداوي الصوري (مونتريل، جيراداوب): الحروب الصليبية أعمال ودراسات، (أعمال القبارصة)، تر: سهيل زكار، ط1، دمشق، (2008م)، ص28ومايليها.
2. (زابوروف،ميخائيل): الصليبيون في الشرق، تر: الياس شاهين، دار التقدم، موسكو،(1986م)، ص323
3. (عاشور، سعيد عبد الفتاح): الحركة الصليبية، ج2، ص1238.
4. (رنسيمان، ستيفن): المرجع السالف، ق3، ص501.
5. (مؤنس، حسين): المرجع السالف، مج2، ج2، ص230 -231.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

التي تقول أن المستنصر أرسل رسالة يعرض فيها استعداده في أن يقوم الملك بتعميده مثل اليهودي الذي عمده من قبل بنفسه[1]، وهذه الرواية مرفوضة ولايوجد لها سند تاريخي، أم بسبب اعتماد المستنصر على النصارى والإكثار منهم في حاشيته[2]؟ فهل هذه الأسباب هي التي جعلت لويس يظن أن المستنصر يرغب في اعتناق المسيحية ؟ أو أن لويس تحمس عندما تصور أنه في الإمكان أن تصبح إفريقية قاعدة للمسيحية، فلويس أخذ يتصور نفسه وهو ينشر الدين المسيحي في شمال إفريقية، ومما زاد من تصوره المعاملة الطيبة التي كان يبديها المستنصر تجاه المسيحيين، فلم يكف لويس عن التمني والدعاء في كل صلواته لتحقيق هذه الأمنية التي تجيش في صدره وكان دائماً يبتهل إلى الرب لتحقيق ذلك[3].

إن قضية الشك في رغبة المستنصر في التحول للمسيحية قضية لابد من مناقشتها بدقة وحذر، فشارل أخ لويس التاسع يبدو أنه استغل تسامح المستنصر، وحسن معاملته للمسيحيين فظن أنه مستعد للتنصر وتلك كذبة تاريخية فإذا كان يرغب في ذلك ؟ لماذا سعى وراء حصوله على لقب الخليفة وخاصة أنه كان يعتز بنسبه العمري نسبة إلى عمر بن الخطاب ويسمي دولته بالفاروقية أو العمرية؟[4]، لذلك فالمراجع التي أشارت إلى اعتناق المستنصر للمسيحية لا تمت للواقع بصلة، فلو كان ذلك صحيحاً فلماذا أخرج المستنصر كل ما لديه من أموال وعتاد واستعدادات لملاقاة العدو؟ ولماذا تحدى شارل أنجو ورفض دفع الجزية له ؟ وإذا كان هناك من يتحدث عن صداقة المستنصر للويس، أو وعود قدمها المستنصر فإننا بالمقابل لا يمكن أن نغفل ما تميز به المستنصر من دهاء وخبث مع أعدائه، فهو كان يمالئ عدوه حتى لا يفتح على نفسه جبهة معادية وخاصة أن لديه خصوم في الداخل أمثال بني مرين وبني عبد الواد وعربان إفريقية[5].

---

1. (الكناني، مصطفى محمد حسن): المرجع السالف، ص152.
2. (المطوي، محمد العروسي): السلطنة الحفصية، ص201.
3. (عامر، سامية): المرجع السالف، ص81.
4. (الغينمي، عبد الحميد المقلد): المرجع السالف، ج5-6، ص45.
5. (عامر، سامية): المرجع السالف، ص82-83.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما روبار برنشفيك، فانه يبرئ شارل أنجو من دوره في تغير مسارالحملة، وذلك بإقناع لويس أن المستنصر كان يرغب بالتحول إلى المسيحية، ويحمل مسؤولية ذلك للمبشرين الذين يعملون في الدولة الحفصية والذين يعَّدهم المتسببين الرئيسين في تحويل مسار الحملة إلى تونس[1].

أما محمد علي الغتيت فله رأي آخر، فقد أدرك مقصد لويس الديني من حملته على تونس وخاصة بعد فشله الذريع في مصر، حيث رأى أن القضاء على الإسلام أينما وجد هو هدف حيوي بالنسبة لفرنسا خاصة وأوروبا عامة، وأن هذه المهمة لا تقع على عاتق الكنيسة فقط بل لا بد من أن تتعاون أوروبا أجمعها لتضييق الخناق على الإسلام والقضاء عليه. وبالتالي يتخلصون من الحائل الذي يحول دون تملكهم لأسيا وأفريقيا[2]، ويمكن القول أن لويس لم يكن نموذجاً ممتازاً فرنجياً ولم يكن مسيحياً متديناً فقد كان فرنجياً متعصباً تعصباً أعمى ضد المسلمين ، فأمه بلانش قشتالية غرست هذا التعصب ضد المسلمين منذ صغره وربته على كره المسلمين فنشأ بذلك مفعماً بالروح الفرنجية[3].

الأسباب الشخصية :

إن ما حدث في مصر من هزيمة جيش لويس التاسع أمام المماليك سنة (648هـ /1248م)، ومن ثم أسره في دار ابن لقمان في مصر كان كفيلاً في رغبة لويس للعودة ومحاربة المسلمين والثأر لهزيمته[4]، فلويس توجه إلى مصرواستولى على دمياط، فأراد السلطان كسب رضاه وقدم له الهدايا وعرض عليه معاهدة يتخلى له بموجبها عن دمياط والأراضي المجاورة لها ليعطيها للمسيحيين الساكنين في مصر، لكن لويس رفض وتابع مسيره حتى المنصورة، إلا أن المحاربين الفرنجة طمعوا بالمال، وقد ضايقهم الشح في المؤن، وتوالي هجمات الأعداء عليهم وخوفهم

---

1. برنشفيك، روبار): المرجع السالف، ص88-89.
2. (الغتيت، محمد علي): الغرب والشرق من الحروب الصليبية إلى حرب السويس، الدار القومية، القاهرة، (1975م)، ص65.
3. (حسين، ممدوح): المرجع السالف، ص271.
4. (الخوري، سليم): تاريخ فرنسا، مطبعة العرفان، صيدا، (1344هـ/ 1925م)، ص16.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

من نفاذ الطعام، فاضطروا إلى التراجع ثم سقط لويس بالأسر[1].ويحكي "ابن قنفذ" قصة ذلك فيقول: (وسجن بدار بمصر تعرف بدار ابن لقمان بعد أن مزق جيشه كل ممزق، وأخذت سيوف الله حقها من رقابهم، واستولى المسلمون على أسلحتهم وأموالهم وذلك كله في مدة تسعة أشهر، وحمل الفرنسيس على جمل ووجهه إلى ذنب الجمل مع عدة من ملوك النصارى ورؤسائهم وطيف بهم)، فهل يوجد أكثر من ذلك إهانة لملك فرنسا؟ (ثم أفتدى نفسه بقناطير الذهب وحلف ألا يطأ بلاد المسلمين أبداً)[2]. وبعد إطلاق سراح لويس توجه إلى إمارة عكا الفرنجية حيث بقي أربع سنوات قضاها في تنظيم ما بقي من الإمارات الفرنجية[3]، ثم عقد حلفاً مع سنان شيخ الجبل زعيم الطائفة الإسماعيلية في الشام كما عقد الصلات مع المغول، ولكن عندما سمع بخبر نعي أمه غادر الشام عائداً إلى فرنسا(652هـ /1254م)[4]، ثم يتابع ابن قنفذ: (فأبت نفسه الخبيث إلا نكث العهد ونزل بعدها ساحل أفريقيا)[5]، ويقول مكسيموس مونرود معلقاً أيضاً: (القديس لويس سلطان فرنسا الذي أشواقه لم تزل ملتهبة بالحرارة في أن يحارب من جديد تحت بيرق الصليب لأن رجاه في أن يستعوض عن الضر الذي أصابه في أرض مصر، و يسترد الشرف لاسم العساكر الفرنساوية قد جذبه إلى التمسك بقضية قد كان العالم بأسره قد أهملها أي الحرب الفرنجية الثامنة)[6]، ويؤيده في ذلك الكتبي فيقول: (ثم أطلق بعد تسليم دمياط أي المسلمين وتوجهه إلى بلاده

---

1. (زكار، سهيل): الموسوعة الشاملة في تاريخ الحروب الصليبية (الأسرار لمارينو سانوتو)، دار الفكر، دمشق، (1999م)، ج38، ص132.
2. (ابن قنفذ، أبو العباس أحمد بن حسين بن علي بن الخطيب القسطنطيني): الفاسية في مبادئ الدولة الحفصية، تح: محمد الشاذلي النيفر، عبد المجيد التركي، الدار التونسية للنشر، تونس، (1968م)، ص111.
3. (يوسف، جوزيف نسيم): العدوان الصليبي على بلاد الشام، ط1، دار الكتب الجامعية، الاسكندرية، (1971م)، ص87و 225ومايليها
4. (زكار، سهيل): الموسوعة الشاملة في تاريخ الحروب الصليبية (حياة القديس لويس لجوانفيل)، دار الفكر، دمشق، (1999م)، ج36، ص167ومايليها.
5. (ابن قنفذ): المصدر السالف، ص111.
6. (مونرود، مكسيموس): المرجع السالف، ص347.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وفي قلبه النار مما جرى عليه من ذهاب أمواله وقتل رجاله و أسره، فبقيت نفسه تحدثه بالعودة إلى مصر وأخذ ثأره)، ثم يتابع حديثه عن هدف لويس من حملته على تونس: (فقيل له: إن قصدت مصر لك مثل النوبة الأولى والصواب أن تقصد تونس وكان ملكها محمد بن يحيى الملقب بالمستنصر فإنك إن ظفرت به تمكنت من قصد مصر)[1].

ومما سبق يُلاحظ أن الكتبي أدرك حقيقة سبب توجه لويس التاسع إلى تونس وانفرد عن غيره بذكر سبب رئيسي لحملة لويس، فلويس قصد القيام بعملية التفاف للوصول إلى قلب المقاومة وبالتالي متابعة سيره إلى المشرق أي تكون شمال إفريقية منطلقاً للهجوم على بيبرس الذي أصبح نشاطه ينذر بالخطر[2]، فقد تكونت قناعات منذ الحملة الفرنجية الثالثة أن الطريق إلى الأراضي المقدسة يمرعبرمصر، حيث جرت عدة محاولات لاحتلال مصر جبهوياً، لكنها باءت بالاخفاق ثم اقترح الهجوم على مصر جانبياً، وهذا ماسيحاول القيام به لويس التاسع لدى نزوله تونس[3]، فاسترداد الأراضي المقدسة سيكون أكثر سهولة بالنسبة إليهم إذا قاموا بإخضاع تونس للحكم الفرنجي لأنها واقعة على منتصف الطريق لرحلتهم، ولأنها تشكل معيقاً كبيراً على طريق المسافرين، فرأوا النزول بتونس أولاً، ومن ثم مصر ومنها إلى الأراضي المقدسة [4].

وقد قام لويس التاسع بجمع أعضاء مجلسه الاستشاري وعرض عليهم ضرورة قمع مصر كقوة سياسية خطيرة أصبحت تهدد أمن وسلامة الفرنجة في بلاد الشام، وذكر أنه من المستحيل التوجه إليها مباشرة بعد تلك الضربة التي تلقاها في مصر، واقترح ضرورة التوجه إلى تونس في شمال إفريقية ليمكنه من تطويق مصر براً وبحراً ،

---

1. (الكتبي ، محمد بن شاكر بن أحمد) : فوات الوفيات ، تح : محمد محي الدين عبد الحميد ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، (د ت) ، ج1، ص156.
2. (جوليان ، شارل اندريه): المرجع السالف،ج2،ص180.
3. (زكار، سهيل): الموسوعة الشاملة في تاريخ الحروب الصليبية (الأسرار لمارينو سانوتو)، ج38، ص7.
4. (زكار، سهيل): الموسوعة الشاملة في تاريخ الحروب الصليبية(ذيل تاريخ متى باريس)، ج50، ص1844.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فتصبح بذلك مصر معزولة ومحصورة فتتقلص المقاومة المملوكية تجاه الفرنجة[1]، وتذكر المصادر الإسلامية سببا شخصياً آخر فلويس رغب في الثأر من المستنصر بسبب مقولة قالها في حقه أثناء أسره في دار ابن لقمان بالمنصورة، فحقد عليه وصمم على غزو تونس، فيذكر كل من ابن الشماع[2]، والوزير السراج [3]، وابن أبي دينار أن لويس ذكر في مجلس المستنصر فقال: (هو الذي أسره هؤلاء وأطلقوه)[4]، حيث أشار إلى الترك الذين بين يديه فبلغت هذه المقالة لويس الذي حقد على المستنصر وعزم على غزو تونس، وخاصة بعد أن وصلت إلى مسامع لويس التاسع بعض الأبيات الشعرية حيث قال أحد الشعراء المغاربة:

يا فرنسيس هذه أخت مصر فتهيأ لما إليه تصير

لك فيها دار ابن لقمان قبر و طواشيك منكر ونكير[5]

---

1. (عامر، سامية): المرجع السالف، ص68 –69و 78.
2. Castelot, Andre: Histoire de la France et des Francais au Jour , librairie academique perrin, larousse, 1979,p171.
3. (ابن الشماع) : المصدر السالف،ص70.
4. (الوزير، السراج): المصدر السالف ،ج1، ق4، ص1033.
5. (ابن تغري بردي): المصدر السالف، ج6، ص368.(ابن إياس الحنفي، محمد بن أحمد): بدائع الزهور في وقائع الدهور، تح: محمد مصطفى، ط2، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، (1982م)، ج1، ق1، ص283.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الاستعداد للحملة ومسيرها إلى تونس:

بعد استعرض الأسباب التي دفعت لويس التاسع للقيام بحملته على تونس وأسباب تحوله إليها، لابد من الحديث عن الاستعدادات التي تمت للقيام بها من دعاية، واجتماعات، وخطب حماسية، وتمويل لازم، ثم سيتم الحديث عن سيرها من ميناء إجمورت في جنوب فرنسا إلى سردينيا (سردانية)، ومن سردينيا إلى تونس.

بداية كان لابد من الدعاية للحملة، حيث أخذ لويس التاسع على عاتقه مهمة إنجاح الدعاية لها، وبالتالي انضم عدد كبير من الأمراء، والبارونات والمتطوعين، ولإنجاح الحملة الدعائية استخدم لويس عدة أساليب، فقد عزف على الوتر الديني لاكتساب أكبر عدد ممكن من رعاياه، وذلك عن طريق المعونات المالية لكل محتاج حتى ولو لم يكن فقيراً، وقدم وشاحاً طبع عليه علامة الصليب، ففهم الجميع أنه لابد من الانصياع لرغبته في الانخراط بسلك الحملة، وهذا الأسلوب اعتاد عليه عند نيته القيام بحملة كما حدث في الاستعداد لحملته على مصر[1]، كذلك اعتمد على الدعاة الذين انتشروا بين طبقات الشعب الفرنسي يدعون الناس لحمل الصليب، فمنذ سنة (658هـ /1260م) كان القديس سبيح يدعو لحملة صليبية، كذلك في سنة (659هـ/1261م) انتهز لويس إحدى المناسبات الدينية ودعا إلى اجتماع عام اتخذ المجتمعون قراراً بمراقبة إحياء شعائر الدين، و إقامة الصلوات والتوقف عن الاحتفالات والمباريات الرياضية للإعداد للمهمة الجديدة في خدمة الحركة الفرنجية وتكليف رئيس الوعاظ في فرنسا للدعاية[2]، وبعد الحملة الدعائية كان لابد من موافقة البابوية، لذلك أرسل لويس مبعوثه لمقابلة كاردينال الكنيسة المقدسة، ليعرض عليه الأمر وفي حال موافقته؛ فعليه أن يبلغ البابا برغبته في اجتماع ملوك أوربا بباريس لشرح الموقف وإعلان الرغبة في إعداد حملة صليبية[3]، ثم أرسل الملك الفرنسي إلى البابا كليمونت الرابع مظهراً رغبته في الاشتراك شخصياً في هذه الحملة ومتمنياً موافقته عليها لكن البابا في البداية رفض لعدة أسباب:

---

1. (عامر، سامية): المرجع السالف، ص94.
2. (حسين، ممدوح): المرجع السالف، ص244-245.
3. (عامر، سامية): المرجع السالف، ص85 -86.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

1. خشيته من تجدد النزاعات في أوربا بعد رحيل الملك لويس، فقد كان عاملاً فعالاً في حفظ التوازن.

2.اشتراك لويس شخصياً في الحملة يعني فرض ضرائب على ممتلكات الكنيسة الفرنسية، واستئثاره بقسم كبير من أموال عائداتها؛ والتي كانت خزانة البابوية بحاجة إليها، وبعد وصول خبر الرفض أصر لويس في رسالة أخرى أرسلها إلى البابا سنة (664هـ /1266م) على موقفه في الاشتراك بالحملة، وتحت إصرار لويس وافق البابا الذي كان عالماً بأوضاع الفرنجة المتدهورة في المشرق[1]، فأرسل رسائله إلى ملوك أوربا يحرضهم على حمل الصليب ويصف مكسيموس مونرود نداءات الفرنجة في المشرق ورد فعل البابا عليها فيقول : (فصراخات المسيحيين الموجودين في فلسطين قد رنت في إقليم المغرب والبابا اكليمنضوس الرابع، إذ تمزقت أحشاوه توجعاً على مصابيهم أرسل من قبله قصاداً إلى سلاطين أوربا وأمرايها لكي يحرضوهم على أخذ صليب الحرب المقدسة)[2]، وقد علق المقريزي على ذلك أيضاً: (وأرسل يستنفر ملوك النصارى وبعث إلى البابه خليفة المسيح بزعمهم، فكتب البابا إلى ملوك النصارى بالمسير معه، و أطلق يده في أموال الكنائس)[3].

ثم شرح البابا من خلال خطب حماسية حالة الفرنجة في المشرق الذين فقدوا أملاكهم وخاصة بيت المقدس، كذلك ما زهق من أرواح صفوة الشباب والفرسان في سبيل الصليب، و ما يعانيه الفرنجة في المشرق من تدمير وعنف إسلامي، ثم بدأ يحث الناس على الاشتراك بالحملة واعداً إياهم بغفران ذنوبهم والتكفير عن خطاياهم. إلا أنه في الواقع لا يمكن أن ننكر أن الروح الفرنجية فترت، حتى إن الروح الحماسية التي غمرت لويس لم يكن يشعر بها غيره من الأمراء والملوك في أوربا، فقد أحس بصعوبة التأثير على غير قليل منهم حتى أنه غضب لما شعر بعدم صدق نية بعض النبلاء ورجال الدين واتهمهم بالتخاذل، والانصراف عن القضية الفرنجية[4]، فالفكرة

---

1. (حسين، ممدوح): المرجع السالف، ص247 -248.
2. (مونرود، مكسيموس): المرجع السالف، ص346.
3. (المقريزي): المصدر السالف، ج1،ق2، ص364.
4. (عامر، سامية): المرجع السالف، ص86 -87و 89.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفرنجية بدأت بالاحتضار، كما تعرض دعاة الحرب الفرنجية للسلب و الإهانة من الناس علناً وجهراً[1]، أضف إلى ذلك أنه وجد كثير من المعارضين للحملة وفي مقدمتهم جوانفيل صديق لويس، الذي وجد أن أوضاع المملكة بعد غيبة الملك عنها أصبحت تسير من سيء إلى أسوء، بل إنه ألقى اللوم على الأشخاص الذين شجعوا الملك على القيام بالحملة وخاصة أنهم يعرفون وضعه الصحي[2]، كذلك عارض الحملة كثير من أبناء الطبقة البرجوازية من البارونات التي وجدت أنها ستكون متضررة من الضريبة التي أقرها البابا للإنفاق على الحملة، لذلك نظمت هذه الطبقة عدة اجتماعات أبدت فيها معارضتها للملك ثم تطورت المعارضة إلى اضطرابات حدثت في مدن وقرى فرنسا، فالكثيرون منهم لم يشتركوا في الحملة عن اقتناع وإنما مسايرة للملك وكسباً لوده[3].

والواقع أن أمراء أوربا وملوكها في القرن (الثالث عشر الميلادي / السابع الهجري) لم يكونوا متحمسين لشن حروب فرنجية جديدة ضد المسلمين، لأنهم كانوا منغمسين في مشكلاتهم الداخلية وقد أدركوا عدم إمكانية فرض الوجود الفرنجي بالقوة للأبد، فالحملات الفرنجية لم تكن تحتل سوى نطاق هامشي من اهتماماتهم وهذا دليل على فتور الحماسة الفرنجية[4].

أما بالنسبة إلى تمويل الحملة فالكنيسة شغلت دوراً مهماً في تمويلها، حيث وزعت الأموال على النبلاء وطالبتهم بسرعة إعداد القوات المطلوبة، وفرضت إتاوات على عدة جهات لتقدم للملك الفرنسي المساعدة في تحمل عبء المصاريف، كذلك فرضت الكنيسة عدة ضرائب كرست للهدف نفسه وهذا يدل على موافقة البابوية ومشاركتها المعنوية والمادية للإعداد للحملة[5]. أما بالنسبة لموارد الحملة فكانت مما يلي:

---

1. (عامر، سامية): المرجع السالف، ص86-87و 89.
2. (زكار، سهيل): الموسوعة الشاملة، ج36، ص262ومايليها
3. (حسين، ممدوح): المرجع السالف، ص251.
4. (قاسم ، عبده قاسم): ماهية الحروب الصليبية، المجلس الوطني للثقافة والفنون الآداب، الكويت، (1410هـ /1990م)، ص158.
5. (الكناني، مصطفى حسن محمد): المرجع السالف، ص171-173.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

1. الهبات والعطايا الممنوحة من البابوية وكافة الكنائس الأوروبية إلى لويس، كذلك ما منحته الكنيسة لكبار النبلاء والملوك للغرض نفسه
2. ضريبة العشر الذي تدفعها الكنائس الغربية جمعاء من دخلها، وقد خصصت لإعداد الحملة فقط.
3. نصف دخل رجال الكنائس و الإبرشيات الموجودة في كل من ليج و متز وتول وفردان، كذلك أبرشيات وكنائس الجزء غير التابع لنفوذ الملك لويس في إقليم ريمس الفرنسي .
4. إعفاء لويس من دفع الضريبة السنوية المقررة للكنسية الرومانية .
5. جمع البابوية بعض الأموال البسيطة من كافة المدن الصغيرة لتقديمها كمساعدة للملك بمناسبة رسم فيليب كفارس، ثم عممت على المدن الكبيرة وقد ساعد ذلك الملك على دفع النفقات الخاصة لبعض جوانب الإعداد للحملة[1].

وبعد حصول لويس على موافقة البابا دعا لانعقاد اجتماع في باريس بقصر اللوفر، وكان ذلك في صباح 25 آذار (665هـ /1267م) حضره الملك ونائب البابا يحمل إكليل الشوك[2]، وقد أخرجت الآثار المقدسة للحضورومن ضمنها قطعة من خشبة الصليب الأصلي بهدف التأثير بهم[3]، وكان من بينهم جان جوانفيل، الذي حاول الاعتذار عن الاجتماع إلا إنه اضطر تحت إصرار الملك للحضور.

ثم ألقى الملك خطبة أعلن فيها عن نيته بحمل الصليب وقيادة حملة فرنجية، ودعاهم للانضمام إليهم، ثم ألقى نائب البابا بدوره كلمة وعظ فيها الجميع وحثهم على متابعة الملك ثم سلم الصليب للملك[4]، ومن ثم دعا الجميع لحمل السلاح والاستعداد

---

1. (الكناني، مصطفى حسن محمد): المرجع السالف، ص171-173.
2. كان ملك القسطنطينية يملك هذا الأكليل ثم رهنه لدى البنادقة فوهبه للويس الذي قبله ووفى الدين للبنادقة، وهو محفوظ الآن في كنيسة مريم العذراء الكاتدرائية في باريس. (مونرود، مكسيموس): المرجع السالف، ص348.
3. (حسين، ممدوح): المرجع السالف، ص248-249.
4. (زكار، سهيل): الموسوعة الشاملة، ج36،ص260. Castelot,Andre:p168

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لإنقاذ الأراضي المقدسة من المسلمين، وقد حمل الصليب إضافة للويس أولاده الثلاثة فيليب و بيتروحنا الحزين إيذاناً ببدء إعداد الحملة[1]، كذلك شارك صهره تيبالد ملك نافار وابن أخيه روبرت كونت أرتوا وكونت بريتاري وولي عهد الفلاندر وكونت سانت بول وكونت سواسون[2]، كذلك لا يمكن أن ننكر دور النساء اللواتي شاركن بالحملة مثل السيدة ده بواتياس والكونتاده براثانيا ويوليانده بورغونيا وجوناده طولوزا ..... [3].

كذلك شارك في الحملة عدد كبير من فرنجة الشرق الذين وصلوا إلى تونس من عكا بأعداد كبيرة، وإمدادات ضخمة وعدد كبير من السفن، وقرابة اثنين وثلاثين فارساً وقدموا جميعاً إرضاء للويس وما يبذله رغم شيخوخته في سبيل قضية الصليب المقدس[4]، كذلك حاول لويس اصطحاب جوانفيل لكنه اعتذروتعلل بضرورة بقائه في فرنسا لرعاية أمور الشعب بعد ماحل بالبلاد من متاعب في فترة تغيب لويس عنها[5]

وبعد انفضاض الاجتماع أرسل لويس إلى حكام المدن الايطالية وعلى رأسهم جنوى والبندقية، وأخيه شارل أنجو والبابا يرجوهما العدول عن مشروعهما الفرنجي ضد القسطنطينية، وتكريس جهودهما للإسهام في حملته ضد المسلمين في الأراضي المقدسة ـ وكان ذلك قبل تحويل مسار الحملة إلى تونس ـ معلناً هدفه ليس طلب الزعامة والشهرة، بل حماية الأراضي المقدسة من هدفه ليس طلب الزعامة والشهرة، بل حماية الأراضي المقدسة من المسلمين وهجمات بيبرس المتكررة عليها[6].

وفي سنة (665هـ / 1267م) وأثناء الاستعداد للحملة رسم حوالي سبعين فارساً كان من بينهم ابنه وولي عهده فيليب وابن أخيه روبرت كونت أرتوا وأدمون ابن ملك انكلترا، وقد جرى ذلك في احتفال كبير أقيم بساحة نوتردام فانتهز تلك المناسبة، وألقي

---

1. (الكناني، مصطفى حسن محمد): المرجع السالف، ص142.
2. (زابوروف، ميخائيل): المرجع السالف، ص319.
3. (مونرود، مكسيموس): المرجع السالف، ص348.
4. (عامر، سامية): المرجع السالف، ص99.
5. (زكار،سهيل): الموسوعة الشاملة، ج36،ص261.
6. (الكناني، مصطفى حسن محمد): المرجع السالف، ص143.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

خطبة حماسية لشحذ الهمم والحث على المشاركة في الحملة[1]، ولكن قبل مغادرة لويس باريس زوج ابنته من فرناند دولا كاستيل وهو ابن عم ملك ألمانيا، وذلك لأنه كان موعوداً بحصة إرث ومنصب عال[2]، أما بالنسبة لإرثه فقد وزعه على أولاده الأربعة، وأعطى بناته الباقيات دون زواج كل نقدها وجهازها، كذلك أعطى زوجته مرغريتا صداقها وإرثها ثم وزع صدقات إلى ثمانمئة مكان للمرضى والبيمارستانات والأديرة[3]، ثم دخل لويس التاسع في مفاوضات مع البندقية وجنوى لاستئجار الأسطول اللازم حيث انتهت المفاوضات بعقد اتفاقية مع جنوى لهذا الغرض، وكان من بين بنودها أن للملك الحق في أن يتوقف في أي ميناء لمدة لا تتجاوز الشهر، ويمكنه الاحتفاظ بالأسطول إلى ما بعد الشتاء مقابل دفعة إضافية مقدارها خمس المبلغ الأساسي المتفق، وقد تم إعداد ميناء إجمورت ليكون نقطة انطلاق الحملة[4].

وعندما وصلت أخبار الحملة إلى المستنصر بدأ في الاستعداد لمواجهتها فقام بالاستكثار من العدة وأرسل إلى الثغور لإصلاح الأسوار واختزان الحبوب، كما أنه بادر إلى إرسال سفارة إلى بلاط لويس التاسع تحمل ثمانين ألفاً لاسترضاء لويس فيقول ابن خلدون في ذلك: (وأوفد السلطان رسله إلى الفرنسيس لاختبار رجاله و مشارطته على ما يكف عزمه وحملوا ثمانين ألفاً من الذهب، لاستتمام شروطهم فيما زعموا فأخذ المال من أيديهم وأخبرهم أن غزوهم إلى أرضهم، فلما طلبوا المال اعتل عليهم بأنه يباشر قبضه)[5]، كذلك ذكر كل من ابن الشماع[6]، والوزير السراج بأن المستنصر طلب المهادنة لكن لويس امتنع، ولم يكتف بذلك بل إنه أغلظ للرسول وأعلمه أنه متوجه إلى تونس[7]، وأخذ المال الذي كان في حوزة الرسل وبالتالي جنى

---

1. (حسين، ممدوح): المرجع السالف، ص252.
2. Castelot,Andre:p168.
3. (مونرود، مكسيموس): المرجع السالف، ص351.
4. (حسين، ممدوح): المرجع السالف، ص253.
5. (ابن خلدون): المصدر السالف، ج6، ص291. (المقريزي): المصدر السالف، ج1، ق2، ص365.
6. (ابن الشماع): المصدر السالف، ص71.
7. (الوزير السراج): المصدر السالف، ج1، ق4، ص1033.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

غنائمه قبل خروجه إلى تونس، كما أنه عندما أعلم السفارة بوجهته إلى تونس دليل واضح على أن نيته منذ البداية كانت التوجه إلى تونس. وخلال لقاء لويس بالسفارة دار حوار طويل بين الطرفين طالب لويس الحفصين بدفع التعويضات الخاصة بأحد رعايا فرنسا، كما أبلغهم برغبته بتنصير سلطانهم، حيث قال: (وإنني أود أن أظل حبيس سجون المسلمين ولا أرى نور الشمس مطلقاً إذا كان المقابل أن أقوم بتعميده هو وشعبه)[1]، كذلك انتهز وجود سفارة بيبرس والسفارة الحفصية وقام بتعميد أحد كبار اليهود، وأثناء الاحتفال توجه إلى السفراء الحفصين بقوله: إنه يتمنى تنصير سلطانهم على يده وتعميده مثل ذلك اليهودي[2].

وعلى أي حال فإن إقامة السفراء لم تطل وعادوا إلى تونس يحملون أخبار أنباء الغزو القريب، لذلك بدأ المستنصر يعد العدة للتصدي لهم ولكن ما هو السبب في مجيء سفارة بيبرس؟ طبيعي أن بيبرس قد أدرك أن سقوط أنطاكية سوف يثير العالم الأوربي مثلما حدث بسقوط الرها التي سببت مجيء الحملة الفرنجية الثانية، لذلك فبيبرس أرسل سفارة إلى لويس يتهدده ويتوعده وأنشده السفير قول ابن مطروح :

قل للفرنسيس إذا جئته　　مقال صدق من قول فصيح
قد جئت مصر تبتغي أخذها　　تحسب أن الزمر يا طبل ريح
دار ابن لقمان على حالها　　والقيد باق والطواشي صبيح [3]

ويصف ابن خلدون رد فعل لويس بعد سماعه القصيدة: (فلما استكمل إنشاده لم يزد ذلك الطاغية إلا عتواً واستكباراً، واعتذر عن نقض العهد في غزو تونس بما يسمع عنه من المخالفات، عذراً دافعهم به، وصرف الرسل من سائر الآفاق ليومه)[4]، أما بالنسبة للويس فد انطلق من باريس باتجاه أجمورت في أوائل الربيع (668هـ / 1270م) مروراً بمدينة أغوزمورتاس، ثم بورجو، ثم بيكيردفيان ثم عبروا نهر الرون إلى إجمورت، وهناك انتظروا وصول بقية القوات، فمدة الانتظار هذه

---

1. (الكناني ، مصطفى محمد حسن): المرجع السالف، ص162.
2. (حسين، ممدوح): المرجع السالف، ص259.
3. (ابن تغري بردي): المصدر السالف، ج6، ص368.
4. (ابن خلدون): المصدر السالف، ج6، ص292.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ستؤثر سلباً على وضع الحملة كما سيمر لاحقاً، وهناك في إجمورت حدثت صدامات بين تجار في إجمورت وبين الجنود استخدموا فيها الأسلحة والسيوف، وقد ذهب ضحيتها مئة شخصاً من الفرنجة وأهالي المدينة، فعقد مجلس استثنائي نوقش فيه ضرورة وضع حد لهذه المشاحنات التي طال أمدها حتى وإن اضطروا إلى مغادر إجمورت، الأمر الذي أوقع لويس في حيرة هل يبق في إجمورت ينتظر على أمل وصول بقية القوات الفرنجية ؟ أم يرحل بجيشه والفتنة على أشدها بين جنوده ؟

لكنه اختار الأمر الأول لكن انتظاره طال، فصدر الأمر بالرحيل إلى سردينيا[1] وخطب بالجند خطبة حث فيها على نصرة دينهم والزهد في الحياة الدنيوية ثم ركب الملك سفينته وأقلع الأسطول إلى ميناء كالياري في "سردينيا" وكان على السفن التي ستقلع منها أن تلحق بهم إلى ذلك الميناء، وكانت رحلتهم شاقة فقد هبت عواصف بحرية شتت السفن، ثم بدأت تصل إلى ميناء كالياري، وكانت سردينيا تابعة لبيزا التي كانت في حالة عداء مع جنوى صاحبة الأسطول، وكادت تحدث مناوشات بينهما، وبعد مفاوضات بين الطرفين أمر الملك بنزول المرضى من السفن لمعالجتهم، أما الملك فقد رفض النزول إلى البر وبقي ينتظر وصول السفن القادمة من مرسيليا، وبالفعل لحق به ملك نفارة وكونتئ فلاندرز وسواهما، عندما تكاملت قطع الأسطول بادر لويس إلى عقد مجلس حربي ضم كبار المشاركين في هذه الحملة وكبار العسكريين، وقد نوقش فيه الخطة العسكرية للهجوم ، ثم صدر الأمر بالرحيل إلى إفريقية[2].

وفي سردينيا واجهت الحملة متاعب أيضاً حيث قلت الأقوات مما زاد الطين بلة وزاد تدهور الحملة حتى قبل وصولها إلى تونس ومن الغريب أنه في تلك اللحظة التي اتخذ فيها القرار بالتوجه إلى تونس فوجئ لويس بأن أخاه شارل يعتذر عن الرحيل معه بحجة أن مصالحه بمملكته تتطلب وجوده فيها[3]، إلا أنه لا يمكن إغفال السبب

---

1. (عامر، سامية): المرجع السالف، ص105-106.
2. (حسين، ممدوح): المرجع السالف، ص286-287.
3. (عامر، سامية): المرجع السالف، ص109-110.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الحقيقي وهو أن شارل أراد أن يحقق كسباً مزدوجاً، فهو من ناحية يزج أخاه في احتلال تونس ويتفرغ هو لتوسيع ممتلكاته ضد بيزنطة ويصفي حسابه معها، وهذا يدل على مكر ودهاء سياسي[1]، ويورد زابوروف سبباً آخر وهو أن شارل كان يفضل أنيقيم علاقات حسن جوار مع البلدان الإسلامية في شمال إفريقية وتونس كانت تستورد الحبوب من صقلية باستمرار فاشتراك لويس يهدد هذه العلاقات التجارية القائمة منذ زمن[2]، إلا أن الخطأ الآخر الذي ارتكب أثناء رحيل الحملة هو الإسراع في قرار الإبحار إلى تونس، فقد كان على لويس أن يعيد تنظيم صفوفه ويتفادى مشكلة قلة الأقوات بسبب طول الانتظار في إجمورت، أضف إلى ذلك انتشار الأمراض بين رجاله وما حدث من فوضى بين رجال الجيش، وهبوط الروح المعنوية، وقد استأنف لويس رحلته من سردينيا إلى تونس وعادت مشكلة المرض لتظهر من جديد في صفوف الجيش، ثم جاءت رياح عاصفة بالقرب من تونس زادت الوضع سوءاً[3] .

وهنا لابد من ذكر رواية وردت عن ابن تغري بردي بأن الفرنجة اتجهوا إلى مصر، فيقول: (فبلغه . أي الظاهر بيبرس . أن مراكب الفرنج دخلت ميناء وأخذت مركبين، فوصلها ثاني عشر شعبان) ثم (ورد عليه البريد من الشام أن الفرنج قاصدون الساحل والمقدم عليهم أخو ريدا فرنس، وربما كان محطهم عكا، فتقدم الملك الظاهر إلى العسكر بالتوجه إلى الشام، ثم ورد الخبر أيضاً بأن اثني عشر مركباً للفرنج عبروا الإسكندرية ودخلوا ميناءها، وأخذوا مركباً للتجار واستأصلوا ما فيه وأحرقوه)[4].

كما يورد ابن ايبك الدواداري أن: (مراكب الفرنج دخلوا ميناء الاسكندرية وأنهم أخذوا مركبين من مراكب المسلمين)[5] بالنسبة لهاتين الروايتين فعلى الأغلب أنهما لا تمتان للواقع بصلة ويبدو أن هزيمة لويس في مصر جعلت بعض الأقاويل تكثر بأنه

---

1. (عامر، سامية): المرجع السالف، ص109-110.
2. (زابوروف، ميخائيل): المرجع السالف، ص324.
3. (عامر، سامية): المرجع السالف، ص109 - 110.
4. (ابن تغري بردي): المصدر السالف، ج7، ص148.
5. (ابن ايبك الدواداري، أبي بكر بن عبد الله): كنز الدرر وجامع الغرر (الدرة الزكية في أخبار الدولة التركية)، تح: أولرخ هارمان، قسم الدراسات الإسلامية، القاهرة، (1971م)، ج8، ص144.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

جاء للانتقام لهزيمته، كما أن سير الحملة من ميناء إجمورت ثم سردينيا دليل واضح على أن مسار الحملة ليس متجهاً إلى مصر وإنما إلى تونس، وعلى الرغم من أن لويس كان مدركاً استحالة اتجاه الحملة إلى مصر إلا أنه اتخذ مجموعة من التدابير والاستعدادات: (ولم يجسر والي الإسكندرية أن يخرج الشواني من الصناعة لغيبة رئيسها في مهم استدعاه الملك الظاهر بسبب مهم، ولما بلغ الملك الظاهر بعث في بقتل الكلاب في الإسكندرية وألا يفتح أحد حانوتاً بعد المغرب ولا يوقد ناراً في البلد ليلاً)، ثم (خرج نحو دمياط في يوم الخميس خامس ذي القعدة...ثم عاد الملك الظاهر من دمياط بسرعة ولم يلق حرباً)[1].

1. (ابن سباط): المصدر السالف، ج1، ص429.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

حصار تونس ورد الفعل التونسي :

وأخيراً وصل لويس التاسع قبالة مدينة قرطاج[1]، بعد رحلة صعبة واجهها هووقواته من سردينيا إلى تونس ذاق خلالها الأسطول الفرنسي الأمرين، بسبب قلة الأقوات، وانتشار الأمراض بين جنوده، نتيجة طول الانتظار في ميناء أجمورت، فضلاً عن العواصف الشديدة التي واجهتهم في الطريق، وسوء الأحوال الجوية التي ساعدت على انتشار الأمراض بين جنود الحملة[2]، فكان ذلك من أشد الأخطاء الحربية التي ارتكبت، وكان يتوجب على الحملة السير مباشرة إلى تونس، فانتشر نتيجة ذلك المرض بين الجنود ومات الكثير ومنهم مندوب البابا في الحملة[3].

ويصف مكسميوس مونروند الأيام الأولى من وصول العساكر الفرنسية إلى شاطئ قرطاج فيقول:(ففي الأيام الأولى من وصول العساكر الفرنساوية إلى هناك تناقصت عنهم المياه .... كثيرين منهم داء الدسنتاريا والأمراض والحمى الخبيثة.....كما أن الشمس الشديدة الحرارة عذبت جداً هؤلاء الجيوش المتربين في أصقاع عذبة)[4].

أما عن تاريخ وصول الحملة، فالمصادر الإسلامية لا تختلف كثيراً حول ذلك، فمعظمها حدد ذي القعدة (668هـ/1270م) كشهر، وكسنة لوصول الحملة، فيذكر كل من ابن خلدون[5]، وابن أبي دينار[6]، والمقريزي أنه تم نزول القوات الفرنسية في آخر ذي القعدة (668هـ/1270م)[7]، إلا أن الوزير السراج[8]، وابن الشماع[9] كانا أدق

---

1. (قرطاج): مدينة قديمة على الساحل الشمالي لإفريقية على مقربة من العاصمة تونس، تأسست في القرن 9ق.م بواسطة الفينيقين. (هاوس ، سوفينير بوك): موسوعة عالم البلدان(بلدان المغرب العربي)، دار الراتب الجامعية، بيروت، (د.ت)، ص13.
2. (عامر، سامية): المرجع السالف، ص117. 118.
3. A.pavy:P321
4. (مونرود، مكسيموس): المرجع السالف ، ص354.
5. (ابن خلدون): المصدر السالف، ج6، ص292.
6. (ابن أبي دينار): المصدر السالف، ص129.
7. (المقريزي): المصدر السالف، ج1،ق2، ص365.
8. (الوزير السراج): المصدر السالف، ج1، ق4، ص1032.
9. (ابن الشماع): المصدر السالف، ص72.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

في تحديد اليوم الذي نزلت فيه القوات الفرنسية، فقد حددا 26 ذي القعدة (668هـ/1270م) ، وينفرد "ابن قنفذ" في رواية ذكرها يبدو أنها لا تمت إلى الصحة، فقد حدد يوم الخميس 26 ذي الحجة (668هـ/1270م)[1]، أما اليونيني فيحدد 18 ذي الحجة (668هـ/1270م)[2]، أما ابن أبي زرع فيذكر أنه في 25 ذي الحجة (668هـ/1270م)، تم قدوم القوات الفرنسية[3]، وبعد مقارنة الروايات يمكن القول إنَّ آخر ذي القعدة هو وقت نزول القوات، أما بالنسبة لعددهم وعدد قطع الأسطول، فمعظم المصادر الإسلامية لم تحدده بالضبط، فابن خلدون يذكر أنهم كانوا زهاء ستة آلاف فارس، وثلاثين ألفاً من الرجالة، وأن أساطيلهم ثلثمئة بين كبار، وصغاروكانوا سبعة يعاسب[4]، أما المقريزي فيقول أنهم كانوا في ستة آلاف وثلاثين ألف راجل، ولم يذكر عدد الأساطيل المشاركة[5]، أما ابن أبي زرع فيقول: (أربعين ألف فارس، ورماتها مئة)[6]، واليونيني يحدد عدد القوات أربعمئة ألف راجل، منها ستة وعشرون ألف فارس، والأسطول أربعمئة مركب[7].

وبعد وصول لويس قبالة قرطاج فوجئ عندما لم يظهر المستنصر من الدلائل ما يشير إلى رغبته في التحول إلى المسيحية، وقد أصبح شغله الشاغل هوأن يعمل على علاج مرضاه الذين بدأ المرض يستشري بينهم وينهك قواهم، حيث فشلت محاولته لشراء الدواء من تونس، فقد تنكر رجاله بزي تجار أتوا تونس لشراء الدواء لكن أمرهم انكشف، فلجأ إلى إجبار الأهالي لبيع ما يحتاجونه، إلا أن تجار تونس تصدوا لهم، ورفضوا إمدادهم بالمؤن والإسعافات اللازمة لعلاج مرضاهم[8]، وذلك يدل على أن

---

1. (ابن قنفذ): المصدر السالف، ص132.
2. (اليونيني): المصدر لسالف،ج2، ص454.
3. (ابن أبي زرع، علي بن محمد): الأنيس المطرب وروض القرطاس في أخبارالمغرب وتاريخ مدينة فاس، (د.ن)، (د.م)، (1887م).ص38.
4. (ابن خلدون): المصدر السالف، ج6، ص292.
5. (المقريزي): المصدر السالف، ج1، ق2، ص365.
6. (اليونيني): المصدر السالف، ج2، ص455.
7. (ابن أبي الزرع): المصدر السالف، ص38.
8. (عامر، سامية): المرجع السالف، ص122.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وضع الحملة كان سيئاً منذ وصولها إلى تونس، وهذا أحد الأسباب التي ستؤدي إلى فشلها كما سيبدو، فطول الانتظار في أجمورت لم يؤد فقط إلى انتشار الأمراض، بل أدى أيضاً إلى نفاذ المخزون لديهم، أضف إلى ذلك أنهم اضطروا إلى إنفاق الكثيرمن الأموال لتغطية متطلبات الجند أثناء وجودهم في أجمورت ثم في سردينيا، وعندما أخفقت كل الخطط لمدهم بالدواء والمؤن عُقد مجلسٌ لمناقشة الموضوع والتوصل إلى نتيجة لحل هذه المشكلة فاقترح كبار الفرسان استخدام القوة المسلحة، إلا أن لويس رفض الاقتراح بحمل السلاح مبكراً، وأرسل رسالة ودية يطلب فيها من الأهالي أن يوافقوا على بيع كل ما تحتاجه الحملة لمعالجة مرضاه وتقديم العناية لهم، لكن كل المحاولات لم تأت بنتيجة مع أهالي قرطاج، الأمر الذي أثار الجند ضدهم، فأرسل لويس مبعوثين من قبله لابتياع بعض الحاجيات، وشراء المؤن اللازمة للجيش، وقد وصل الأمر إلى أن فكر لويس في عرض أشياء ثمينة للبيع، ورغم ذلك فإن كل المحاولات التي بذلها الفرنجة في استمالة أهل تونس باءت بالفشل، فتيقن الفرنجة أن الأمور لم تحسم إلا بقتال[1].

ونتيجة لما تقدم بدأ الفرنجة بالاستيلاء على خرائب قرطاج وتمركزوا فيها، حيث قام مقدم الأسطول بالتقدم لاختيار مكان النزول، واتجه ببعض القوات إلى مرسى قريب من هضبة بيرصا واستولى عليه، ثم نزل البر دون مقاومة، ثم أرسل مقدم الأسطول يخبر الملك بالاستيلاء على المرسى، ويطلب منه قوة إضافية لتعزيز الموقع خوفاً من مهاجمة المسلمين، وبالفعل وصلت قوة داعمة، وقد وكّل إلى قائدها دراسة الوضع هناك، وهل هو مناسب لنزول الجيش ليلاً[2]؟

وقد تفاوض المستنصر مع أهل الشورى من الأندلس، والموحدين في تخليتهم وشأنهم من النزول في الساحل، أوصدهم عنه فأشار بعضهم بصدهم حتى تنتهي ذخيرتهم من الزاد والماء، فيضطرون إلى الإقلاع[3] وقال آخرون: إذا أقلعوا من مرسى الحضرة ذات الحامية، والعدد فيحاصروهم وينقضواعليهم لأنهم إذا نزلوا بقربها قد

---

1. (عامر، سامية): المرجع السالف، ص123-125.
2. (حسين، ممدوح): المرجع السالف، ص293-294.
3. (ابن خلدون): المصدر السالف، ج6، ص292.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يطوقوا بعض الثغور ويستولوا عليها، ثم تقرر الأخذ بالرأي الثاني وسمح للفرنجة بالنزول في قرطاج وخلى لهم الساحل ولا يقاتلهم[1]، على أن "ممدوح حسين" له مأخذ على كلا الرأيين فيقول :(فقد فات أصحاب الرأي الأول أن هذه الطريقة في المقاومة غير مجدية، لأن البحر كان مفتوحاً من وراء الأسطول الصليبي ويمكنه الحصول على التموين اللازم له من صقلية القريبة أو سواها بسهولة.....مما يضاعف الخطر الصليبي ....ويدل الرأي الثاني على قدر غير قليل من التخاذل على المستوى الرسمي وبُعد الطبقة الحاكمة عن التحلي بروح الفاتحين المسلمين الأوائل.....)[2] .

وفي يوم الجمعة بدأ الفرنجة يشاهدون قوات إسلامية قرب الميناء يبدوأنها للمراقبة فقط، فعقد الملك اجتماعاً قرر فيه المجتمعون النزول إلى البر، وبالفعل بدأت سفينة الملك تسير نحو الميناء، والقوات الفرنجية تغادر سفنها وتنزل بر الميناء، وكان نزولهم في لسان من الأرض ممتد في البحر تبعد عن حصن قرطاج حوالي 5 كيلو مترات ونصبوا خيامهم بها، إلا أن هذا الموقع كان خالياً من الماء العذب فبدا غيرصالح للإقامة، مما دفعهم للتفكير في التحول عنه إلى مكان آخر[3].

ومن ثم اقترح عدد من كبار الأمراء والفرسان محاصرة القلعة، فوافقهم لويس وتم إعداد خطة محكمة للحصار، وفي يوم الخميس (3 ذي الحجة 668هـ/ 24يوليو 1270م)، تقدمت القوات الفرنجية نحو قلعة قرطاج وصدرت التعليمات بموعد الهجوم، وتم الحصار براً وبحراً وتمكنت القوات الفرنجية من اقتحامها، دون وجود أي رد فعل إسلامي من داخلها، وتمكن البحارة الفرنجة من صعودها واعتصموا بداخلها لساعات طويلة، حتى يمنعوا أي محاولة لاستعادتها من قبل المسلمين، وكان هم الفرنجة هو نقل مرضاهم لتوفير الرعاية الصحية لهم، وقد سقط عدد من المسلمين أسرى في قبضة الفرنجة، وهذا يدل على سوء التخطيط العسكري من جانب المستنصر لمواجهة الموقف[4]، كذلك قام الفرنجة بوحشية بتطهير القلعة من المسلمين

---

1. (ابن خلدون): المصدر السالف، ج6، ص292.
2. (حسين، ممدوح): المرجع السالف، ص300.
3. (حسين، ممدوح): المرجع السالف، ص293-294.
4. (عامر، سامية): المرجع السالف، ص 125-128.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المختفين في الأقباء، والسراديب، فقتلوا كل من عثروا عليه منهم ثم أضرموا النار في تلك السراديب لإحراق باقي المختفين وهم أحياء، فاحترق منهم من احترق ومات الباقون اختناقاً بالدخان[1]، وقد ترتب على سقوط القلعة بهذه السرعة رفع معنويات الفرنجة بصفة عامة، ولويس بصفة خاصة، كذلك فإن نجاحهم أيضاً ترتب عليه تكوين فكرة دقيقة عن أحوال المعسكر الإسلامي ونقاط الضعف فيه[2]، إلا أن ذلك لا يعني عدم وجود مقاومة إسلامية تونسية، حيث يذكر ابن خلدون هجوماً شنه المسلمون عبر البحيرة، فيقول: (وسلك بعض المسلمين طريقاً في البحيرة واتبعهم العرب، فأصابوا غرة في العدو فظفروا وغنموا وشعورا بمكانهم فكلفوا بحراسة القلعة وبعثوا فيها الشواني بالرماة ومنعوا الطريق إليهم)[3].

ويبدو أن هذه الهجمات الخاطفة التي شنها المسلمون أشبه بحرب عصابات، فقد بادر بعضهم بالتسلل إلى جيش العدو ومهاجمته على حين غرة بعد عبور البحيرة[4]، كذلك بعد سقوط القلعة بيومين أحاط المسلمون بها مما أثار الرعب لدى الفرنجة، كذلك أرسل المستنصر عشرة من كبار الفرسان بهدف إبلاغ الفرنجةالمعتصمين داخلها بضرورة الرحيل عنها، إلا أن لويس لم يعبأ بهذه التهديدات[5]، بل شرع بتحصين قرطاج التي كانت جدرانها مائلة، فوصلوا ما فصله الخراب من أسوارها بألواح الخشب ونضدوا شرفاتها وأداروا على السور خندقاً وتحصنوا بها[6]، وبذلك يكون الفرنجة قد استفادوا من الأبنية والحصون الموجودة بها، وأضافوا عدداً من الأسوار والخنادق[7]، ولكن هناك سؤال مهم وهو لماذا قصد الفرنجة قرطاج المهدمة تحديداً رغم إنها أطلال وخراب ؟

---

1. (حسين، ممدوح): المرجع السالف، ص296-297.
2. (عامر، سامية): المرجع السالف، ص 125-128.
3. (ابن خلدون): المصدر السالف، ج6، 293.
4. (حسن، محمد): المرجع السالف، ص691
5. (عامر، سامية): المرجع السالف، ص 125-128.
6. (ابن خلدون): المصدر السالف، ج6، ص293.
7. (شلبي، أحمد): الحروب الصليبية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، (د.ت)، ص117.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إن تحكمهم في ميناءها سيسهل عملية نفاذ المسيحيين داخل تونس نفسها، وبالتالي فالمسافة بين قرطاج وتونس لا تتعدى بضعة أميال و تكون تونس مفتوحة أمامهم، ثم إن لويس لم يكتف بالسيطرة على القلعة والميناء، وإنما سيطر أيضاً على البرج بعد سقوط عدد من القتلى من الطرفين[1]، وهكذا ندم المستنصر على إضاعة الحزم في تخريب سور قرطاج وهذا يدل على الضعف الذي كان يشعر به أمام مجابهة الحملة.

ويلقي "محمد العروسي المطوي" اللوم على المستنصر ويقول: (ولو أن مجيئهم كان مفاجئاً لالتمس له الأعذار ما يبرر تمكنهم من النزول على بضعة من إقامته، أما أن يكون هذا الموقف بعد أن وصلت الأخبار من قبل..... فلا يفهم منه إلا الخوف من المجابهة والوهن عن المقاومة)[2]، بدليل ما ذكره صاحب كتاب مسالك الأبصار في ممالك الأمصارحيث قال: (لم يخرج بنفسه للقائهم وإنما اكتفى بإخراج سبعة قواد نازلوه.....)[3]، فالمستنصر بذلك كان في وضع لا يحسد عليه، حيث اهتزت صورته أمام باقي المسلمين الذين اتهموه بسوء تقدير الموقف واستهانته بأمر الحملة، فلم تكن هناك انتفاضة قوية من قبله لمنع هذا البلاء، بل ترك البلاد نهباً للويس وجيوشه، وأصبح الفرنجة قاب قوسين من تونس نفسها[4]، وما حدث في قرطاج أحدث قلقاً في أنحاء العالم الإسلامي، حيث وجه بيبرس رسالة قاسية للمستنصر يقول فيها: (إن مثلك لا يحق أن يلي أمور المسلمين، وأنه يجب عليك أن تتحلى بالشجاعة، والإباء وبذل كل الجهد للدفاع عن بلادك)[5]، وبلا تردد جمع بيبرس أمراء المماليك وأخبرهم بنيته في الذهاب على رأس جيش قوي إلى شمال إفريقية، لمساعدة المسلمين لصد هذه الحملة[6].

---

1. (عامر، سامية): المرجع السالف، ص130-133.
2. (المطوي، محمد العروسي): السلطنة الحفصية، ص205.
3. (العمري، شهاب الدين أحمد بن يحيى بن فضل الله): مسالك الأبصارفي ممالك الأمصار ،تح: حمزةعباس، ط1،المجمع الثقافي،أبوظبي،(2002م)، سفر4، ص138.
4. (عامر، سامية): المرجع السالف، ص134.
5. (المطوي، محمد العروسي): السلطنة الحفصية، ص205.
6. (معلوف، أمين): الحروب الصليبية كما رآها العرب، تر: عفيف دمشقية، ط1، دار الفارابي، بيروت، الجزائر، (1977م)، ص312.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثم كتب إلى عربان الغرب، وبرقة بالتقدم لإنجادهم وحفر الآبار في الطرقات[1]، فذلك الوضع يعكس لنا دلالة واضحة في صورة أن الخطر الفرنجي في تونس قد جعل المماليك يفكرون في تقديم المساعدة للتونسيين، وذلك انطلاقاً من وجود مخاوف حقيقية من غزو مصر ثم الأماكن المقدسة[2].

ولكن هل سيبقى المستنصر مكتوف الأيدي حيال هذا الموقف ؟ من الطبيعي أنه بعد اهتزاز صورته أمام العالم الإسلامي، وأنه قد ظهر بموقف المتخاذل سوف لن يقف مكتوف الأيدي، وهوالذي حصل على لقب خليفة المسلمين، فقام حيال ذلك بتحصين مدينة تونس واستنفر القبائل، واكتسبت المقاومة صبغة الجهاد المقدس، الذي نادى به الصالحون، والفقهاء والأولياء[3]، ومن بين رجال القبائل الذين أتوا من قسنطينة بقيادة والي بجاية أبي زيان محمد بن عبد القوي أمير بني توجين، كما أن إعلان الجهاد أثار حماس قسم من سكان المدن، ورجال الدين الذين أصدروا نداءً إلى الأهالي مستشهدين بالقرآن لتحرضهم على الجهاد[4]: (انفروا خفافاً و ثقالاً وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون)[5]، كذلك شاركت منطقتا الساحل والقيروان بقيادة الشيخين "أبي علي سالم القديدي" و"أبي علي عمار"، اللذين جاءا من القيروان يحرضان على الجهاد، فاجتمع حولهما خلق كثير، ولما وصلوا تونس ضربوا خيامهم قربها وكانوا يخرجون كل يوم للحر إلى أن انقضت بين الفريقين[6]، كذلك جاءت جموع "العرب"، و"سدويكش"، و "ولهاصة"، و "هوارة" حتى إن ملوك المغرب أمدوه من زناته، كذلك عين سبعة من الموحدين على سائر الجند وهم اسماعيل بن أبي كلداسن، وعيسى بن داوود ويحيى بن أبي بكر، ويحيى بن

---

1. (بن عبد الظاهر، محي الدين): الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر، تح: عبد العزيز الخويطر، ط1، (د.ن)، (د.م)، (1396هـ / 1976م)، ص373.
2. (عوض، محمد مؤنس أحمد): الحروب الصليبية العلاقات بين الشرق والغرب ، ط1، عين للدر اسات والبحوث الانسانية والاجتماعية، بورسعيد، (1999. 2000م)، ص317.
3. (جوليان، شارل اندريه): المرجع السالف، ج2، ص181.
4. (برنشفيك، روبار): المرجع السالف، ص91.
5. التوبة الآية 41.
6. (المطوي، محمد العروسي): السلطنة الحفصية، ص208.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

صالح، وأبو هلال عياد، ومحمد بن عبو. أسندت للقائد يحيى بن صالح ويحيى بن أبي بكر[1]، كذلك امتلأت سواحل رداس بالمرابطين، والمطوعة، وجند الأندلس الذين وصل عددهم حوالي أربعة آلاف فارس وهؤلاء كانوا تحت قيادة محمد بن أبي الحسين رئيس الدولة[2]، وحيال ذلك فإن لويس لم يقدم على هجوم تونس بل إنه تردد في ذلك، كما أن تأخر وصول شارل، وقلة التنظيم في الجيش الفرنجي، ووجود المرضى كل ذلك سمح للمستنصر أن يجمع هذه الأعداد من المدافعين[3]، بينما التزم هو القعود في إيوانه مع بطانته، وأهل خاصته وهم الشيخ أبو سعيد المعروف بالعود، وابن أبي الحسين وقاضيه أبو القاسم بن البراء وأخو العيش[4]، ولكن ما الهدف من التزم السلطان القعود مع بطانته ؟ فهل هذا يدل على عدم رغبة السلطان الاشتراك في الحرب بنفسه، أم يدل على تخاذله ؟

المهم أن خطة المستنصر تقوم على إحكام الحصار حول قوات الحملة ومنع وصول الإمدادات إليها، والحيلولة دون وصول الأدوات اللازمة لعلاج المرضى داخل السفن والقلعة، والعمل على تصيد الفرنجة فرادى دون الدخول معهم في معركة حاسمة أو سريعة، ثم تقدمت القوات الإسلامية وحاصرت القلعة، فرد لويس على ذلك بزيادة تحصينات الميناء والبرج وبدأ بتحصين الطرق والشوارع المؤدية إلى القلعة، وقام المسلمون بإحكام حصارهم للميناء، وحاولوا منع وصول الإمدادات إلى لويس ورجاله، كذلك حاول المستنصر تخليص الميناء من قبضة الفرنجة خشية إيقاع تونس في محنة اقتصادية، فهو أيضاً بالنسبة للويس المنفذ الآمن الذي يمكنه من خلاله الحصول على الإمدادات من أخيه شارل الذي كان ينتظر قدومه[5]، والذي أرسل رسالة يدعوهم فيها إلى تأجيل هجومهم إلى أن يصل، وقد استجاب لويس لذلك لأنه كان بحاجة إلى المدد لشن هجوم على أوسع نطاق، حتى إن القوات الفرنجية

---

1. (ابن خلدون): المصدر السالف، ج6، ص293.
2. (حسن، محمد): المرجع السالف، ص691.
3. (المطوي، محمد العروسي): السلطنة الحفصية، ص206.
4. (ابن خلدون): المصدر السالف، ج6، ص293
5. (عامر، سامية): المرجع السالف، ص138-139.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

اضطرت إلى وقف القتال والاقتصارعلى موقف الدفاع، والقيام ببعض المناوشات وذلك بانتظار قدوم شارل، إلا أن شارل الذي أرسل رسالة عن قرب وصوله تأخرعن القدوم[1]، وطبيعي أن ذلك سيضع الفرنجة في موقف متأزم تجاه تصاعد المقاومة التونسية، فمدة الانتظار هذه سمحت للمستنصر إنهاء تجهيزاته الدفاعية[2]، كذلك يذكر مكسيموس مونرود أن المستنصر حاول استخدام الجند النصارى الذين يعملون عنده كسلاح ضد الفرنجة، وقد أرسل إلى لويس يتهدده بأنه سيذبح هؤلاء المسيحيين الموجودين في تونس إذا لم يبتعد عنها[3]، ومع سوء وضع الحملة حيث انقطعت أيضاً الإمدادات من فرنسا، إضافة إلى تزايد عدد المرضى في المعسكر الفرنجي، وما ذُكر من تأخر وصول شارل وتكثيف الحصار الإسلامي على القوات الفرنجية[4]، فالمسلمون اتبعوا الخطة التالية: بما أن المنطقة كانت رملية، وكثيرة الغبار في موسم الجفاف، وضع المسلمون آلات يرمون بها الرمل من أماكن مرتفعة بجوار الفرنجة، وعندما كانت الرياح تهب باتجاههم، فينزل الرمل والغبارعليهم كأنها نار، مما سبب لهم ضيق شديد[5]، وعدم قدرة على تحمل الجو شديد الحرارة الذي كان أحد أسباب تفشي المرض، كل ذلك جعل الحملة في وضع لا تحسد عليه[6]، وزاد الطين بله ظهور نقص في الأقوات الطازجة، فما كان يصلهم من تلك الأقوات لم يكن طازجاً حتى أن اللحوم كانت مجففة، مما جعل الكثير يعاني من سوء التغذية، الأمر الذي جعل الملك يحاول التغلب على هذه الصعوبة بإرسال بعض أعوانه إلى صقلية للحصول على اللحم الطازج لإطعام المرضى على الأقل[7].

---

1. (برنشفيك، روبار): المرجع السالف، ص90.
2. A.pavy:P322
3. (مونرود، مكسيموس): المرجع السالف، ص353.
4. (الزيدي، مفيد): المرجع السالف، ص95.
5. (زكار، سهيل): الموسوعة الشاملة، ج50، ص1847.
6. (الغينمي، عبد الحميد المقلد): المرجع السالف، ج65، ص47.
7. (حسين، ممدوح): المرجع السالف، ص307.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وفاة لويس:

وتلك الأثناء عاد لويس يعاني من المرض لكنه لم يستسلم، فقد كان يتجول في معسكرات الجنود ويصدر الأوامر كعادته، لكن الأطباء نصحوه بالبقاء في الفراش بسبب وضعه الصحي السيئ، حيث استشرى المرض في جسده، إلا أنه حاول جاهداً رغم من المرض أن ينقذ جيشه من الهلاك، ولم ييأس من قدوم أخيه شارل، الذي وصلت أخباره بأنه قد شارف على الوصول، فابتهج لويس لكن صحته كانت في تدهور مستمر ولزم فراشه[1].

وزاد الأمر سوءاً في وصول خبر وفاة ابنه حنا الحزين بعد محاولة لاخفاء الخبر لمدة أسبوع لكن لويس أصرعلى طلب زيارته فعلم بالأمر ثم اعتكف في خيمته، ولم يكن يدخل عليه سوى قسيسه، وبعض رجال الدين المكلفين بالحضور لتلاوة الصلوات المعتادة[2]، كما أنه وضع أمامه الصلبوت المقدس وكان ينظر إليه باستمرار ثم يرفع يديه إلى السماء وبصوت عالي يطلب المعونة والرحمة من مخلص العالم، وعندما أدرك دنو أجله أرسل في طلب ابنه البكر فيليب الثالث ووريثه على العرش، ولقنه جملة من التوصيات التي أكد فيها على تمسكه بالإخلاص لله، وتجنب ارتكاب الذنوب، وحسن معاملة الفقراء والرعية وحسن صحبة رجال الدين[3].

ثم كتب وصيته ووضع فيها الوصايا الأساسية، وأورد فيها أسماء الورثاء الأساسيين لعرشه، وقد عرف هذا النص تحت اسم تعليمات سان لويس، ويوم الاثنين طلب تمديده على سرير مغطى بالرماد عاقداً يديه بشكل الصليب [4] ثم قال وهو ينظر إلى السماء: (إنني سوف أدخل بيتك أيها الرب ولسوف أعبدك في هيكلك المقدس وسوف أمجد اسمك أيها الرب) ومع الانتهاء من هذه الكلمات سلم الروح[5].

أما بالنسبة لسبب موته فهو موضع خلاف بين المصادر الإسلامية فابن خلدون أورد

---

1. (عامر، سامية): المرجع السالف، ص163-164.
2. (حسين، ممدوح): المرجع السالف، ص310.
3. (مونرود، مكسيموس): المرجع السالف، ص356.
4. Castelot,Andre:p178
5. (زكار، سهيل): الموسوعة الشاملة، ج50، ص1847.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أكثـر من رأي حـيث يقول: (ثم إن الله أهـلك عدوهم وأصبـح مـلك الفرنجـة ميتـاً حتف أنفه، ويقال أصـابه سهم غرب فـي بعض المواقف فأبتـه، ويقال أصـابه مرض الوبـاء، ويقال وهو بعيد أن السلطان بعث إليه مع ابن جرام الدلاصي بسيف مسموم وكان فيه مهلكه)[1]، فابن خلدون بذلك استبعد الرأي الأخير القائل بأنه مات بسيف مسمـوم، ويورد ابن الشماع[2] الروايـة نفسها لكنـه لم يرجح أي من الآراء أصـح، أما المقّري فقد أورد تفصيلاً لروايـة السيف المسموم حيث يقـول: (ويقـال : أنـه دس إليـه سيفاً مسموماً من سلّه أثر فيه سمه وقلده رسولاً إليه بعد أن جعل عليه من الجواهر الثمينـة ما لم ير مثلّه عند غيره وقال للرسول: إن الفرنسيس رجل كثير الطمـع، ولولا ذلك ما عادو بـلاد المسلمين بعد أسره وأنـه سيرى السيف ويكثر النظر إليه فإذا رأيته فعل ذلك فانزعـه من عنقك وقبلـه، وقل لـه: هذا هديـة منـي إليك لأن من آدابنـا مـع ملوكنـا أن كل ما وقع نظر الملك عليه وعاود النظر إليه بالقصد فلا بد أن يكون له ويحـرم علينـا أن نمسكـه ..... ففرح النصـراني بـذلك وأسـرع الرسـول العـود إلـى سلطانه فسل النصراني السيف فتمكن فيه السم بالنظر فمات في الحين)[3].

أمـا الـوزير السـراج فقد أورد خلافاً حـول اسم الشـخص الـذي بعث معـه السـيف المسموم فقد ذكر سليمان بن حزام أو سليمان الدلاجي[4]، أما محمد مخلوف فيذكر أنه مات بالطاعون[5]، فقضية موت لويس قضية تثير الجدل ولكن مهما يكن الأمر، فمن المؤكد أنـه كان مريضـاً منذ خروجه من فرنسا وهو في حالـة صـحية سيئـة، وهذا مـا يؤكده جوانفيل في كتابـه عن لـويس أن كـان مصـاباً بعدة أمـراض من ذلك حمـى ثلاثية مزدوجة وإسهال حاد، كما أصـابه المرض الذي تفشـى في الجيش أثنـاء حملته على مصر، ثم يذكر أيضاً أنه بعدما نزل تونس سقط ضحية حمى تيفية[6].

---

1. (ابن خلدون): المصدر السالف، ج6، ص293.
2. (ابن الشماع): المصدر السالف، ص72.
3. (المقري): المصدر السالف، ص90-91.
4. (الوزير السراج): المصدر السالف، ج1، ق4، ص1032.
5. (مخلوف): المصدر السالف، ص 145.
6. (زكار، سهيل): الموسوعة الشاملة،(حياة القديس لويس)، ج36، ص12و 262.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد يكون وصله ما وصل الجيش من وباء فزاد مرضه وكان سبباً في موته، ويؤيد هذا الرأي ما أورده "ابن أبي الضياف" بأن الوباء كان منتشراً في تونس وانتشر بجند الفرنسيس فأصيب به سلطانهم فمات[1]، أما قضية السيف المسموم فهي قضية مستبعدة لأن لويس لن يقبل أعطيات المستنصر الذي خذله منذ رفضه التنصر ورفض إعطاءه الدواء لمرضاه، وقد تكون فكرة طرحت للتخلص من لويس حتى وصل الأمر إلى اقتراح اسم الأشخاص الذين سيقومون بالمهمة بدليل اختلاف الأسماء بالمصادر الإسلامية، لذلك تحولت الفكرة إلى سبب أوردته المصادر الإسلامية.

أما بالنسبة لتاريخ وفاة لويس فقد أثير أيضاً جدل حول ذلك، "فابن أبي زرع" يحدد 25 من ربيع الآخر سنة تسعة وستين كيوم وكسنة[2]، أما ابن الشماع فحدد اليوم والشهربقوله : (وفي عاشر محرم من تسعة وستين توفي طاغيتهم الفرنسيس أصبح ميتاً حتف أنفه)[3]، وكذلك اتفق معه ابن أبي دينار[4]، والوزير السراج في تاريخ الوفاة[5]، على أن لويس بعد وفاته رفض جنوده نقل جثمانه لفرنسا، وأصروا على بقائه بينهم ميتاً كما هو حي ووضع جثمانه في ماء مغلي ممزوج بالخمر لفصل اللحم عن العظام والتي وضعت في صندوق وغطيت بالملح في حين أخذ قلبه ووضع بعد تصبيره في صندوق آخر، وعند رحيل الفرنجة أخذوا الصندوقين حيث دفن القلب وحده في كنيسة مونريلا في صقلية، ودفن محتويات الصندوق الآخر في دير دنييس حسب وصية لويس[6]، وفي عهد المشير أحمد باشا الحسيني استطاع الفرنسيون الحصول على تصريح من الحكومة التونسية بإقامة كنيسة في المكان الذي مات لويس فيه[7]، وهذه الكنيسة مازالت موجودة ومعروفة بكنيسة القديس لويس وهي بجوار متحف الآثار

---

1. (ابن أبي الضياف): المصدر السالف، ص162.
2. (ابن أبي زرع): المصدر السالف، ص38.
3. (ابن الشماع): المصدر السالف، ص72.
4. (ابن أبي دينار): المصدر السالف، ص128.
5. (الوزير السراج): المصدر السالف، ج1، ق4، ص1032.
6. (حسين، ممدوح): المرجع السالف، ص314-315.
7. يقول ابن أبي الضياف أن لويس مات في المكان المعروف الآن بالصان لويس قرب حلق الوادي. (ابن أبي الضياف): المصدر السالف، ص162.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

القديمة الذي أنشأه القسيسون المعروفون بالآباء البيض[1]، وبعد وفاة لويس جعله رجال الكنيسة في مرتبة القديسين كما سجل في التاريخ من بين كبار الملوك الذين حكموا فرنسا[2]، وصنف الفرنسيون الفرنجة مدفنه ككعبة مقدسة يحجون إليها بالطواف حول رفات القديس الشهيد الذي مات وهو يكافح باسم الصليب، كذلك نسجت حوله الكثير من الأساطير[3]، كما تحدث الكثيرون عن الخوارق والكرامات والمعجزات[4] وأصبح قبره مزاراً لبسطاء العامة في فرنسا يزورونه للتبرك والاستشفاء عنده من العلل والأمراض[5].

---

1. (عامر، سامية): المرجع السالف، ص166.
2. Sicard, Ernest: Easy French History, Chicago, scott, 1901,p55
3. (شاكر، أمين): المرجع السالف، ص17.
4. Dubyde, gorge: histoire de monde lemoyen age, larersse, p367.
5. (حسين، ممدوح): المرجع السالف، ص315.314.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عقد الصلح وانسحاب الحملة:

وهكذا فبوفاة لويس تلاشى الأمل الأخير الذي تعلق به فرنجة المشرق، فكانوا ينظرون إلى ملوك فرنسا على أنهم المدافعون عن مصالح بيت المقدس، كما اضمحل الحماس بنفوس الجنود الذين استشرى المرض بينهم هم الآخرون، وكان هم "فيليب" الذي استلم قيادتهم بعد وفاة أبيه هو إيقاف المرض ثم إنه عقد اجتماعاً حضره كافة الأمراء و البارونات استعرض فيه خطته القادمة بشأن الأوضاع الراهنة لقواته، فلم يعارض المجتمعون خططه، الأمر الذي مكنه من التصرف في الموقف دون ما يشغله أو يثنيه عن عزمه، ومن الطبيعي أنه لن يجد معارضة فالوضع كان لا يحتمل وجود معارضين لأن الحملة في وضع متدهور لا تحسد عليه وليس أمامهم سوى الانقياد مقتنعين أنه المنقذ من هذا الوضع المتردي[1]، ثم عين "فيليب" على حصار قرطاج قادة جدد بعد وفاة عدد كبير من القادة الذين عينهم لويس وسلم أمر حراسة القلعة إلى المارشال "شارجينسيير"، كما عين فيليب مجموعة من القادة البحريين وأوكل إليهم مهمة حماية ساحل المدينة والميناء وأخذ أهبة الاستعداد لمواجهة أي هجوم إسلامي مفاجئ.

أما على الجبهة الإسلامية فلم يستغل المسلمون وفاة لويس وعلى الأغلب أن الأخبار لم تصلهم، لذلك لا نجد أي رد فعل إسلامي ولو أنهم استغلوا الساعات مابين وفاته ووصول شارل لكان بإمكانهم القيام بعمل عسكري ناجح[2]، وفي تلك الأثناء شاهد الجنود الفرنجة المراكب التي ملأت البحر وأصوات أبواق الحرب والطبول، فأدركوا وصول "شارل" الذي تأخر كثيراً فهو في نظرهم المنقذ للحملة[3]، وعند وصوله لم يخرج أحد لمقابلته ووجد الحزن على الوجوه، فأدرك أن شراً قد حدث فأسرع إلى خيمة أخيه ملك فرنسا فوجده جثة هامدة لا تزال حارة[4] وهي ممددة على الأرض فوق الرماد ميتاً، فانطرح على قدميه مقبلاً إياهما باكياً ومخاطباً إياه وكأنه حي موبخاً

---

1. (عامر، سامية): المرجع السالف، ص168.
2. (عامر، سامية): المرجع السالف، ص169-170.
3. (مونرود، مكسيموس): المرجع السالف، ص361.
4. A.pavy:P321

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

نفسه على تأخره لإنقاذه[1]، ولكن أليس هو الذي تأخر قصداً عن اللحاق بأخيه جرياً وراء مصالحه الشخصية ؟ ولكن ما موقف فيليب من عمه الذي تأخر بالوصول لإنقاذ الحملة؟ حقيقة إن شارل واجه صعوباتٍ نفسيةً عديدة تمثلت بالاتهام الذي بدا واضحاً بعيني فيليب، فقد حاول شارل جاهداً أن يمحو عن نفسه ما نسب إليه من تقاعس وتراخ في إنقاذ جيش أخيه، وتعلل بأن السبب في عدم مجيئه هو وجود مشاكل خطيرة تتعلق بأمن ومصلحة بلاده.

لكن حقيقة الأمر هو خلاف ذلك فقد كان منشغلاً بتوسيع ممتلكاته على حساب بيزنطة إلى جانب أنه لم يكن مستعداً لتقديم أي تضحيات من قبله للحصول على مكاسب سياسية في تونس، وإنما آثر الاعتماد على أخيه لويس والقوى الفرنجية التي رافقته وهذا يدل على مكره، فهو بذلك لا يقدم شيء وإنما يقطف ثمار الانتصار الذي لم يحدث[2]، ثم مسح دموعه قبل خروجه من خيمة أخيه حتى لا يراها الجند، فيضعف ذلك من روحهم المعنوية وباشر في إعداد الترتيبات لتنصيب فيليب الثالث خلفاً لأبيه، إلا أن الملك الجديد كان وقتئذ يعاني من المرض لذلك أصبح شارل المتحكم في مصير الحملة[3].

أما على الجبهة الإسلامية فإن أنباء وصول شارل أحدثت قلقاً في الأجواء التونسية بسبب العداء الشخصي القديم بين المستنصر وشارل بشأن قطع المستنصر للإتاوة التي كان يدفعها لأسرة "هوهنشتاوفن" من قبلُ واحتضانه لخصوم شارل، كما أن المستنصر كان مدركاً لأطماع شارل في الشمال الأفريقي، كل ذلك وضع البلاد في مأزق خطير[4]، والسؤال ما هو رد فعل شارل تجاه التونسيين ؟ وهل سيتابع القتال في هذا الوضع المتدهور للحملة ؟ وإذا هاجم هل سيكون هجومه انتقامياً متأثراً بوفاة أخيه؟

---

1. (مونرود، مكسيموس): المرجع السالف، ص362.
2. (عامر، سامية): المرجع السالف، ص175.
3. (حسين، ممدوح): المرجع السالف، ص316.
4. (عامر، سامية): المرجع السالف، ص171.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المهم أنه استلم قيادة الحملة ريثما يتعافى فيليب وعقد مجلس شورى ضم قادة الجنود حيث قرروا الاستمرار بالحرب ضد سلطان تونس[1]، وفي 16 محرم (669هـ /1270م) تسربت بعض السفن الحربية الصغيرة إلى بحيرة تونس لإحداث غارتين برية وبحرية، وقام المسلمون بهجوم مضاد لمنع تلك العملية، فردهم شارل على أعقابهم وكبدهم خسائر فادحة فبدؤوا بحفر خندق حول معسكرهم[2].

ويقول ابن خلدون واصفاً ذلك: (وأمر بحفر الخندق على المعسكر فتعاورته الأيدي و احتفر فيه الشيخ أبو سعيد بنفسه)[3]، وهنا يورد "برنشفيك" رواية يتهم شارل بالتخاذل فيقول: (ولكن يبدو أن شارل لم يكن يرغب في مواصلة هذا الانتصار العسكري .....إلا أنه حاول استغلاله على الصعيد الدبلوماسي بالشروع خفية في التفاوض مع المستنصرالذي كان يود بدون شك قبول شروط خصمه بسرعة)[4]، ورداً على ذلك أظهر المسلمون براعة فائقة بنشر سفنهم على امتداد السواحل المحيطة بقرطاج واعتمدوا على المناطق المرتفعة التي أصبحت بمثابة معسكرات دائمة لهم، فأصبح الفرنجة بين فكي كماشة المسلمين في براً و بحراً، ونتيجة لذلك عقد شارل مجلساً حربياً تشاور فيه حول كيفية التوصل إلى طريقة لخرق الحزام الإسلامي[5].

وفي منتصف محرم (669هـ/ 1270 م) وقع صدام آخر بقيادة "يحيى بن صالح"، وتعد هذه المعركة من أبرز المعارك التي سجلت في تلك الحملة، فقد تكبد الطرفان خسائر فادحة قدر بها عدد القتلى بخمسمئة قتيل[6]، ولكن رغم ذلك تمكن المسلمون أثناء المعركة من إلقاء السهام و المنجنيقات من مواقعهم المتعددة داخل تونس براً وبحراً، مما أحدث فوضى في صفوف الفرنجة ووقوع عدد من القتلى وتواصلت الاشتباكات بين الطرفين أثبت خلالها المسلمون كفاءةً، وقد أحدث ذلك خللاً واضطراباً

---

1. (مونرود، مكسيموس): المرجع السالف ،ص362.
2. (برنشفيك، روبار): المرجع السالف، ص92.
3. (ابن خلدون): المصدر السالف، ج6، ص293.
4. (برنشفيك، روبار): المرجع السالف، ص92.
5. (عامر، سامية): المرجع السالف، ص180-181.
6. (المطوي، محمد العروسي): السلطنة الحفصية، ص209.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

في صفوف العدو[1]، ويحمل "مصطفى الكناني" شارل مسؤولية الخسائر في هذه المعركة فيقول: (وحيث بدأ على الفور تولي القيادة وشرع في تنفيذ خطته الرامية إلى سحب الحملة وذلك بأن أدخل الفرنجة في معركة خاسرة مئة في المئة، ألا وهي معركة النصف من محرم ..... والتي اضطر الفرنجة بعدها إلى الموافقة على مطالب شارل بالتفاوض مع المسلمين على الانسحاب)[2].

وفي صفر (669هـ / 1270م) نشبت معركة جديدة، إذ أغار المسلمون على المعسكر الفرنجي بأعداد كبيرة وسقط نتيجتها عدد من قتلى الطرفين، على أي حال فإن كلا الطرفين بدأ يدرك أن هذه الحرب ليست مجدية، فبدأا يميلان إلى التفاوض[3] فالمسلون بدؤوا يعانون من المرض الذي تفشى بين صفوفهم هم الآخرون، كما قَرُبَ فصل الشتاء وأصبح رجال القبائل العربية يهددون بالرحيل في اتجاه مراعي الجنوب[4]، فرحيلهم يؤثرعلى وضع المسلمين الذين ستصبح قوتهم غير قادرة على مواجهة الفرنجة[5]، كما أن البلاد كانت تعاني من القحط والمجاعة كما قال "ابن أبي الضياف": (واشتد حال الوباء والقحط مع الحرب) [6]، إضافة إلى انتشار الشائعات بنية المستنصر ترك تونس والاتجاه إلى القيروان، مما أدى إلى حدوث فوضى لدى المسلمين[7]، أما ابن قنفذ فقد ذكر أن المستنصر كان ينوي الرحيل إلى قسنطينة: (..... بعد أن كان الملك عاملاً على سكنى قسنطينة وأراد نقل ذخائره وأهله إليها وأختزن بها أربعين ألف قفير من القمح وأمثالها من الشعير، وشرع في إصلاح أسوارها وأمر بالحرث في جميع البلاد)[8]، إلا أنه لم يرد في المصادر الإسلامية أي نية له بالرحيل إلى قسنطينة لكن رغم أن روايته مشكوك بها، إلا أنه يمكن من خلالها

---

1. (عامر، سامية): المرجع السالف، ص180-181.
2. (الكناني ، مصطفى محمد حسن): المرجع السالف، ص280.
3. (حسين، ممدوح): المرجع السالف، ص317.
4. (جوليان، شارل اندريه): المرجع السالف، ج2، ص181.
5. (مؤنس، حسين): المرجع السالف، مج2، ج2، ص232.
6. (ابن أبي الضياف): المصدر السالف، ص162
7. (ابن خلدون): المصدر السالف، ج6، ص293.
8. (ابن قنفذ): المصدر السالف، ص132.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الاستنتاج أن وضع البلاد كان سيئاً، مما اضطره لاختزان القمح والشعير، كذلك على الجانب الفرنجي فإن الحماس الذي انتعش برهة من الزمن قد ضعف من جديد، كما أن معظم المشاركين المنهكين كانوا يرغبون في الإبحار قبل قدوم فصل الخريف إما للتوجه إلى الأراضي المقدسة أو الرجوع إلى بلدانهم المختلفة[1]، كذلك قلة الماء الصالح للشرب وسوء التغذية وحرارة الجو والأمراض كل ذلك أدى إلى فتور الحماس والرغبة في العودة[2].

وفي تلك الأثناء وصلت حملة "إدوارد" ولي عهد "إنكلترة" "هنري الثالث"، الذي عزم على القيام بحملته عندما سمع بسقوط أنطاكية، و كان حريصاً على الاهتمام بحملته لكن لسوء الحظ أن نبلاء إنكلترة الذين وافقوا على مرافقته أخذوا يعتذرون الواحد تلو الآخر، فخرج بصحبة ألف رجل مع زوجته "اليانور قشتالة"، وكان إدوارد ينوي اللحاق بالملك لويس التاسع في تونس ومن ثم السير معه إلى الأراضي المقدسة، وهذه دلالة واضحة على أن الهدف من حملة لويس الاتجاه إلى تونس ثم قصد الأراضي المقدسة لكنه عندما وصل إلى تونس وعلم أن لويس قد مات أمضى الشتاء في صقلية ثم أبحر إلى قبرص فعكا[3]، ويمكن القول إن حملة إدوارد وقدومها إلى تونس لم تُحدث أي تحول في وضع الحملة، فالعدد الذي قدم به لم يكن بالمنقذ للحملة كما أنه عندما وجد أن وضعها سيء ولا فوائد يجنيها قرر الرحيل إلى عكا[4].

أما بالنسبة للصلح فقد ظهرت معارضة من كلا الطرفين، "فالمستنصر" لقي ومواصلة القتال، ولكن هل يحق له أن يعارض تحت ظل هذه الأوضاع السيئة للحملة؟ وعلى أي أساس اعتمد برغبته في متابعة القتال على عمه الذي لم يكن يرغب أصلاً بذلك ؟ كذلك هناك فئة من الجنود الذين اتهموا "شارل" بأن ضحى بالمصالح

---

1. (برنشفيك، روبار): المرجع السالف، ص92-93.
2. (عاشور، سعيد عبد الفتاح): الحركة الصليبية، ج2، ص1238.
3. (رنسيمان، ستيفن): المرجع السالف، ق3، ص574
4. للمزيد من التفاصيل عن حملة إدواد انظر: (عبد القوي، زينب عبد المجيد): الإنكليزوالحروب الصليبية، ط1، عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية، بورسعيد، (1966م)، ص210ومايليها.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

العامة في سبيل تحقيق مصلحته الشخصية ولكن تلك المعارضة من الطرفين تم إسكاتها ومال الطرفان إلى الصلح[1]، أما عن المبادرين بالصلح "فابن خلدون" يذكر أن الفرنجة هم البادؤون بطلب الصلح: (.....واعتزموا الإقلاع وكان أمرهم راجعاً إلى العلجة. صفة يراد بها الإساءة. فراسلت المستنصر أن يبذل لها ما خسروه في مؤنة حركتهم وترجع بقومها فأسعفها السلطان)[2].

أما عن العلجة فقد تكون ايزبيلا زوجة فيليب أو أخته إزبيلا ملك نفارة اللتين كانتا مصاحبتين للحملة[3]، أما المقريزي فلم يذكر من هو الذي بادر بالصلح وما أورده بأن الأمور مرت إلى عقد الصلح ومسير النصارى[4]، ولكن ما هي هذه الأمور التي آلت إلى الصلح ؟ فابن الشماع[5]، والوزير السراج[6]، وابن أبي دينار[7] كانوا مؤيدين لابن خلدون بأن الفرنجة طلبوا الصلح فصالحهم السلطان، أما ابن أبي الضياف فيذكر رواية مخالفة لما أوردته المصادر الإسلامية فيقول: (فدعاهم المستنصر إلى الصلح فأجابوه)[8].

إلا أنه وبعد دراسة وضع الحملة المتدهور ورغم قدوم شارل الذي لم يغير من الوضع شيئاً يذكر يمكن القول: أن وضع الفرنجة كان الداعي لطلب الصلح رغم ما بدأت تعانيه تونس من قحط ووباء وأخالف "ابن أبي الضياف" في أن يكون المسلمين هم الذين طلبوا الصلح، فوضع الفرنجة السيئ ووضع الحملة المتدهور إضافة إلى انتشار الأمراض، ورغبة شارل بإنهاء الحرب الخاسرة وجد أن الأسلم الدخول بمفاوضات لطلب الصلح والحصول على ما يريد، وكانت الهدنة المعقودة باسم الملك

---

1. (حسين، ممدوح): المرجع السالف، ص320-321.
2. (ابن خلدون): المصدر السالف، ج6، ص394.
3. (حسين، ممدوح): المرجع السالف، ص 321.
4. (المقريزي): المصدر السالف ، ج1، ق2، ص365.
5. (ابن الشماع): المصدر السالف،ص72.
6. (الوزير السراج): المصدر السالف، ج1، ق4، ص1032.
7. (ابن أبي دينار): المصدر السالف، ص128.
8. (ابن أبي الضياف): المصدر السالف، ص162.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الجديد فيليب وشارل وملك نفار حيث حضر عن الجانب الإسلامي القاضي أبو القاسم بن أبي اليمني ابن زيتون[1] الذي تولى كتابة العقد، كذلك أبو زيان محمد بنعبد القوي أمير بني توجين، مع شهادة عبد الحميد بن أبي البركات الصدفي[2] وأبي الحسن بن عمرو أحمد بن الغماز[3]، كذلك الشيخ أبي القاسم أحمد بن عثمان بن عجلان، وينقل "الغبريني" رواية حول مشاركة ابن عجلان بعقد الصلح فيقول: (.... فقيل له تشهد في الصلح فقال أني لا أعلم الحال، يشهد من يعرف الحال، فقال له أبو القاسم : هذا الصلح جائزاً أو غير جائز، فقال له مجاوباً إن كان صلاحاً وسداداً في حق المسلمين فهو جائز، فقال له: صلاح وسداد أولاً فقال له: علم لي بالحال، فقال له: لابد لك من الجواب، فسمع نقر أمير المؤمنين من وراء الحجاب وهو يشير إلى انقضاء المجلس فانفصل ولم يشهد وحمد في جوابه ومقاله واستحسن ذلك من حاله)[4]، فالغبريني يذكر في روايته أن ابن عجلان رفض المشاركة في عقد هذا الصلح، وأهم ما ورد في بنود الصلح :

1. عقد هدنة بين الطرفين لمدة خمسة عشر عاماً تدفع أثناءها الغرامة الحربية التي التزم المستنصر بها، والتي حددتها المصادر الإسلامية بألف قنطار و مئة قنطار وعشرة قناطير من الفضة الخالصة[5].

---

1. (أبو القاسم بن أبي بكر اليمني ابن زيتون): وهو من أهل تونس وقد ولي قضاء حاضرة إفريقية. (الغبريني، أبي العباس أحمد بن أحمد): عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تح: رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،(د.ت)، ص114.
2. (عبد الحميد بن أبي البركات بن عمران بن أبي الدنيا): (606-684هـ /1210-1280م) قاض من علماء المالكية، ولد في طرابلس الغرب وانتقل إلى تونس وولي القضاء والخطابة بالجامع الأعظم وتوفي فيها. (الزركلي، خير الدين): الأعلام ط5، دار العلم للملايين، بيروت، (1980م)، ج3، ص285.
3. (أحمد بن محمد بن الحسن بن الغماز): (609-693هـ) قاضي الجماعة بتونس وكان فقيهاً عالماً.(ابن تغري بردي، يوسف): الدليل الشافي على المنهل الصافي، تح: فهيم محمد شلتوت، ط2، دار الكتب المصرية، القاهرة، (1998م)، ج1،ص73.
4. (الغبريني): المصدر السالف، ص116.
5. (ابن أبي دينار): المصدر السالف، ص129

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

2. ألا يتعرض الفرنجة لأي جهة من جهات المسلمين التابعة لسلطان تونس[1].

3. كما تضمنت الاتفاقية فقرة خاصة بملك صقلية شارل بشأن الأموال التي ادعاها على الدولة الحفصية [2]، حيث يؤدي المستنصر إلى شارل الغرامة التي كان يدفعها للإمبراطور فردريك الثاني بما في ذلك السنوات الماضية[3].

4. احترام مصالح الطرفين الدينية والسماح بالتبشير بالمسيحية للرهبان الدومنيكان والفرنسيسكان السماح لكل من يرغب بالتعميد كما سُمح بإقامة أديرة في تونس[4].

5. كما رضي المستنصر بتسليم الهاربين الصقليين.

6. ضمان شارل من خلال امتيازات تجارية مصالح رعايا فرنسا، وصقلية، و نفار[5]، وعودة العلاقات بين شمال إفريقية وصقلية، وتمهيد السبيل لازدهار التجارة بينهما[6]، كما تم الاتفاق على فتح باب تونس أمام تجارة الشعوب الأوربية عامة[7].

7. التصالح مع جميع الأمراء والفرسان المشاركين بالحملة وإطلاق سراح الأسرى وضمان الأمن المتبادل للمسافرين والتجار، وبالنسبة للتجار المسلمين الذين يعيشون في ممتلكات صقلية، أو فرنسا، أو نفار والذين قد يتصادف وجودهم في بلاد السلطان الحفصي يكون لهم حق المرور في بلاده دون عقبات، وإذا فقد منهم شيء يلزم حاكم المسلمين بإعادته إليهم، بالمقابل يحق للسلطان أن يودع أي مسيحي يقف ضد السلطة أو يخالف القانون، كما يحق له أن يرفع الحماية عن كل من يحاول استخدام السلاح لخرق قانون البلاد[8].

8. من منطلق اعتراف طرفي هذه المعاهدة بسلطةالآخر فإنه يتعين على فيليب وشارل

---

1. (الزيدي، مفيد): المرجع السالف، ص95.
2. (المطوي، محمد العروسي): الحروب الصليبية في المشرق والمغرب، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ص 139.
3. (المطوي، محمد العروسي): السلطنة الحفصية، ص209.
4. (زكار، سهيل): الموسوعة الشاملة، ج50، ص1847.
5. (جوليان، شارل اندريه): المرجع السالف، ج2، ص181.
6. (الشريف، محمد الهادي): المرجع السالف، ص54.
7. http://tablat.ahladalil.com/t11303-topic تاريخ 12/ 7/ 2011م
8. (عامر، سامية): المرجع السالف، ص186.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إخلاء البلاد الخاصة بممتلكات السلطان الحفصي، وبعد توقيع المعاهدة السلمية يجب عدم تواجد أي فرد مسيحي في تونس[1]، وبعد النظر إلى بنود ها يمكن القول: إن المستفيد الأكبر هو شارل الذي جاء متأخراً وقطف ثمار الحملة، فهو دون أي تعب حصل على امتيازات تجارية وأهم من ذلك استرد هيبته بإلزام المستنصر دفع الإتاوة التي كان يدفعها لفردريك الثاني، وبعد عقد الصلح دخل المسلمون محلتهم، فباعوا واشتروا وعاد الفرنجة بأساطيلهم بعد أن تركوا بقرطاج تسعين منجنيقاً، وفي طريق عودتهم أصابتهم عاصفة من الريح وهلك الكثير منهم حتى وصل عدد الهالكين إلى أربعة آلاف شخص[2]، وقد قام شارل بوضع صندوق قلب لويس في كنيسة دير مونتسريل فرب سالرنو، أما فيليب فقد استمر بمسيره نحو فرنسا مع البقية من جنوده مصطحباً معه جسد والده وأخيه وزوجته التي توفيت أيضاً ووضع الأجساد في كنيسة القديس ديونيس[3].

أما عن تاريخ الانسحاب فالمصادر الإسلامية لم تذكر موعد ه بالضبط وينفرد ابن قنفذ بذلك ويحدد اليوم أيضاً بقوله: (وفي الثلاثاء 24 من شهر ربيع الأول من سنة تسع وستين رحلوا عن صلح بعد وقائع كثيرة، فكانت مدة الحصار ثلاثة أشهر)[4]، أما الوزير السراج[5]، وابن الشماع[6]، وابن أبي دينار[7] لم يحددوا تاريخ الانسحاب، وإنما حددوا مدة الإقامة أربعة أشهر وعشرة أيام، أما محمد مخلوف فقد قال: (واتصل القتال نحو أربعة أشهر)[8]، أما المستنصر أمر بتخريب قرطاج صارت

---

1. (عامر، سامية): المرجع السالف، ص186.
2. (ابن خلدون): المصدر السالف، ج6، ص394.
3. (مونرود، مكسيموس): المرجع السالف، ص364.
4. (ابن قنفذ): المصدر السالف، ص132.
5. (الوزير السراج): المصدر السالف، ج1، ق4، ص1033.
6. (ابن الشماع): المصدر السالف، ص72.
7. (ابن أبي دينار): المصدر السالف، ص128.
8. (مخلوف): المصدر السالف، ص 145.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أبنيتها طامسة وأرسل بخبر الحملة إلى كل النواحي[1]، فعمت الفرحة بلاد المسلمين في المشرق وازداد ارتياحهم عند سماعهم بكارثة تونس ومقتل لويس[2]، ويعلق "محمد العروسي المطوي" على موقف المستنصر إزاء الحملة فيقول: (ليست العبرة بالتحلي بلقب الخلافة وإمارة المؤمنين والسعي لاكتساب الفخر الزائل والألقاب الجوفاء، بل العبرة أن تكون الدولة بحرمتها وهيبتها، مما يجعلها في مناعة حقيقية تبعدها عن مظاهر التدلي والخنوع أمام المعتدين)[3] بالمقابل غمرالحزن الفرنجة الذين لم يصبحوا قادرين على إرسال جيش ملكي لإنقاذ المسيحيين في المشرق[4]، كما أن حماس الفرنسيين في العصر الحديث ضد شمال إفريقية ليس إلا تلبية لهتاف تخيلوه من مقبرة شهيدهم الدفين، وهذا ما جعل الشمال الأفريقي هدفاً للاستعمار الفرنسي مدة طويلة[5]، فيقول "عبد المجيد المطوي": (والواقع أن الروح الفرنجية التي جهزت حملة لويس التاسع ضد تونس لا تختلف كثيراً عن الروح الفرنجية التي هيمنت على الحملة الفرنسية 1881م والدليل على هذا هو تجنيد المبشرين باسم الدين والوطنية)[6].

---

1. (ابن خلدون): المصدر السالف، ج6، ص394.
2. (الغينمي، عبد الحميد المقلد): المرجع السالف، ج65، ص47.
3. (المطوي،محمد العروسي): السلطنة الحفصية، ص211.
4. (رنسيمان، ستيفن): المرجع السالف، ق3، ص503.
5. (شلبي، أحمد): موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة العربية، ط4، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، (1975م)، ج4، ص137.
6. (المطوي، عبد المجيد): كتاب البعث تونس وفرنسا، الكتاب 17، (د.ن)، (د.م)، (1957م)، ص54.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الثاني

الحملات الفرنجية في شمال إفريقية حتى نهاية القرن (7هـ / 13م):

1. محاولة احتلال قسنطينة (681هـ / 1282م)
2. احتلال جربة (688هـ/1289م) ومهاجمة المهدية
3. حركة ابن أبي دبوس (688هـ/1289م)
4. نشاط حركة التنصير والتبشير في شمال إفريقية

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بعد وفاة المستنصر خلفه ابنه أبي يحيى الواثق، الذي لم يكن كأبيه من الحزم والكفاءة، فساءت أحوال البلاد حتى سارت إلى التفرق، والتدهور فالسلطة التي حكمها الواثق كانت تتطلب سلطاناً ذا قدرات فائقة، وقوى متجددة لكي يحافظ عليها، فالدولة الحفصية تقع على ساحل البحر المتوسط مواجهة لصقلية، والمدن الايطالية، وفرنسا، وأرغونة، وهذه كلها قوى بحرية عسكرية تجارية كبرى، إضافة إلى دولة قشتالة، وليون اللتين تقودان حرب فرنجية ضد المسلمين في الأندلس[1]، فهي في محيط دولي ملئ بالقوى والمصالح، لذلك لابد لها من سند عسكري، ورجال ذوي قدرة، وهذا لم يكن موجوداً في الدولة الحفصية التي كانت تعيش عقود ضعفها.

نعود إلى الواثق الذي تولى الحكم سنة (675هـ/ 1258م)، وكانت بيعته على يد أبي عثمان سعيد بن أبي يوسف بن أبي الحسين صاحب الأشغال في تونس[2]، وقد اعتمد في حكمه على يحيى بن عبد الملك الغافقي المكنى بأبي الحسن ويعرف بابن الخير، الذي يصفه ابن الشماع بأنه: (كثير الإعجاب بنفسه مفرط التعسف، مشتغلاً بأمور غير مفيدة كالبناء، وأنواع الملابس، واقتناء الأثاث لا يحسن شيء من سياسة الملك، ولا من سياسة الرعية، فأدى ذلك إلى إتلاف المال)[3]، فاستبد ابن الخير هذا بأمور الحكم حتى إنه كان على خلاف مع أبي عثمان، ولم يكتف بذلك بل إنه أغرى الواثق بالتخلص منه فأتى به الواثق وعذبه حتى مات[4].

وقد ساءت سيرة الواثق وحكمه بسبب استبداد وزيره ابن الخير، حتى وصل الخبر إلى عمه أبي إسحاق في الأندلس[5]، الذي كان لاجئاً إلى بلاط صاحب غرناطة، فعندما بلغه خبر وفاة أخيه اجتاز البحر متوجهاً إلى تلمسان وهناك رحب به يغمراسن بن زيان، وأخذ يتحين الفرصة للمطالبة بعرش أفريقيا[6]، وفي تلمسان حضر إليه وفد

---

1. (مؤنس، حسين): المرجع السالف، مج2، ج2، ص237-238.
2. (ابن قنفذ): المصدر السالف، ص134.
3. (ابن الشماع): المصدر السالف، ص74-75.
4. (الزركشي): المصدر السالف، ص31.
5. (ابن أبي الضياف): المصدر السالف، ص163-164.
6. (برنشفيك، روبار): المرجع السالف، ص106.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

من تونس يحثه على القدوم لمبايعته[1]، لكن أبا إسحاق رأى أن يستعين بقوة خارجية لاستعادة حقه، فطلب مساعدة بيدرو ملك أراغون (1276م .1285م)، الذي جاءته الفرصة للتدخل في شؤون شمال إفريقيا، حيث كان لديه أهداف ومطامح في منطقة البحر المتوسط، وصقلية التي يحكمها شارل أنجو، فبيدرو كان يرى أن وجود عاهل موالٍ له في شمال إفريقيا من شأنه أن يعينه على تحقيق غايته، أما أبو إسحاق فقد دخل بجاية فبايعه أهلها، ثم زحف إلى قسنطينة التي امتنعت عنه، فتركها ثم زحف إلى تونس[2]، وعندما سمع الواثق باقتراب عمه إلى تونس خلع نفسه وترك البلاد لعمه، فدخلها أبو إسحاق في ذي الحجة سنة (678هـ/1280م)، ليكون ذلك الخلع الأول من نوعه، حيث أزاح سلطان حفصي سلطاناً آخر، وأصبحت هذه الطريقة هي المعتمدة منذ ذلك التاريخ، حتى إنه كان من النادر أن يموت سلطان ميتة طبيعية أوأن يتمتع بالحكم إلى نهاية عمره[3].

أما الواثق فقد حاول الثورة على عمه بالاستعانة بقوة خارجية فقبض أبو إسحاق عليه وعلى أبنائه الفضل، والطاهر، والطيب وذبحهم سنة (679هـ/1281م)[4]، وهذا إن دل على شيء يدل على قوة الصراع على الحكم داخل الدولة الحفصية حتى إن أفرادها يلجؤون للاستعانة بقوة خارجية للمحافظة على عروشهم أو للحصول على الحكم، بدليل ما فعله أبو إسحاق والواثق الذي حاول الاستعانة بقوة خارجية لم تذكر المصادر اسمها، وربما يكون بيدروأيضاً، لكن عمه أبي إسحاق لم يكن كعهد سابقه، فما إن اعتلى العرش حتى صارت مجاعة في البلاد[5]، ثم قامت ثورة أحمد بن مرزوق بن أبي عمارة المعروف بالدعي سنة (680هـ/1281م)، الذي ادعى أنه الفضل بن الواثق، فسيطر على معظم البلاد، وقد أرسل إليه أبو إسحاق الجيوش التي

---

1. (الزركشي): المصدر السالف، ص32.
2. (ابن خلدون): المصدر السالف، ج6، ص297.
3. (الدولاتلي، عبد العزيز): المرجع السالف، ص62.
4. (ابن خلدون): المصدر السالف، ج6، ص298ـ 299. (ابن الشماع): المصدر السالف، ص76.
5. (الوزير، السراج): المصدر السالف، ج1، ق4، ص1036.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فشلت في محاربته، فخرج بنفسه لكنه أيضاً فشل، فخلع نفسه وولى ابنه أبا فارس، الذي التقى مع الدعي في معركة خانه فيها جيشه وانتهى أمره بالقتل سنة (682هـ /1283م) [1]، ثم لاحق أصحاب أبي إسحاق، أما أبو إسحاق فخرج إلى تلمسان فقبض عليه في الطريق وقتل[2]، فسادت البلاد فترة من الاضطراب، والقلق، وسفك الدماء، والفجور، ونفر الناس من الدعي بعد أن تمادى في جوره وكذبه[3]، أما من نجا من القتل فكان أبو حفص عمر الذي التجأ إلى قلعة سنان واتصل بالعرب فبايعوه، ثم خرج أبو حفص عمر مدعوماً بهم ودخل تونس 25ربيع الثاني سنة (683هـ/1284م)، وفي هذه الأثناء هرب الدعي بعد هزيمته أمام أبي حفص، والتجأ عند رجل أندلسي، فدلت عليه امرأة عجوز وسلم إلى أبي حفص، وأحُضر العلماء، والقضاة، فأقر بكذب نسبه ثم قتل[4].

ومن الجدير بالذكر أن أبا حفص عمر كان مديناً للعرب بنجاحه في الوصول إلى الحكم[5]، ومما يؤخذ عليه ما ذُكر من الأعطيات التي قدمها لهم لقاء مساعدتهم له، فقد أعطاهم نواحي من بلاد الجريد سنة (683هـ / 1284م)، وكذلك صفاقس كإقطاعيات يجبون أموالها مما أدى إلى إضعاف السلطة والحد من سلطة بني حفص[6].

و لم يقف الأمر عند ذلك بل إن بعض القبائل مثل رياح استغلت الصراع في البيت الحفصي حول السلطة وأيد زعماؤها الأمير أبا زكريا يحيى على عمه أبي حفص عمر، وساعدوه في الاستيلاء على بجاية[7]، فالأعراب بذلك شغلوا دوراً في

---

1. (ابن أبي دينار): المصدر السالف، ص131. (ابن قنفذ): المصدر السالف، ص143.
2. (مؤنس، حسين): المرجع السالف، مج2، ج2، ص244.
3. (الغينمي، عبد الحميد المقلد): المرجع السالف، ج5-6، ص52.
4. (ابن قنفذ): المصدر السالف، ص145. (ابن أبي الضياف): المصدر السالف، ص166.
5. إن ضعف الدولة الحفصية والصراع بين أفرادها، وتهديد الممالك المجاورة من بني عبد الواد وبني مرين، اضطر الحفصيين أن يعتمدوا على القبائل العربية التي كانت تستغل الصراع القائم في البيت الحفصي. (الغينمي، عبد الحميد المقلد): المرجع السالف، ج65، ص5453.
6. (مؤنس، حسين): المرجع السالف، مج2، ج2، ص247.
7. (الغينمي، عبد الحميد المقلد): المرجع السالف، ج65، ص54.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الانقسام الحفصي وساعدوا بعض السلاطين بالوصول إلى السلطة، كما كانوا مثيرين للفتن داخل البيت الحفصي، لكنهم من جانب آخر ساعدوا الحفصيين برد الاعتداء الخارجي، وهذا يدل على أنهم كانوا يميلون بحسب ميل مصالحهم، بالعودة إلى أبي حفص الذي بويع في ربيع الثاني (683هـ / 1284م) وبقي في الحكم ما يقارب إحدى عشرة سنة وثمانية أشهر إلا يومين[1]، وهي مدة طويلة بالمقارنة مع مدة حكم غيره من السلاطين، لكنه رغم ذلك لم يستطع الحفاظ على ملكه بسبب الانشقاق والخلافات[2]، فقد كان ضعيفاً لدرجة أنه لم يستطع ضبط أمور البلاد حتى وصل الأمر إلى أن كثير من الولاة بدؤوا يطمحون إلى الاستقلال بولاياتهم مثل ابن مكي صاحب قابس[3].

كذلك شهدت أيام أبي حفص انقسام السلطة الحفصية إلى قسمين . كما ذكرنا- أحدهما مركزه تونس، والآخر بجاية يشغله أبو زكريا ابن أبي إسحاق الذي كان لاجئاً عند بني عبد الواد، ثم عاد إلى إفريقية واستولى على بجاية، وقد كان لهذا التفرق والانقسام أثر كبير في إضعاف السلطة الحفصية، وهذا مما شجع خصومها من الفرنجة على مهاجمتها في جربة والمهدية[4].

وقد عزم أبو حفص عمر قبل وفاته على تولية ابنه عبد الله، لكن رجال الدولة أنكروا عليه ذلك لصغر سنه، فأرسل في طلب العالم أبي محمد المرجاني واستشاره في ذلك، فأشار عليه بولاية أبي عبد الله بن الواثق[5] الملقب أبو عصيدة[6]، ثم توفي أبو حفص عمر سنة (694هـ / 1295م) وبويع أبو عصيدة بعد وفاة السلطان في ذي

---

1. (ابن خلدون): المصدر السالف، ج6، ص305. (مقديش): المصدر السالف، مج1، ص559-560.
2. (الدولاتلي، عبد العزيز): المرجع السالف، ص62.
3. (حسين، ممدوح): المرجع السالف، ص456.
4. (مؤنس، حسين): المرجع السالف، مج2، ج2، ص247.
5. (ابن الشماع): المصدر السالف، ص82. (ابن أبي الضياف): المصدر السالف، ص167.
6. كانت إحدى جواري الواثق بن المستنصر قد فرت حاملاً منه إلى زاوية الشيخ الوالي أبي محمد المرجاني، فوضعت الولد في بيته وسماه الشيخ محمداً وعق عليه وأطعم الفقراء يومئذ عصيدة الحنطة، فلقب بأبي عصيدة. (مقديش): المصدر السالف، مج1، ص559-560.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الحجة من السنة نفسها، وقد تلقب بالمستنصر بالله، وقد استهل عهده بقتل عبد الله بن السلطان أبي حفص عمر حتى لا يفكر في ترشيح نفسه[1]، وهذا يدل على تنكره لأبيه الذي فضله على ابنه، وسلم مقاليد الأمور لحاجبه محمد بن إبراهيم بن الدباغ الذي سار في الناس سيرة سيئة فنقموا عليه، كذلك ما فعله الأعراب وخاصة الكعوب من ضرر بالناس فهاج العامة سنة (708هـ / 1309م) وهاجموا القصبة وطالبوا بتسليم ابن الدباغ[2]، وقد جرت في عهد أبي عصيدة محاولة لتحرير جربة من الأراغونيين من قبل أبي يحيى زكريا اللحياني[3]، كما شهد عهده جرأة قراصنة أراغونة وصقلية على سواحل إفريقية ومجيء البنادقة والقطلانيين، حيث يذكر ابن قنفذ أنه: (وصل في مدته في يوم السبت 26 ذي الحجة عام 696هـ سبعن جفناً للنصارى البنادقة أقام أهلها بمرسى تونس ثلاثة أيام، ثم أقلعوا وبعد إقلاعهم أصبح في المرسى المذكور ثلاثة وعشرون جفناً للنصارى القطلانيين أقاموا ثلاثة أيام ثم أقلعوا)[4].

وعندما استفحل أمر أبو البقاء خالد – الذي خلف أباه أبا يحيى– زحف أبو عصيدة بجيش إلى قسنطينة والتقى به، ثم وقع بينهما صلح على أن من يموت منهما قبل الآخريصيرما بيده لقسيمه الموجود، وتتوحد بذلك السلطة[5] ولكن الذي حدث أن مَرِضَ أبو عصيدة ثم توفّى سنة (709هـ / 1309م)[6]، فكان لأبي البقاء خالد الحق في السيطرة على مناطق منافسه، لكن أهل تونس نقضوا الاتفاق وعينوا أبا يحيى أبا بكر بن عبد الرحمن الملقب بالشهيد، وعندما شعر أبو البقاء بنية أهل تونس، خرج من بجاية باتجاه تونس وعند وصوله قصر جابر بالقرب من تونس علم بمبايعة السلطان االجديد[7]، والتقى الطرفان في السعترية وقد أراد أبو بكر الشهيد اللقاء بأبي

---

1. (الزركشي): المصدر السالف، ص 43. (الوزير السراج): المصدر السالف، ج1، ق4، ص1043.
2. (حسين، ممدوح): المرجع السالف، ص457.
3. (الزركشي): المصدر السالف، ص45.
4. (ابن قنفذ): المصدر السالف، ص152. 153.
5. (ابن خلدون): المصدر السالف،ج6،ص321320.(الزركشي): المصدر السالف، ص 46.
6. (الزركشي): المصدر السالف، ص 46.
7. (ابن أبي دينار): المصدر السالف، ص131.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

البقاء خالد بنفسه لكن الأشياخ منعوه من ذلك، ثم وقع قتال شديد انهزم فيه أبو بكر الشهيد ودخل أبو البقاء خالد تونس، أما أبو بكر فقد رمى تاجه من رأسه وفر هارباً[1] إلى جنان علي بن صابر بالخضراء، فسار بن صابر إلى أبي البقاء خالد وأخبره بمكان أبي بكر الشهيد، وعند بيعة أبي البقاء خالد في ربيع الثاني (709هـ / 1309م) جيء به وأمر بضرب عنقه [2].

1. (الزركشي): المصدر السالف، ص47-48.
2. (ابن أبي الضياف): المصدر السالف، ص169.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

محاولة احتلال قسنطينة (681هـ / 1282م):

سبق الذكر أن أبا إسحاق قد استعان ببيدرو الثاني ملك أراغون للوصول إلى العرش، وبيدروهذا هو الذي نقله بمراكبه من المرية في مملكة غرناطة إلى بجاية[1]، وقد تمت الإشارة إلى أن هذا الملك له مطامح في حوض البحر المتوسط وخاصة صقلية التي يحكمها شارل أنجو، فوجود عاهل له في إفريقيا من شأنه أن يعينه على تحقيق غاياته، ولكن الرياح تجري بمالا تشتهي السفن، فأبوإسحاق بعد أن سيطرعلى بجاية لم يقدم لبيدرو أي عون أو مساعدة، وهي إحدى الأسباب التي دفعت بيدرولمحاولة احتلال قسنطينة[2]، بالإضافة لما سبق فإن بيدرو كان يسعى لضرب المسلمين في عقر دارهم ويحتل جزءاً كبيراً من الشمال الإفريقي، ليجعله قاعدة لاحتلال بقية أجزائه، فيمكنه ذلك من ضرب المسلمين في الأندلس من الخلف، ليقطع عليهم أي مدد أو مساعدة، فالحرب ضد مسلمي الأندلس مازالت قائمة[3].

المهم أن أبا إسحاق بعد عودته إلى الحكم أسند ولاية قسنطينة لابن الوزير، وابن الوزيرهو: (أبو بكر بن موسى بن عيسى ونسبته في كومية من بيوت الموحدين، كان مستخدماً لابن كلداسن الوالي بالقسنطينة أيام المستنصر ووفد ابن كلداسن على الحضرة، فأقام ابن الوزير نائباً عنه بقسنطينة، ثم ولاه الواثق ثم السلطان أبو اسحق) وقد قام ابن الوزير بعد استلامه الولاية بضبط أمور قسنطينة وسياسة أمورها، وقد استغل اضطراب الأمر على السلطان أبي إسحاق وظهور الدعي، فبدأ بجمع الأموال من الناس واستبد بالدولة[4]، ونتيجة لذلك اشتكى أهالي قسنطينة إلى السلطان أبي إسحاق، حتى إنهم كما يقول ابن قنفذ: (كتبوا عقداً مشهوداً بارتدادهم أنه ظهر منه ما يدل على نفاقه من رد الأوامر السلطانية، وأنه وضع يده

---

1. (مؤنس، حسين): المرجع السالف، مج2، ج2، ص242.
2. (جوليان، شارل اندريه): المرجع السالف، ج2، ص182.
3. (مدني، أحمد توفيق): حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا 1492.1792م ، ط2، الشركة الوطنية للنشر، الجزائر، (1976م)، ص351.
4. (ابن خلدون): المصدر السالف، ج6، ص300.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

في أهل البلد بالنهب)[1]، والأمر الذي زاد من شدة وطأة ابن الوزير على الناس، وقوّى عزمه على الاستقلال، هو تغاضي أبي إسحاق عنه بسبب إظهاره الطاعة له[2]، كذلك انشغال أبي اسحاق بتثبيت سلطانه لاسيما وأنه لم يكن قد مضى على اعتلائه العرش إلا فترة وجيزة، وانشغاله بمواجهة ثورة الدعي[3]، وفي تلك الآونة كان ابن الوزير على علم بالاستعدادات الحربية التي يعدها بيدرو للهجوم على المسلمين، فطلب منه المساعدة وحصل منه على وعد تقديم المساعدة العسكرية[4].

وبالمقابل وعده ابن الوزير بأنه سيضع تحت تصرفه رجاله وفرسانه، وأنه سيكون ذراعه الأيمن، كما حدد له مكان النزول وأنه في حال نزوله فإن طريق قسنطينة سيكون مفتوحاً أمامه[5]، والسؤال الذي يطرح نفسه لماذا فكر ابن الوزير بالاستعانة بقوة خارجية مثل بيدرو دون الاستعانة بقوة داخلية ؟ لقد تجمعت لديه الظروف لنجاح حركته، فهو في ولاية حصينة ومنيعة تقع على جبل شاهق، ومحاطة من جهة الجنوب بصخور عالية، الأمر الذي أمّن لها حصانة عسكرية حيث لا يمكن الصعود إليها إلا من طريقين صغيرين ضيقين، أضف إلى ذلك الأسوار العالية السميكة المبنية بالحجر المنحوت المسود[6].

كما أن ابن الوزير جند البربر والعرب بفضل الأموال التي جمعها من الأهالي، كما انه استكثر من النصارى ليكونوا عوناً له[7]، فقد أحاط نفسه بحرس من الجند النصارى، ولعلهم هم الذين حرضوه وزينوا له الاستنجاد بالملك الأراغوني، فابن الوزير

---

1. (ابن قنفذ): المصدر السالف، ص139.
2. (برنشفيك، روبار): المرجع السالف، ص113.
3. (حسين، ممدوح): المرجع السالف، ص470.
4. (برنشفيك، روبار): المرجع السالف، ص113.
5. (الجيلالي، عبد الرحمن بن محمد): تاريخ الجزائر العام، ط1، دار الثقافة، بيروت،(1403هـ / 1983م)، ص52.
6. (الوزان، الحسن بن محمد الفاسي المعروف بليون الأفريقي): وصف أفريقيا، تر: محمد حجي ومحمد الأخضر، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، (1983م)، ج2، ص55-56.
7. (حسين، ممدوح): المرجع السالف، ص470.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

رغم توفر الحصانة لمدينته والمال، والجنود إلا أنه لم تتوفر لديه العصبية القوية أسوة ببني مرين، وبني حفص، ويقول أحمد توفيق مدني: (ولو أن هذا الوالي قد صبا إلى الاستقلال وشق عصا الطاعة معتمداً على قوة عصبية.....لكنه علم أنه ليست له عصبية مرهوبة وأنه لا يستطيع امتطاء هذا المركب الوعر إلا محتمياً بحراب الأجنبي..... فاتحاً للغزاة الأجانب ثغرة في بلاد المسلمين لم يطأوها من قبل وبذلك..... ينال الإمارة والأموال وهيهات)[1]، وبالفعل كاتب ابن الوزير الملك الأرغوني يحرضه على الغزو فوعده بإرسال الأسطول[2]، وجمع حوله ثمانمئة فارساً وثلاثة آلاف من الرجال أغلبهم من الموكارس[3]، وحشر الجميع من مرسى طرطوشة وجمع المؤن والأقوات ما يكفيه، ثم عبر البحر إلى جزيرة ميورقة التي كان يحكمها أمير مسلم خاضع لمملكة أراغون، ومن ثم أبحر الأسطول الأراغوني المكون من 140 سفينة باتجاه مدينة القل[4]، وما كاد هذا الأسطول يصل إلى قسنطينة حتى كان سكان هذه المدينة على علم بالحملة[5]، ولكن كيف علم أهالي القل بأمرها ؟

يعود الفضل بإخبار أهالي القل عنها إلى أمير ميورقة المسلم الذي أرسل سفينة على جناح السرعة، وأوصى رسله أن يصلوا مرسى القل قبل وصول الأسطول الأسباني متحاشين محاذاته أو الاتصال به، وبالفعل وصلت السفينة إلى القل ونزل رسل أمير ميورقة مخبراً أهالي القل أن الملك الأراغوني جاء بقوة عظيمة، كذلك طلب من الأهالي أن يخبروا كل أهالي الناحية حتى مدينة بجاية[6]، فبادر أهل القل حينئذ بالخروج من المدينة حاملين معهم أموالهم وذخائرهم واعتصموا بالجبال فكانت المدينة

---

1. (مدني، أحمد توفيق): حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر واسبانيا ،1492-1792م،ص 352.
2. (ابن خلدون): المصدر السالف، ج6، ص300.
3. (الموركاس): إسبان أسلموا بعد الفتح العربي، ثم عادوا إلى النصرانية بعد الاسترجاع الاسباني (مدني، أحمد توفيق): حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر واسبانيا 1492.1792، ص 354.
4. (القل): مدينة كبيرة بناها الرومان على ساحل البحر المتوسط، وتفصل بين القل و قسنطينة جبال شاهقة. (الوزان): المصدر السالف، ج2، ص54.
5. (الجيلالي، عبد الرحمن بن محمد): المرجع السالف، ص53.
6. (مدني، أحمد توفيق): حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر واسبانيا 1492.1792، ص 354-355.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

خالية تماماً من الأهالي عند وصول الأسطول الأراغوني في عشرين ربيع الأول سنة (681هـ/1282م)، أما ابن الوزير عندما علم بمسير الأسطول الأراغوني أعلن العصيان و نادى بنفسه أميراً مستقلاً[1]، وعند وصول الخبر إلى أبي إسحاق بثورة ابن الوزير ومسير الأسطول الأراغوني أرسل ابنه أبا فارس الذي زحف من بجاية وحشد العرب وفرسان القبائل وخرج يطلب قسنطينة وقد جرت محاولة من ابن الوزير بمخادعة أبي فارس حيث أرسل إليه وفد من أهالي قسنطينة للمماطلة، لكن الخديعة لم تنطلِ على أبي فارس فأعرض عنهم واتجه إلى قسنطينة وحاصرها ونصب المجانيق، ووضع قواعد الرماة وبعد قتال شديد تمكن من الاستيلاء على المدينة وقتل ابن الوزير وأخاه وأشياعهما ونصب رؤوسهم على أسوار البلاد، ثم أمر بإصلاح الأسوار ودخل القصر ثم أرسل إلى أبيه يخبره بالانتصار[2]، وهكذا عادت قسنطينة إلى السلطة الحفصية وعُين على رأسها والٍ آخر هو عبد الله الهرغي[3].

ويقول أحمد توفيق مدني نقلاً عن مؤرخ إسباني أن مدينة قسنطينة هي التي فتحت أبوابها طمعاً عندما جاءها جيش السلطان الحفصي رغبة منها بالتخلص من ابن الوزير، أما "بيدرو" فعندما علم بأخبار قسنطينة احتل القل الخالية من السكان وأحكم التحصين فيها وأسكن جيشه في منازلها، أما أهالي القل فكانوا يراقبون المدينة من فوق المرتفعات وما آلت إليه، فأرسل الملك بيدرو يخبرهم أنه جاء للحرب والنزال، فردوا عليه بأنهم سيعقدون مجالس الشورى، ثم أخبروه بأنهم مستعدون لعقد الصلح معه على أن يرحل بجنده عن المدينة مقابل مبلغ من المال، وأخبروه أيضا أنهم أحاطوا السلطان الحفصي علماً بذلك، إلا أن الملك الأراغوني لم يعر ذلك اهتماماً وأرسل عيون وطلائع من جيشه إلى ما وراء خطوط التحصن لتعلم مدى قوة واستعداد الجند الإسلامي[4]، وقد رأى المسلمون هذه الطلائع من الجيش الأراغوني فظنوا أنها

---

1. (الجيلالي، عبد الرحمن بن محمد): المرجع السالف، ص53.
2. (ابن خلدون): المصدر السالف، ج6، ص300-301.
3. (برنشفيك، روبار): المرجع السالف، ص114.
4. (مدني، أحمد توفيق): حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر واسبانيا 1492-1792م، ص355-356.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مقدمة الجيش الزاحف باتجاههم، فأرسلوا فرسانهم لمقارعتها حتى إن دوي المعركة إلى بيدرو فأصدر أوامره لجيشه بالتقدم نحو الجبال من طرق جانبية ولم يشعر المسلمون إلا والجند الأراغوني قد أحدق بهم، فاستشهد الكثير ولم ينجو إلا القليل[1]، أما ملك أراغون فقد شجعه هذا الانتصار على مواصلة زحفه في أثر المسلمين، وعلى مسير ثلاث ساعات من أرض تلك المعركة وجد مدينة أخرى أخلاها المسلمون، وكانت مخازنها مملوءة بالقمح و أصناف الحبوب، والكتان، والحرير، فأباح لجنده لينهبون منها كيفما شاءوا إلا الحرير الذي استأثر به لنفسه، ثم أمر بإضرام النار فيها، وكر راجعاً إلى القل يجر وراءه غنيمته من السلع والمواشي والأسرى[2].

أما بالنسبة للمسلمين فلم يكن ما حدث إلا بداية لمواجهة جديدة حيث استمر تجمعهم في الجبال المحيطة في المدينة، وهم يستعدون لخوض غمار المعركة، فاتبعوا أسلوب الغارات السريعة، ثم قرروا المواجهة المباشرة للجيش الأراغوني، إلا أن الجيش الإسلامي أدرك أثناء المعركة قوة الفرسان المعادية وأنه لايستطيع الثبات في وجههم، فارتدَّ إلى مراكزه الجبلية[3]، ثم قام الملك الأراغوني بعد هذه الأحداث بعقد مجلس شورى مخبراً إياهم عن عزمه الزحف لاحتلال قسنطينة التي تمثل جزءاً هاماً من أفريقيا، وتمكنه بعدئذ من التوسع للاستيلاء عليها كاملة، وأنه سيرسل الرسل إلى قداسة البابا ليمده من عنده بجيش قوي يفتح به إفريقيا في وجه المسيحية حتى يكون اسم الرب ممجداً ومشرفاً، فأكد لهم مجلس الشورى أن هذا هو الرأي وأنهم سيقاتلون وراءه في سبيل الله والمسيح حتى الموت[4]، وبالفعل أرسل رسله إلى البلاد المسيحية والبابا في روما، فأبلغ الوفد فيها رغبة الملك الأراغوني بالعون، والمال، والسلاح،

---

1. (مدني، أحمد توفيق): حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر واسبانيا 1492-1792م، ص355-356.
2. (حسين، ممدوح): المرجع السالف، ص475.
3. (مدني ، أحمد توفيق): حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر واسبانيا 1492-1792م، ص357.
4. (حسين، ممدوح): المرجع السالف، ص476.
5. (مدني ، أحمد توفيق): حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر واسبانيا 1492-1792م، ص357.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والرجال لكن البابا لم يصدق أن ملكاً كملك أراغون قد استطاع احتلال شيء من إفريقيا ولا أنه يستطيع عمل ما لا يستطيع عمله ملوك الإنكليز والألمان وغيرهم، فلم يعد هذا الملك بأي إعانة[1]، أما عن سبب رفض البابا الاستجابة إلى ذلك الطلب فيعود لأنه كان فرنسياً ومناصراً لملك صقلية شارل، ولم يرغب في مساعدة عدو الأسرة المالكة بصقلية[2]، فعاد الوفد خائباً.

وفي تلك الآونة وصله وفد من صقلية يطلب منه مساعدته للتخلص من الملك شارل وأعوانه الذين أرهقوا الجزيرة مقابل تقديم عرش صقلية له، فكان هذا العرض بمثابة فرصة للملك الأراغوني الذي شرع بالرحيل بعد ثلاثة أيام وصعد جنوده مراكبهم بعد أن نهبوا كل ما أمكنهم من المدينة وأضرموا النار في مئة موضع ثم أقلعوا عنها، وعند وصول المسلمين وجدوها خالية، وبذلك لم يكمل الملك الأراغوني مشروعه في احتلال قسنطينة والاستقرار في أفريقيا[3].

---

1. (مدني ، أحمد توفيق): حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر واسبانيا 1492-1792م، ص357.
2. (برنشفيك ، روبار) : المرجع السالف،ص114.
3. (حسين، ممدوح): المرجع السالف، ص476-477.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

احتلال جربة (688هـ/1289م) ومهاجمة المهدية :

إن مطامح بيدرو الثالث في شمال إفريقيا لم تتوقف عند حد معين، فبعد المحاولة الفاشلة لاحتلال قسنطينة أعاد الكرة مرة ثانية، لكن هذه المرة اتخذ مبدأ جديداً في سياسته تجاه أفريقيا حيث أراد اتخاذ قاعدة لعملياته العسكرية ينطلق منها لاحتلال شمال إفريقيا، وقد وجد ضالته في جربة لتكون منطلقاً لتطلعاته المستقبلية وقد ساعدته الظروف لتحقيق ذلك، فضم صقلية لمملكته جعله يقترب من أفريقيا أكثر من السابق[1].

كما أن بعد الجزيرة عن مركز الدولة الحفصية هو أحد أسباب السهولة باحتلالها، ويمكن أن نضيف إلى ذلك الاختلاف المذهبي لأهل الجزيرة مع السلاطين الحفصيين[2]، فسكانها كانوا من الخوارج الإباضية ويتوزعون جغرافياً ومذهبياً إلى الوهبية في الجهة الشمالية الغربية، والنكارة في الجهة الشرقية والوسطى[3]، فهل الاختلاف المذهبي كان أحد أسباب احتلالها، أم أن هناك أسباب أخرى؟

وبعد إلقاء الضوء على أوضاع شمال إفريقيا لا يمكن أن إنكار أن ضعف السلاطين الحفصيين وتقاعسهم بالدفاع عنها يشكل أحد أسباب احتلالها، وإن لم يكن السبب الرئيسي لاحتلالها، فلا يوجد في المصادر التاريخية أي أثر لردود الفعل تجاه جربة من السلطة الحفصية[4]، ولكن ما هو السبب في وقوف السلطة موقف المتفرج عند احتلال بيدرو للجزيرة؟ هل لأنها كانت ضعيفة لدرجة أنه ليس بإمكانها التعبير عن سخطها بإرسال ولو قوة عسكرية صغيرة؟ أم لأن السلطان الحفصي أبي حفص اعتلى العرش بمساعدة من بيدرو الثالث، فهو بذلك صنيعته، وبالتالي سيسكت عن احتلالها؟وقبل أن يتجه إليها قام بتوجيه ضربات مختلفة لبعض الجزر والسواحل الإفريقية، ففي سنة (685هـ /1286م) اتجه الأسطول الإسباني بعدته البالغة عشرين ألفاً من الرجال المقاتلة إلى جزيرة ميورقة، ورسوا على شاطئها بصفة

---

1. (حسين، ممدوح): المرجع السالف، ص477.
2. (المطوي،محمد العروسي) : السلطنة الحفصية، ص273.
3. (شيخة، جمعة) : المرجع السالف ، ص70.
4. (المطوي،محمد العروسي) : السلطنة الحفصية، ص273.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

التجار، وطلبوا من أميرها أبي عمر بن حكم النزول للاستسقاء فأذن لهم، فلما نزلوا هاجموا أهلها، واضطروهم للجوء إلى القلعة وتمكنوا من الاستيلاء عليها، وعلى ما فيها من ذخيرة وعدة[1]. وفي الليلة التالية عاود الأراغونيون غدرهم ولكن هذه المرة بمرسى الخزر[2]، فاقتحموها وأسروا أهلها، وأضرموا النار في بيوتها، ثم مروا بمرسى تونس وأقلعوا إلى بلادهم[3]، كذلك حاول بيدرو مهاجمة جربة في السنة نفسها لكنه فشل باحتلالها، ثم هاجم القل واقتحمها وأباحها للنهب، ثم تركها خاوية[4]، وقد حاول لأكثر من مرة مهاجمة جربة، لكنه كان يفشل في كل مرة، وهذا إن دل على شيء يدل . كما عبر ابن خلدون . على تكالب العدو على الجزر البحرية[5].

ولكن قبل البدء بالحديث عن احتلال الجزيرة لابد أن من ذكر الخلاف بين المؤرخين في تحديد السنة التي حدث فيها، فابن قنفذ يعتقد أن الاحتلال حدث سنة (683هـ/1284م)[6]، ويؤيده في ذلك المؤرخون المعاصرون من أمثال محمد العروس المطوي[7] وشارل اندريه جوليان[8] وروبار برنشفيك[9]، كذلك ابن أبي الضياف يذكر أن ذلك حدث في سنة (682هـ/1283م)[10]، أما ابن خلدون يحدد سنة (688هـ / 1289م) سنة احتلالها بل يذهب أبعد من ذلك ويحدد الشهر الذي حدث فيه الاحتلال وهو رجب [11].

---

1. (ابن خلدون): المصدر السالف، ج6، ص 306.
2. (مرسى الخزر): من مدن إفريقية. (المقدسي، شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر): كتاب أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ط2، مطبعة بريل، ليدن، (1909م)، ص216.
3. (ابن خلدون): المصدر السالف، ج6، ص 306.
4. (حسين، ممدوح): المرجع السالف، ص478.
5. (ابن خلدون): المصدر السالف، ج6، ص 305.
6. (ابن قنفذ): المصدر السالف، ص150.
7. (المطوي،محمد العروسي) : السلطنة الحفصية، ص273.
8. (جوليان ، شارل اندريه): المرجع السالف،ج2،ص183.
9. (برنشفيك ، روبار) : المرجع السالف،ص124.
10. (ابن أبي الضياف): المصدر السالف ،ص167.
11. (ابن خلدون): المصدر السالف، ج6، ص 305.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويمكن القول أن سبب هذا الاختلاف هو الهجمات، والمحاولات المتكررة لاحتلالها، فذلك أحدث التباساً لدى المؤرخين، وبالاعتماد على رواية ابن خلدون فإن الأسطول الإسباني اتجه إلى جربة التي كان يحكمها وقتئذ محمد بن مهو بن شيخ الوهبية، وعدة الأسطول سبعين مركباً من الغربان[1]، والشواني وقد تم الاحتلال ونهب الأموال وأسر الأهالي وسبيهم[2]، حتى قيل أنه وصل أعداد الأسرى والسبي ثمانية آلاف، لكن أبشع ما ارتكب على حد رواية ابن خلدون هو رمي الرضع في الجبوب، مما يدل على الوحشية الفرنجية، حتى إن الأمتعة لم تسلم من وحشيتهم[3].

ويعلق ابن خلدون قائلاً: (وكانت هذه الواقعة من أشجى الوقائع للمسلمين)[4]، وبعد ذلك قاموا ببناء حصن يقال له القشتيل[5]، ووضعوا فيه حامية وشحنوه بالسلاح، ثم فرضوا غرامة مالية مقدارها مئة ألف دينار كل سنة[6]، وقد تمكن قائد الحملة روجير ديلوريا من أسر شيخ قبيلة ذياب مرغم بن صابر الذي سيشغل دوراً هاماً في الأحداث السياسية لشمال إفريقيا[7] كما سيمر لاحقاً، ففي السنة نفسها أوالتي تلتها قام الأسطول بمحاولة احتلال المهدية وهاجمها ثلاثة أيام، لكنه لم ينجح في اقتحامها، وانقلب عنها خائباً[8].

---

1. (الغربان): نوع من السفن وسمي كذلك لأن مقدمة هيكلها على شكل غراب. (طرخان، إبراهيم علي) : المرجع السالف، ص69.
2. (ابن خلدون): المصدر السالف، ج6، ص 305.
3. (ابن قنفذ): المصدر السالف، ص150.
4. (ابن خلدون): المصدر السالف، ج6، ص 305.
5. (القشتيل): ويصفه ابن خلدون: بأنه مربع الشكل في كل ركن منه برج وبين كل ركنين برج ويجاوره حفير وسوران(ابن خلدون): المصدر السالف، ج6، ص374.
6. (ابن خلدون): المصدر السالف، ج6، ص 305. (برنشفيك ، روبار) : المرجع السالف ، ص125.
7. (برنشفيك ، روبار) : المرجع السالف،ص125.
8. (ابن خلدون): المصدر السالف، ج6، ص 305.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

حركة ابن أبي دبوس (688هـ/1289م) :

مر سابقاً كيف قام بيدرو الثالث ملك أراغون بمحاولة لاحتلال قسنطينة بمساعدة ابن الوزير الثائر ضد السلطان الحفصي، و الآن عاد بيدرو للمرة الثانية لاستغلال الثائرين ومناصرتهم لإثارة الفوضى في شمال إفريقيا، وهذه المرة الثائر يتمثل بشخصية "عثمان بن أبي دبوس" من أبناء عبد المؤمن الخليفة أبي دبوس المقتول سنة (668هـ/1269م)[1] بانتصار أبي يوسف المريني عليه، فتفرق أولاده مشردين في البلاد، حيث التجأ الأمير أبو مالك عبد الواحد بن أبي دبوس لدى ملك أراغون خايمي الأول، وكان مصحوباً هناك بأخيه أبي سعيد عثمان مع أسرتيهما، وهذان الأميران كانا يعملان في خدمة الملك الأراغوني ويتلقيان الإعانة المالية ويقيمان في قلعة العود، ثم أقاما بعد ذلك في بلنسية[2]، وصادف ذلك إقامة أبناء عمه أبي زيد الذي تنصر على يد خايمي الأول أيضاً، ويذكر أحمد بك الأنصاري: (وكان لهم هناك مكان وجاه لنزول السيد أبي زيد عن دينه إلى دينهم)[3].

كذلك وافق وجود أبناء أبي دبوس وجود مرغم بن صابر شيخ الجواري من بني ذياب، الذي وقع أسيراً في يد قراصنة صقلية (682هـ/ 1281م) فباعوه إلى ملك أراغونة الذي اشتراه[4]، وأكرمه ثم جمعه مع عثمان بن أبي دبوس ووثق العلاقة بينهما[5]، وبعد وفاة خايمي الأول اعتلى العرش ابنه بيدرو الثالث (677هـ /1276م) ليستغل ذلك الوضع ويحاول القدوم إلى شمال أفريقيا مرة أخرى، ولكن السؤال ما هي الأسباب التي دفعت بيدرو للتحالف مع ابن أبي دبوس؟هناك عدة أسباب أحدها يتعلق بأفريقيا وآخر يتعلق بصقلية، أما بالنسبة إلى الأول: فبيدرو كما ذُكر سابقاً حاول خلق الفوضى في شمال إفريقيا ليحرمها من الاستقرار فتضعف عن

---

1. (ابن تغري بردي): المصدر السالف، ج7، ص230.
2. (برنشفيك ، روبار) : المرجع السالف،ص129-130.
3. (الأنصاري ، أحمد بك النائب): المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب ، ص150.
4. (الأنصاري ، أحمد بك النائب): نفحات النسرين والريحان فيمن كان بطرابلس من الأعيان، تقديم: محمد زينهم محمد عزب، دار الفرجاني للنشر والتوزيع، القاهرة، (1994م)، ص36.
5. (ابن خلدون): المصدر السالف، ج6، ص308.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مقاومته، كما أن تحالفه مع ابن أبي دبوس سيجعل منه ألعوبة بيده يتمكن من خلاله تحقيق أهدافه، كذلك سيجعل منه شوكة في حلق الحفصيين، وبالتالي يحقق ما يصبو إليه من خلق التوتر والفوضى ويسهل عليه السيطرة على تلك المنطقة، كما أنه سيضع قبيلة ذياب، التي تعد من أقوى بطون العرب الهلالية ممثلة بشخصية مرغم بن صابر في مواجهة السلطان الحفصي، مما سيزيد من الفوضى والتوتر في شمال إفريقيا[1]، أما بالنسبة إلى صقلية فزواجه من الأميرة كونستانس بنت مانفرد صاحب صقلية وجنوب إيطالية مد نفوذه إلى صقلية فأخذ يطالب بإرث زوجته، وبما أن صقلية وجنوب إيطالية سيطر عليها شارل أنجو، فإن بيدرو دخل في صراع مسلح مع شارل للسيطرة عليها، كذلك الوضعية الجغرافية لصقلية بالنسبة لأفريقيا جعلته يسعى لوضع قدمه في أفريقيا تسهيلاً للوصول إلى صقلية، بل إنه كان يفكرأبعد من ذلك حيث كان يسعى للوصول إلى الشرق الإسلامي تماشياً مع سياسة الحركة الفرنجية في تلك الفترة[2] كما حاول لويس أن يفعل .

وفي سنة (686هـ / 1287م) أُبرمت في مدينة "لكة" معاهدة سلام بين بيدرو الثالث والأمير عبد الواحد بن أبي دبوس، الذي صرح بطلبه لعرش تونس، وقد تم الاتفاق من خلالها: على أن تقدم أراغونة عدة سفن مجهزة بالجنود والمؤن مقابل تسديد نفقاتها فيما بعد، كما تم الاتفاق على إرجاع الزعيم الهلالي مرغم بن صابر إلى أهله مقابل دفع غرامة، كذلك مساندة الأمير الموحدي ضد أبي حفص[3]، وبعد الاتفاق تم اختيار طرابلس كمكان لنزول القوات المتحالفة وذلك لأمرين: الأول بعد طرابلس عن مركز السلطة الحفصية، والثاني استغلال زعامة مرغم بن صابر في نواحي طرابلس[4]، ثم أبحر الأسطول بعد إعداده باتجاه طرابلس سنة (688هـ /1289م) التي كان يليها يومئذ محمد بن عيسى الهنتاتي[5]، وهنـــاك قام مرغم بن

---

1. (حسين، ممدوح): المرجع السالف، ص482.
2. (المطوي،محمد العروسي) : السلطنة الحفصية، ص272.
3. (برنشفيك ، روبار) : المرجع السالف،ص 130.
4. (المطوي،محمد العروسي) : السلطنة الحفصية، ص278.
5. (الأنصاري، أحمد بك النائب): المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب، ص151.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

صابر باحتشاد قومه وحملهم على طاعة ابن أبي دبوس، ثم نازلوا البلد بالتعاون مع الأسطول الإسباني وحاصروها ثلاثة أيام[1]، لكنهم لم يتمكنوا من اقتحامها، ثم رحل الأسطول الإسباني، ورسى في السواحل القريبة من طرابلس، وبقي قسم من الجيش يحاصرالمدينة من جهة البر، ثم طالبوا "ابن أبي دبوس" و"مرغم" بالمال المتفق عليه فاضطر الاثنان إلى المسير في نواحي طرابلس لاستحضار المال المطلوب، وبعد حصول الأراغونيين على المال عادوا إلى بلادهم[2] .

ويقول روبار برنشفيك أن خلافاً دب بين ابن أبي دبوس والأراغونيين وربما يكون سبباً في فشلهم باقتحام طرابلس، حيث يقول : (وقد هجموا في أول الأمر على مدينة طرابلس ..... ولكن سرعان ما دب الخلاف بين المسلمين وحلفائهم النصارى، وبعدما استخلص هؤلاء..... وبعد جهد جهيد غرامة مرغم واسترجعوا مقابل ما أنفقوه من أموال انسحبوا من المعركة التي تواصلت سجالاً طوال عدة أشهر في البلاد الطرابلسية، والجنوب التونسي)[3] .

وبعد عودة الأسطول الإسباني اضطر ابن أبي دبوس لفك الحصار عن طرابلس، ثم استقدمه أحمد بن أبي الليل شيخ الكعوب وبايعه، ثم اتفقاعلى الزحف على تونس، فخرج إليهم الوزير أبو عبد الله بن برزيكين، وهزمهم ثم جال في نواحي إفريقيا لتمهيد الجهات وتسكين ثائرة الأعراب[4] .

---

1. (ابن خلدون): المصدر السالف، ج6، ص308.
2. (الزاوي، أحمد الطاهر): المرجع السالف، ص216.
3. (برنشفيك ، روبار) : المرجع السالف،ص 130.
4. (ابن خلدون): المصدر السالف، ج6، ص314.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

نشاط حركة التنصير والتبشير في شمال إفريقية:

لقد كان نهاية القرن الثالث عشر والقرن الرابع عشر عصر التبشير، فهو رد فعل طبيعي للأوربيين تجاه الحالة التي وصل إليها الفرنجيون في الشرق، لذا بدؤوا يبحثون عن طرق جديدة لمواجهة الموقف ألا وهي التبشير، لذلك كان على الكنيسة وأوربا أن يعملا على إنشاء جيش من المبشرين، وإثارة الحماسة الدينية في محاربين من طراز جديد لحرب من نوع جديد تحقق أهداف الكنيسة، التي تتمثل في تحطيم قوة التماسك التي يتميز بها الإسلام أو على الأقل إضعافها[1]، وكانت إفريقية هي أحد معاقل الإسلام، لذلك كان من الطبيعي أن تكون مستهدفة في هذه الحرب السلمية، فمنذ القرن الحادي عشر الميلادي كانت أوربا تتجه بأنظارها إلى أفريقية لتنصيرها، بدليل ما أرسله البابا غريغوري السابع في سنتي (1073 و1076م) إلى مسيحي بونة (عنابة)، يحثهم فيها على التمسك بطاعة كنيسة روما، ويوصيهم بتحريض المسلمين من حولهم على الاقتداء بهم في الدخول بالمسيحية، لا صدهم واحتقارهم والازدراء بهم، فهو بذلك يطلب منهم أن يصبحوا منصرّين وينشروا الدعوة المسيحية بين المسلمين[2].

كما علقت المسيحية آمالها أيضاً على النورمان، الذين احتلوا صقلية وأخذوا يتطلعون للاستيلاء على الشمال الإفريقي للقيام بتنصيره، لكن ظهور الموحدين الذين تصدوا للنورمان وطردوهم من المهدية، جعل الظروف غير مواتية لاستئناف الجهود التنصيرية فيها، وما إن بدأ الضعف يدب في الدولة الموحدية منذ أوائل القرن (السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي)، حتى عادت الحركة الفرنجية لإحياء جهودها التنصيرية في إفريقية، وقد اعتمدت هذه المرة على جهود منظمتي الفرنسيسكان والدومنيكان، الذين بدؤوا يتوافدون إلى إفريقية لتحقيق هذا الهدف، ومن هؤلاء الرهبان فرانسيس الأسوزي الذي قابل ألفونسو الثامن ملك قشتالة (1213م) ليساعده على السفر إلى المغرب[3]، وكان يأمل تنصيرعاهل الدولة الموحدية، لكن مرضه اضطره

---

1. (الغتيت ، محمد علي) : المرجع السالف،ص72.
2. (حسين، ممدوح): المرجع السالف، ص403-404.
3. (حسين، ممدوح): المرجع السالف، ص405-407.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

للعودة إلى إيطاليا، وكان فرانسيس هذا قد قسم العالم غير المسيحي إلى سبعة أقسام ووزع عليها رهبان منظمته للعمل على تنصيرها، وقد ترأس بنفسه البعثة المتجهة إلى مصر والشام[1]، وتمكن من مقابلة سلطان مصر الكامل الأيوبي الذي استقبله ببشاشة هو ورفاقه وسمح لهم أن يجادلوه في الدين[2]، أما البعثة التي أرسلت إلى إفريقية ترأسها الراهب جيلز الأسيزي لكن دعاتها أفرطوا في الدعوة للمسيحية بين المسلمين مما أثارهم عليه، فاضطر مسيحيو إفريقية لإجبارهم على مغادرة البلاد، ومن الدعاة أيضاً حنا دي ماتا الذي زار إفريقية مرات عديدة وأسس في تونس كنيسة صغيرة ومستشفى صغير.

ومن الجدير بالذكر أن الحركة التنصيرية استأنفت نشاطها مستغلة تسامح أبي زكريا الأول وفترة الانتقال من تبعية إفريقية للدولة الموحدية إلى الاستقلال عنها وتأسيس الدولة الحفصية، ثم رغبة عبد العزيز الحفصي في التنصر، ففي سنة (633هـ / 1236م) هرب عبد العزيز ابن أخ الأمير أبي زكريا الأول الحفصي من إفريقية إلى صقلية، ويقال أنه في طريقه إلى التنصرعلى يد البابا، لكن فريدريك الثاني أوقفه في صقلية وحال دون متابعة سيره إلى روما، ثم ما لبث عبد العزيز أن صرف نظره عن فكرة التنصر، وهذا إن دل على شيء يدل على رغبة البابوية بتنصير مسلمي إفريقية[3].

وفي أواخر العقد الرابع من القرن الثالث عشر أظهر البابا الإسكندر الرابع ميله لدعم جهود المنصرين الدومنيكان في إفريقية في رسالة بعث بها إلى رئيس تلك المنظمة يأمره بإرسال المزيد من هؤلاء إليها، وقد جرت اتصالات بين الدومنيكان وخايمي الأول ملك أرغونة الذي اتصل بالمستنصر الحفصي وطلب منه السماح للدومنيكان بتأسيس مدرسة في مدينة تونس لتعلم الرهبان اللغة العربية، فوافق على ذلك وتم في سنة (1250م) إرسال ثمانية رهبان منصرين إلى تونس حيث أسسوا تلك المدرسة[4].

---

1. (حسين، ممدوح): المرجع السالف، ص405-407.
2. (الغتيت ، محمد علي) : المرجع السالف،ص75.
3. (حسين، ممدوح): المرجع السالف، ص406-409.
4. (حسين، ممدوح): المرجع السالف، ص410-411.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وعند استلام همبرت الرومانسي رئاسة منظمة الدومنيكان أخذ في تعزيز المنصرين الدومنيكان في إفريقية ببعثات تنصيرية جديدة أرسلها إليها، ثم توجت هذه الجهود بظهور منصر آخر يعد من أشهر المنصرين في القرن الثالث عشر هو رومان مارتي الملقب بخنجر الإيمان المسلول على المسلمين واليهود (1230ـ 1286م) القطلاني الأصل، فانضم إلى منظمة الدومنيكان، ثم أرسل إلى تونس حيث تعلم اللغة العربية وكان على صلة بالمستنصر، كما كان على اتصال بلويس التاسع ملك فرنسا الذي يعتقد أن اتجاهه إلى إفريقية كان بوحي منه لتنصير سلطانها[1]، ولا بد من الإشارة أيضاً إلى نشاط رهبان منظمة عذراء الرحمة الذين كانوا يجوبون أرجاء المغرب بحثاً عن الأسرى ويمارسون نشاطهم التنصيري، ثم جاءت معاهدة الصلح بين لويس والمستنصر (669هـ/ 1270م) لتفتح أمام القائمين على هذه الحركة لبذل المزيد من الجهود التنصيرية[2].

وقد وصلت تلك الجهود ذروتها بوصول رومان لول إلى إفريقية أواخر القرن (السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي)، والذي يعد من أهم دعاة التنصر في العصور الوسطى، وقد ولد في جزيرة ميورقة[3] سنة (1232م) من أبوين هما رامون لول واليزبثت اللذين ينتميان إلى عائلتين نبيلتين من أرغونة، وقد أمضى لول بداية حياته في ميورقة، حيث عني أهله بتربيته وتثقفه ليصبح من رجالات بلاط ملك أرغونةـ نظراً للعلاقة الجيدة معه ـ وفي سنة (1246م) اختير مرشداً للأميرين الصغيرين بيدرو وخايمي ابني خايمي الأول، ولول هذا أمضى حياة ملؤها الفسق والفجور إلا أن تحولاً مفاجئاً حدث سنة (1263م)، فترك حياة الخلاعة ونذر نفسه لخدمة المسيحية ويبدو أنه شعر بضرورة التدخل لخدمة الحركة الفرنجية ولكن بطريقة سلمية عن طريق التنصر[3].

ومن أجل تحقيق ذلك فإن لول بذل جهوداً مضنية لوضع فكرته موضع التنفيذ، فقد رأى أنه تنقصه الثقافة الدينية والمعرفة باللغة العربية، لذلك اعتكف في دير

---

1. (حسين، ممدوح): المرجع السالف، ص412-415.
2. (عاشور، سعيد عبد الفتاح): الحركة الصليبية، ج2، ص1193.
3. (حسين، ممدوح): المرجع السالف، ص415-419.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

للرهبان السترشيان وهو قريب من بالما حاضرة ميورقة للتأمل والعبادة، وفي عزلته توصل إلى الأهداف الرئيسية الثلاث:

1. تأليف كتاب يدحض حجج غير المسيحيين خاصة المسلمين.
2. إعداد الرهبان الذين يتولون مهمة التنصر إعداداً صحيحاً.
3. الموت في سبيل المسيح للتكفير عن ذنوبه، ثم غادر الدير واشترى عبداً مسلماً ليعلمه اللغة العربية والفلسفة الإسلامية[1].

ومن الجدير بالذكر أن لول كان شاعراً وفيلسوفاً ألف الكثير من الكتب بطريقة جديدة في الفلسفة، فقد ألف كتاباً اسمه شجرة العلوم كما أنه بعد إتقانه اللغة العربية كان ينظم الشعر العربي، ويظهر في كتابه (التحرير النهائي) فكرته الجديدة في خدمة الحركة الفرنجية، وهي كسب المسلمين باعتناقهم المسيحية وأنه عن طريق إنقاذ أرواحهم مما حسبه ضلالاً سوف يكسب الأرض المقدسة مستقبلاً ومعها العالم الإسلامي بأكمله إلى حظيرة المخلص دون عنف ولا سفك دماء[2].

وفي سنة (1274م) استدعاه خايمي الأول ملك أرغونة إلى بلاطه حيث قدم له مؤلفاته، فقام خايمي الأول بعرضها على راهب يدعى تبراند برنجار الذي أبدى إعجابه بها، فحصل منه على وعد بتأسيس مدرسة لإعداد رهبان لمهمة التنصير، وبالفعل تم ذلك في عهد ابنه خايمي، ففي سنة (1276م) صدر مرسوم فيتربو من البابا يوحنا الحادي والعشرين بالموافقة على إنشاء كلية ميرامار في ميورقة، وخلال سنتي (1282م) و(1291م) أخذ لول يجول أوربا داعياً لتبني أرائه، ثم عاد إلى جنوى حيث قرر السفر إلى إفريقية لبدء جهوده التنصرية[3]، وفي سنة (1292م) أبحر لول في رحلته الأولى إلى إفريقية[4]، وعلى ظهر السفينة بدأ يستجمع من التجار

---

1. (حسين، ممدوح): المرجع السالف، ص415-419.
2. (عطية ، عزيز سوريال): الحروب الصليبية وتأثيرها على العلاقات بين الشرق والغرب ، تر: فيليب صابر سيف، ط2، دار الثقافة، القاهرة، (1952م)،ص83.
3. (حسين، ممدوح): المرجع السالف، ص420-421.
4. (عاشور، سعيد عبد الفتاح): أضواء جديدة على الحركة الصليبية، دار القلم، القاهرة، (1964م)، ص66-67.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

معلومات عن مسلمي إفريقية، وعند وصوله إلى تونس لم يفصح في البداية عن غرضه، ثم أخذ يحضر منتديات المثقفين مدعياً أنه قد درس المسيحية وجاء إلى إفريقية لدراسة الإسلام، وقد قام بمناظرة بعض مسلمي المدينة الذين أملوا في إفهامه مبادئ الدين الإسلامي[1]، لكن لول ما لبث أن اتهم بالشرك والحض على الكفر فحكم عليه بالإعدام، ثم خفضت هذه العقوبة إلى الطرد خارج البلاد[2]، حيث نقل من سجنه إلى الميناء تحت وابل حجارة من العامة، وألقي به في مركب جنوي كان يوشك مغادرة تونس حيث أقلته تلك السفينة إلى نابلي[3].

وفي سنة (1294م) اجتمع لول بالبابا سلستين الخامس وقدم له كتابين فيهما خطة للتبشير بين المسلمين، وكانت خطته ذات شقين أولاهما أن تتخذ الكنيسة العلم والمدارس وسيلة للتبشير، وثانيهما أن ينصر المسلمين بالقوة إذا لم تنفع فيها الجهود السلمية[4]، ثم أخذ لول يجوب أوربا يقابل ملوكها وأمراءها وكبار رجال الدين فيها ويلقي محاضراته في جامعاتها، كل ذلك في خدمة الحركة الفرنجية، كما أنه حاول اللقاء بغازان خان تتار فارس لكنه عندما وصل الشام وجد الخان قد عاد إلى فارس[5].

وفي سنة (1305م) وضع مشروعاً نادى فيه بالعمل على كسب المسلمين وطوائف المسيحيين الشرقيين والهراطقة إلى معسكر الكنيسة الغربية عن طريق التبشير مع التمسك بإرسال حملة فرنجية قوية إلى الشرق، وقد اختار لول أن يبدأ خط سير الحملة من إسبانيا، حيث يقوم الفرنجة بطرد المسلمين منها، ثم ينتقلون إلى شمال إفريقية، ثم يزحفون إلى تونس ومصر، في الوقت الذي يتخذ الأسطول الفرنجي مالطة ورودس قاعدتين لمساعدة الحملة البرية[6].

---

1. (حسين، ممدوح): المرجع السالف، ص421.
2. (عاشور، سعيد عبد الفتاح): أضواء جديدة على الحركة الصليبية، ص67.
3. (حسين، ممدوح): المرجع السالف، ص423.
4. (الجيلالي ، عبد الرحمن بن محمد): المرجع السالف، ص64.
5. (حسين، ممدوح): المرجع السالف، ص424.
6. (عاشور، سعيد عبد الفتاح): الحركة الصليبية، ج2، ص1193-1194.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إلا أن" سعيد عبد الفتاح عاشور" علق على مشروع لول بقوله : (ثم إن تقرير لول امتاز باتساع الأفق وعمق الخبرة وهي الأمور التي تتضح في اهتمامه بتعاون الأسطول البحري مع الجيش البري، وفي عنايته بالمسائل المتعلقة بالتموين والأسلحة، ولكن يؤخذ عليه أنه أساء الظن بالمسيحيين الشرقيين أكثر من اللازم ولم يحاول مطلقاً اكتسابهم والإفادة منهم في مشروعه الصليبي)[1].

وفي سنة (1307م) عاد لول إلى شمال إفريقية لمعاودة الكرة لنشر المسيحية، وفي تلك المرة نزل بجاية بالجزائر حيث استطاع أن يتصل ببعض العلماء المسلمين ويطلب مناظرتهم في مواضيع دينية، وقد حدد قاضي المدينة الزمان والمكان لتلك المناظرة، لكن الرأي العام الإسلامي في بجاية ما لبث أن ثار على لول قبل أن تتم المناظرة[2]، وقد ألقي القبض عليه وسيق إلى قاضي المدينة لمحاكمته، وقد حاول القاضي إفهامه الدين الإسلامي على حقيقته، لكنه استمر في طعن الإسلام، مما جعل الناس يطالبون بإعدامه، فتدخل التجار القطلانيون والجنويون لدى السلطات وتمكنوا من إقناعها بالنفي من بجاية[3]، وقد ألف لول كتابه المسمى الخلاف بين رامون المسيحي وعمر المسلم أو عمار كما يسميه عزيز سوريال عطية[4]، وهو كتاب ذو فائدة في ميدان المناظرات حيث يتضمن الكتاب ردوداً على حجج المسلمين عليه أثناء وجوده في بجاية[6]، وعند عقد مجمع فينا في سنة (1311م) أوصى لول بالقيام بحملة فرنجية تتخذ طريق إسبانيا فشمال إفريقية للوصول إلى مصر والشام [5] كما ذُكر سالفاً.

وقد أسفرت جهوده في ذلك المؤتمر عن تأسيس كراسي لدراسة اللغات الشرقية في جامعات روما وباريس وأكسفورد، ثم عاد بعد نهاية المجمع إلى ميورقة لكنه ما لبث أن غادرها إلى صقلية آملاً في كسب دعم ملكها فريدريك الثاني بمشروعه التنصيري

---

1. (عاشور، سعيد عبد الفتاح): أضواء جديدة على الحركة الصليبية، ص67.
2. (حسين، ممدوح): المرجع السالف، ص425.
3. (عطية ، عزيز سوريال): المرجع السالف، ص84.
4. (حسين، ممدوح): المرجع السالف، ص425.
5. (عاشور، سعيد عبد الفتاح): الحركة الصليبية، ج2، ص1239.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

في إفريقية، لكن مساعيه خابت فتجاوب فريدريك لم يكن بالقدر الكافي، لذلك قرر العودة إلى إفريقية من جديد، وعلى ما يبدو أنه كان يدرك ما ينتظره فكتب وصيته سنة (1313م)، وفي سنة (1314م) أو(1315م) عاد لول إلى إفريقية ومعه خطاب توصية من خايمي الثاني ملك أرغونة إلى أمير تونس أبي يحيى زكريا بن اللحياني ورسالة إلى قائد حرسه القطلاني، حيث سمح له بالإقامة في تلك المدينة، ويبدو أن الوضع الذي كان سائداً فيها من اضطراب سياسي اضطر لول التزام الحيطة والحذر، ثم أرسل إلى ملك أرغونة لكي يرسل له تلميذه سيمون ليلتحق به في إفريقية، لكنه ما لبث فجأة أن انتقل إلى بجاية وهناك أعدم رجماً بالحجارة، ثم قام تاجران جنويان كانا قد رافقاه في رحلته الأولى إلى إفريقية بنقل رفاته إلى ميورقة حيث دفن في كنيسة القديس فرانسيس في بالما[1].

ولم تقتصر الجهود التنصرية على لول، فشمال إفريقية ظل يحتل مكانة في تفكير بعض دعاة الحركة الفرنجية، ومنهم بروكارد الذي أشارفي تقريره الذي أعده سنة (1332م) للملك فيليب السادس ملك فرنسا . والذي كان ينوي القيام بحملة فرنجية . عن طريق شمال إفريقية،إلا أنه أوضح صعوبة هذا الطريق ومشقته وطوله، أما فيليب دي ميزيير فقد طلب في تقريره الذي دونه سنة (1389م) بأن يتبع كل فريق من الفرنجة طريقاً معيناً للوصول إلى الشرق بحيث يجب أن يكون الطريق الذي يسلكه صليبيو إسبانيا وأرغونة ونافارهو طريق شمال إفريقية[2]، وعند النية بالبدء بالحملة تحطم مشروعها بسبب تجدد حرب المئة عام بين إنكلترة وفرنسا، فالأنباء وصلت فيليب السادس وهو في مرسيليا يشرف على الترتيبات النهائية للإقلاع إلى الشرق بأن إنكلترة شنت هجوماً على بلاده ما اضطره إلى العودة مسرعاً إلى باريس[3].

ولابد من الإشارة هنا إلى دور ملوك أرغونة بدعم حركة التنصر في إفريقية، فمساندتهم لحركة التنصر كانت قد بدأت منذ وقت مبكر من أوائل العقد الثالث من القرن الثالث عشر الميلادي، فقد كان رامـــون البيافورتي حلقـة اتصال بين حركة

---

1. (حسين، ممدوح): المرجع السالف، ص427-429.
2. (عاشور، سعيد عبد الفتاح): الحركة الصليبية، ج2، ص1240.
3. (عاشور، سعيد عبد الفتاح): الحركة الصليبية، ج2، ص1198.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

التنصر في إفريقية وملك أرغونة، كذلك مساندة خايمي الأول ملك أرغونة عندما طلب من المستنصر السماح للدومنيكان بإنشاء مدرسة في تونس لتعليم الرهبان اللغة العربية، وجهود رامون مارتي الذي يرتبط بعلاقات جيدة مع خايمي الأول ورامون البيافورتي، وجهود منظمة عذراء الرحمة التي سبق ذكرها والتي تأسست في أرغونة أيضاً، كل ذلك أفضل أدلة على دور أرغونة بحركة التنصر في إفريقية، ثم جاءت معاهدة الصلح بين المستنصر الحفصي والفرنجة (1270م) والتي فتحت الباب على مصرعيه لحركة التنصر في إفريقية، حيث استدعى خايمي الأول رامون لول إلى بلاطه سنة (1274م) للإطلاع على آرائه بشأن هذه الحركة ثم تأسيس كلية ميرامار سنة (1276م) لتخريج الرهبان المنصرين لإرسالهم إلى إفريقية[1]، وقد ذكر سابقاً أن ابن أبي دبوس استعان بأرغونة وابن الوزيروأبي اسحق الحفصي .

ثم جاءت مطامح ابن اللحياني بالعرش الحفصي حيث استغلت أرغونة ذلك لدعمه بمساعدة فريدريك ملك صقلية على أمل تنصيره، فقد أخذ ابن اللحياني يوهمهما بميله للتنصر لعله بمساعدتهما يستطيع تدعيم أركان عرشه وقد جرت هذه المحاولات التنصرية عن طريق المبعوث الأراغوني الراهب الفرنسيسكي سيمون بويك ساردا الذي أوكلت له هذه المهمة، لكن ابن اللحياني كان يراوغ للحصول على أكبر مساعدة من مجموعة من الرهبان الفرنسيسكان بتونس[2].

وفي سنة (1313م) قام خايمي الثاني ملك أرغونة بإرسال سفارة إلى تونس لتجديد معاهدة السلام بينه وبين السلطان الحفصي فقام السفير بمقابلة ابن اللحياني، وأثناء اللقاء أوضح له السفيرأن تنصره حدث عظيم الأهمية ويقدم خدمة للمسيحية، كذلك أوعز خايم الثاني للسفير بأن يقدم للسلطان تنازلات أثناء المفاوضات لإبرام المعاهدة فيما إذا قبل التنصر[3]، لكن السفير لم يفلح في حمل ابن اللحياني على اتخاذ قرار واضح في موضوع التنصر، وظل يلمح من خلال رسائل يرسلها إلى

---

1. (حسين، ممدوح): المرجع السالف، ص430-431.
2. (سعيدان ،عمر): علاقات اسبانيا القطلانية بالحفصيين في الثلثين الأول والثاني من القرن الرابع عشر ، ط1، منشورات سعيدان ، سوسة ، (2002م) ، ص83.
3. (حسين، ممدوح): المرجع السالف، ص433.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

خايمي الثاني وأخيه فريدريك الثاني ملك صقلية إلى التنصر دون تصريح واضح، ثم يشير في رسالة سنة (1316م) أرسلها من طرابلس أنه تنصر بالسر[1]، وينقل عمر سعيدان عن مراوغة وتماطل ابن اللحياني، فيقول: (واستمر السلطان ابن اللحياني يؤجل تنصره العلني إلى أن مر يوماً بإحدى ساحات تونس محفوفاً بالنصارى حرسه الإفرنجي، فاعترضه أحد الصوفية الشيخ القروي وناداه قائلاً: أيها الفقيه ؟ ياأبا يحيى! إن هذا غير مسموحاً به لك! فإنه سبحانه وتعالى حرم الاستنجاد بالكفرة! فذعر وبقي مدهوشاً وواصل المراوغة)[2].

إلا أن خايمي الثاني بقي متشبثاً بفكرة تنصر ابن اللحياني ففي سنة (1314م) أرسل رسالة يحثه فيها على التنصر ثم أرسل برسالة أخرى إلى قائد الحرس السلطاني القطلوني يوجهه فيها إلى بذل جهوده مع السلطان والتأثير عليه لتطمئن نفسه بالمسيحية، أما موقف ابن اللحياني فقد بقي على حاله من المراوغة والتلميح ثم رأى خايمي أنه لا بد من إطلاع البابوية على هذا الأمر، فأرسل رسالة سنة (1316م) إلى البابا يوحنا الثاني والعشرين لبحث موضوع تنصيرابن اللحياني فرد عليه البابا برسالة يلومه فيها على عدم إخباره بالأمر[3]، لكن ابن اللحياني ما لبث أن ترك إفريقية ورحل إلى الإسكندرية ونزل عند السلطان محمد بن قلاوون[4].

هذا وبعد الإطلاع على المصادر الإسلامية لم يرد ما يشير إلى تنصر ابن اللحياني ويبدو أن ذلك اتهام باطل، ثم جاء اتصال والي المهدية الأمير أبي بكر ابن أخ السلطان بخايمي لتعود الآمال من جديد، حيث يذكر أنه سنة (1325م) أرسل هذا الأمير رسالة إلى البابا يوحنا الثاني والعشرين يعلمه بأنه رأى السيدة العذراء في نومه لذلك قرر التنصر والاحتماء بملك نصراني فاهتم البابا بالأمر ولكنه اشترط تسليم المهدية للنصارى، وقد بادر البابا إلى الاتصال بخايمي لاتخاذ التدابير[5]، وبالمقابل

---

1. (حسين، ممدوح): المرجع السالف، ص433.
2. (سعيدان ،عمر): المرجع السالف، ص83-84.
3. (حسين، ممدوح): المرجع السالف، ص434-435.
4. (الزركشي) :المصدر السالف، ص53.
5. (حسين، ممدوح): المرجع السالف، ص436-437.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أشـارت المصادر الإســـلامية إلـى أن الوالي ثار في المهدية، مما جعل السلطان أبو يحيى أبا بكر الثاني المتوكل يجرد جيشاً ويقضـي علـى الثورة، ثم ما لبثت أرغونة أن انشـغلت بصـراعها مـع قشتالة فأخذت أخبـار البعثـات التنصـيرية إلـى إفريقيـة تتلاشـى أواخر هذا القرن[1].

1. (حسين، ممدوح): المرجع السالف، ص436-437.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الثالث

الحملات الفرنجية في شمال إفريقية حتى نهاية القرن (8هـ/14م):

1. غارات قراصنة أراغونة وصقلية على إفريقية.

2. تحرير جربة سنة (738 هـ/1337م).

3. هجوم الجنويين على طرابلس (755هـ /1354م).

4. حملة جنوى على جربة سنة (790هـ/ 1388م).

5. حملة لويس البوربوني على المهدية (793هـ/1390م).

- الإعداد للحملة.
- نزول الفرنجة المهدية والمواجهة الإسلامية لها.
- نهاية الحملة وعقد الصلح.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وبالعودة إلى أبي البقاء الذي لم يكن حكمه بأفضل من سابقيه، فعهده كان مليء بالاضطرابات وعدم الاستقرار حيث انعكف على لذاته، وأعرض عن سياسة ملكه[1]، فقامت في عهده عدة ثورات منها: ثورة قادها ابن عمه يحيى بن خالد بن أبي إسحاق، الذي جمع جموعاً من الأعراب وقصد قسنيطينة وحاصرها، فلجأ أهلها إلى التدخل لدى زعيم الأعراب في جيشه وهو منصور بن مزني لحثه على الانصراف عنه، فانفض الجنود من حول يحيى وهرب إلى تلمسان[2].

ومن الثورات أيضاً ثورة أخيه أبي بكر في قسنطينة، الذي وجه لقتاله مولاه ظافر الكبير فعسكر في باجة، وقد وافق ذلك وصول أبي يحيى زكريا بن اللحياني من الحجاز إلى طرابلس، فرأى اضطراب الأمور في إفريقية فعزم على تملكها، وقام أهل طرابلس بمبايعته، كما التف حوله الأعراب وراسله أبو بكر في قسنطينة، ثم قصد ابن اللحياني تونس[3]، حيث أرسل الشيخ أبو عبد الله محمد المزدوري مع أولاد أبي الليل فوصلوا تونس، وهناك تمكن المزدوري منها بمساعدة من الأهالي، فخلع أبو البقاء خالد نفسه ثم ما لبث أن توفّى سنة (711هـ / 1311م) [4]، ثم بويع ابن اللحياني بعد أن أخذ المزدوري البيعة عن أبي البقاء خالد[5].

أما بالنسبة لابن اللحياني فلم يتمكن من ضبط أمور البلاد وإعادة توحيدها، فعلى الرغم من أن أبا بكر . المسيطرعلى قسنطينة وبجاية- آزره في دعوته، إلا أنه لم يعترف به سلطاناً على كامل إفريقية وبقي يسيطر على القسم الغربي منها، مما أدى إلى النزاع بين هذين السلطانين، وقد حاول ابن اللحياني كسب مساندة ملكي أراغونة

---

1. (ابن الشماع): المصدر السالف، ص84. (الوزير السراج): المصدر السالف، ج1، ق4، ص1047.
2. (حسين، ممدوح): المرجع السالف، ص458.
3. (مقديش): المصدر السالف، مج1، ص563. (ابن أبي الضياف): المصدر السالف، ص169-170.
4. (ابن أبي دينار): المصدر السالف، ص134.(ابن الخطيب، لسان الدين): الإحاطة في أخبار غرناطة، تح: محمد عبد الله عنان، ط1، مكتبة الخانجي، القاهرة، (1395هـ/ 1975م)، مج3، ص373.
5. (ابن قنفذ): المصدر السالف، ص159.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وصقلية ضد خصمه بإيهامهما برغبته في التنصر كما مر سابقاً[1]، بل إن أبا بكر استضعف أمر ابن اللحياني وطمع بالوثوب على إفريقية وقصدها سنة (716هـ / 1316م)، ثم عاد قسنطينة فهابه ابن اللحياني وعجز عن النهوض إليه لكبر سنه، ثم إنه رأى أن يشرك رؤساء العرب في سلطانه بإقطاعهم إفريقية ليكونوا ردءاً من أبي بكر لكنهم عاثوا بها[2]، ويبدو أن السلاطين الحفصيين كانوا يتبعون الأسلوب في الاعتماد على الأعراب أيضاً حتى أثناء تنافسهم على الحكم، مما كان سبباً أساسياً في إضعاف السلطة الحفصية، ولما لم يتم ما أراد عزم على التخلي عن الملك، فجمع الأموال والنفائس والذخائر وباع الأشياء التي اقتناها سلفه حتى الكتب التي جمعها أبو زكريا الأكبر، ثم خرج بذخائره إلى قابس ومنها رحل إلى طرابلس[3].

وكان ابن اللحياني قد استخلف أبا الحسن بن واندوين وعندما علم هذا أن أبا بكر نهض إلى تونس، أرسل يعلم ابن اللحياني فرد عليه الأخير بالاعتذار وأنه منشغل، لكنه أطلق يده في الجيش والمال[4]، ثم وجد أبو الحسن أنه لا قبل له بأبي بكر فقام بإخراج محمد بن أبي زكريا بن اللحياني المعروف بأبي ضربة من السجن . حيث سُجن بسبب جناية ارتكبها. لمبايعته ومواجهة أبي بكر، فالتقى أبو ضربة بأبي بكر وأجبره على العودة إلى قسنطينة، ثم دخل تونس منتصف شعبان (717هـ / 1317م) وبويع فيها، لكن أبا بكر أعاد الكرة بالهجوم على تونس وتمكن هذه المرة من دخولها سنة (718هـ/ 1318م) حيث بايعه الناس فيها[5]، وعندما علم ابن اللحياني بما وقع في تونس وأن أبا بكر دخلها خرج من قابس إلى طرابلس وأقام فيها وبنى موضعاً لجلوسه يقال له الطارمة (البيت المصنوع من الخشب)، ثم سرّح جيشاً لنصرة ولده، وأرسل جيش برفقة أبي ضربة إلى القيروان فخرج أبي بكر وهزمهم[6] في موضع

---

1. (حسين، ممدوح): المرجع السالف، ص459.
2. (ابن أبي الضياف): المصدر السالف، ص 170.
3. (ابن خلدون): المصدر السالف، ج6، ص328. (ابن الشماع): المصدر السالف، ص86.
4. (ابن الشماع): المصدر السالف، ص86. (مقديش): المصدر السالف،مج1، ص564.
5. (ابن الشماع): المصدر السالف، ص86-87.
6. (الزركشي): المصدر السالف، ص53. (مقديش): المصدر السالف، مج1، ص566.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يعرف بفج النعام، وفر أبو ضربة إلى المهدية وعندما علم أبوه بذلك ركب البحر[1] إلى الإسكندرية ثم مصر ونزل عند السلطان محمد بن قلاوون حيث بقي هناك إلى أن توفّى سنة (728هـ / 1327م)، أما أبو ضربة فقد قتل في ربيع الثاني (718هـ / 1318م)[2]، وانتهى بذلك عهد الانقسام الحفصي على يد أبي بكر صاحب قسنطينة وبجاية وعادت الدولة الحفصية إلى الوحدة، إلا أنه بعد الاطلاع على المصادر الإسلامية يمكن القول أن عهد أبي بكر لم يكن بأفضل من سابقه، إذ شهد عدة أحداث و ثورات باستثناء بعض الانجازات التي حققها حيث فتح جربة سنة (738هـ / 1328م) وسيأتي ذكر ذلك لاحقاً، فقد أبعد عن العاصمة أكثر من مرة، وتجددت هذه البيعة ما يقارب سبع مرات، كما ثار العرب في عهده واتجهوا إلى تونس (742هـ / 1341م) وأقاموا سبعة أيام ثم ارتحلوا، فخرج أبو بكر في إثرهم وهزمهم[3] كذلك جرت محاولة من عبد الواحد بن أبي يحيى زكريا بن اللحياني وهو أخو أبي ضربة للاستيلاء على تونس لكن المحاولة فشلت[4].

ولكن أبرز ما حدث في عهده هو اشتباكه مع بني زيان في تلمسان الأمر الذي اضطره للاستعانة بأبي سعيد صاحب الدولة المرينية ضد بني زيان، فقد أرسل ابنه أبا زكريا وابن تافراجين واتفق الطرفان على مهاجمة بني زيان في تلمسان، وقد تعدى الأمر الاتفاق السياسي إلى المصاهرة حيث أرسل في طلب ابنة السلطان الحفصي لابنه وولي عهده أبي الحسن، ثم توفّى أبو سعيد وبويع ابنه أبو الحسن، فخرج الحسن سنة (735هـ / 1334م) من فاس إلى تلمسان لمهاجمة أعداء أبي بكر وتمكن من فتحها عنوة[5]، ثم أعاد الكرة سنة (738هـ / 1336م)، وقد بقي الوفاق المريني

---

1. يقول الزركشي أن ابن اللحياني: (أرسل إلى النصارى وطلب منهم عمارة ستة أجفان فوردت عليه .... وسافر في البحر إلى الإسكندرية). (الزركشي): المصدر السالف، ص53.
2. (ابن أبي الضياف): المصدر السالف، ص 171-172. (الوزير السراج): المصدر السالف، ج1، ق4، ص1049.
3. (ابن الشماع): المصدر السالف، ص90.
4. (الزركشي): المصدر السالف، ص56-57.
5. (الزركشي): المصدر السالف، ص55-56و59.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الحفصي بسبب هذه المصاهرة حيث كان أبو الحسن الدرع الحامي لأبي بكر والقاهر لبني زيان، ولتأكيد هذا الوفاق أوفد السلطان أبو الحسن كاتبه أبا الفضل بن عبد الله بن أبي مدين إلى تونس لخطبة ابنة السلطان أبي بكر عوضاً عن أختها التي توفيّت في غزوة طريف في الأندلس[1]، وفي رجب من سنة (747هـ / 1346م) توفي أبو بكر وكان قد عين ابنه أبو العباس ولياً لعهده، لكنه كان ببلاد الجريد فلما توفي أبو بكر استلم الحكم أبو حفص عمر بدلاً من أبيه، ولم يلتفت إلى عهد أخيه[2]، فكان ذلك بداية لفتنة نشبت بين الأخوة وفرصة للتدخل المريني في شؤون السلطة الحفصية كما سنرى، وعندما سمع خالد بن أبي بكر ببيعة أخيه هرب مع عدد من خدمه، ويبدو أنه كان مدركاً ما كان يمكن أن يفعله أخوه به إذا قبض عليه.

المهم أن العرب من بني منديل والكعوب قبضوا عليه وأحضروه إلى أخيه أبي حفص عمر الذي اعتقله[3]، أما أبو العباس أحمد صاحب قفصة فعندما بلغه الخبر بتولية أخيه أبي حفص عمر خرج طالباً تونس مع أخيه أبي فارس عبد العزيز صاحب سوسة، ومع من التف حوله من الأعراب ثم خرج أبو حفص عمر مع ابن تافراجين والتقى الجمعان، وفي خضم المعركة رجع ابن تافراجين إلى تونس في شيء شغله، إلا أنه ركب خيله متجهاً إلى السلطان المريني ومحرضاً إياه للقدوم إلى إفريقية[4].

وفي هذه الأثناء دخل أبو العباس إلى تونس لكن أبي حفص عمر تمكن من الاستيلاء على المدينة وقتل أخاه أبا العباس، وقطع أيدي أخوته خالد وعبد العزيز، فمات عبد العزيز في الحين، ثم قتل خالد أيضاً كما قتل كثير من أصحاب أبي العباس ومنهم أبو الهول بن حمزة بن عمر بن أبي الليل[5]، ولما بلغ أبو الحسن ما

---

1. (الحريري، محمد عيسى): تاريخ المغرب والأندلس في العصر المريني، ط2، دار القلم للنشر والتوزيع، الكويت، (1987م)، ص116.
2. (ابن الشماع): المصدر السالف، ص90.
3. (مقديش): المصدر السالف، مج1، ص573. (ابن أبي الضياف): المصدر السالف، ص173.
4. (ابن أبي دينار): المصدر السالف، ص136.(ابن قنفذ): المصدر السالف، ص168-169.
5. (ابن الشماع): المصدر السالف، ص93.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فعله أبو حفص في أخوته أجمع على الحراك إلى تونس حيث أرسل ابنه أبا عنان في سنة (748هـ / 1347م)، فخرج على حد تعبير المصادر الإسلامية (يجر الدنيا بما حملت)[1]، كذلك جاءته وفود أبناء أبي الهول بن حمزة ورجالات الكعوب يستصرخونه للأخذ بالثأر لأخيهم أبي الهول، وعندما علم ولاة السلطة الحفصية بقدوم أبي الحسن وفدوا عليه في وهران ومنهم "ابن مكي" صاحب قابس، وابن يملول صاحب توزر وابن العابد صاحب قفصة، وأتوه ببيعتهم رغبة ورهبة، كذلك جاءته بيعة ابن ثابت صاحب طرابلس، ويوسُف بن منصور بن مزني صاحب الزاب، وعندما وصل بجاية جاءه الأمير أبو عبد الله محمد بن أبي زكريا معلناً طاعته، ثم سار إلى قسنطينة فورد عليه بنو حمزة بن عمر ومشايخ قومهم الكعوب[2].

ثم وجه السلطان جيشاً باتجاه تونس لكنهم أدركوا أبا حفص في قابس في موضع يسمى المباركة وتمكنوا من القبض عليه، ثم قتل وأرسل رأسه إلى أبي الحسن، وبذلك تمكن أبو الحسن من مد سيطرته على كل إفريقية[3]، وبعد النظر إلى سير الأحداث بالنسبة للتدخل المريني يمكن القول: أن أبا سعيد تدخل في البلاد بناء على طلب من السلطة الحفصية، أما ابنه أبو الحسن فقد تدخل بحجة المصاهرة لفض النزاع الدامي بين الأخوة، والذي أدى بالتالي إلى السيطرة المرينية على إفريقية.

ولما استوثق أبو الحسن من ملك إفريقية أجلى العرب من الأراضي التي كانوا يملكونها وضرب على أيديهم في الأتاوات، فردوا على ذلك بشن غارات على إفريقية ونصبوا أحمد بن عثمان بن أبي دبوس، فجاء رد أبو الحسن عليهم بالخروج بجيشه للقائهم سنة (748هـ / 1347م)، واشتبك معهم بالهنية بالقرب من القيروان وانتصر عليهم، لكنهم التقوا معه في محرم من سنة (749هـ / 1348م) إلا أنه هذه المرة هُزم ودخل القيروان هارباً[4]، ولم يكن العرب هم الذين انقلبوا عليه فقط بل ابن تافراجين الذي كان يتأمل أن تفوض له الأمور في إفريقية والذي أيضاً كان وراء التدخل المريني

---

1. (ابن خلدون): المصدر السالف، ج6، ص357.
2. (ابن أبي الضياف): المصدر السالف، ص175.
3. (الزركشي) :المصدر السالف، ص68-69.
4. (ابن أبي دينار): المصدر السالف، ص138.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

في إفريقية فانضم إلى العرب الناقمة على أبي الحسن وخرج بجيش لحصار القصبة ورماها بالمنجنيق، فاضطر أبو الحسن للتوسط لدى أولاد مهلهل ليرفعوا الحصار عنه لكنهم اشترطوا عليه مبلغ من المال، وبعد رفع الحصار تمكن أبو الحسن من الوصول إلى سوسة ثم ركب البحر إلى تونس، وكان أتباعه قد تمكنوا من السيطرة عليها، حيث نزل السلطان في ربيع الثاني (749هـ / 1348م)، أما ابن تافراجين عندما سمع بقدوم أبي الحسن فر للإسكندرية كما فر أبو دبوس[1].

لكن إفريقية ثارت على أبي الحسن، وصادف ذلك قلة الطعام وارتفاع الأسعار وخاصة القمح والشعير وانتشار الوباء في هذه السنة، وقد وصف ابن تغري بردي هذا الوباء: (الذي لم يقع مثله في سالف الأعصار، فإنه كان ابتداء بأرض مصر..... ولم يكن هذا الوباء كما عهد في إقليم دون إقليم بل عم أقاليم الأرض شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً)[2]، وزاد من حدة الأوضاع تحرك أبي العباس الفضل الذي كان أبو الحسن قد وعده أن يمكنه من تملك إفريقية، ثم وصول خبر عن استبداد أبي عنان بالملك في المغرب على أثر وصول خبر بوفاة والده عندما هزم في القيروان، فعلم أبو الحسن بذلك وعزم على العودة إلى المغرب وركب البحر وتوجه إليها سنة (750هـ / 1349م)، إلا أن ريحاً هبت على أسطوله فكسرته وغرق كثيرون ولم ينجُ إلا هو مع عدد قليل من جنوده، ثم اتجه إلى تلمسان ومنها إلى فاس، فطارده ابنه إلى أن مات سنة (752هـ / 1351م)[3].

وبعد خروج أبي الحسن قام أبو العباس الفضل بن أبي يحيى وجمع ملك إفريقية حيث بويع سنة (750هـ / 1349م) وتلقب بالمتوكل، لكن أمره لم يطل إذ سيطر العرب على دولته وشاركوه في الديوان وجباية الماشية والطعام، أضف إلى ذلك أن ابن تافراجين عاد من بلاد المشرق وتوجه إلى تونس ومعه شيخ العرب عمر بن حمزة، وكان عمر هذا قد اجتمع بأخوته فاتفقوا على إدخال ابن تافراجين لتونس[4].

---

1. (الوزير السراج): المصدر السالف، ج1، ق4، ص1057.
2. (ابن تغري بردي): المصدر السالف، ج10، ص195.
3. (الزركشي): المصدر السالف، ص70ومايليها.
4. (ابن الشماع): المصدر السالف، ص100-101.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وبالفعل تم لهم ذلك سنة (751هـ / 1350م) وأطاحوا بأبي العباس الفضل واستبدلوه بأخيه أبي إسحاق إبراهيم الذي كان صغير السن، فبايعه الخاصة والعامة، ثم قام ابن تافراجين بتدبير أمور البلاد وهذا ما كان يصبو إليه[1]، وفي عهد هذا السلطان شهدت السلطة الحفصية حدثين هامين، وهما حملة جنوى على طرابلس سنة (755هـ / 1355م) وعودة الخطر المريني بقيادة أبي عنان المريني في السنة نفسها حيث أخذ بجاية، ثم عاد مرة أخرى سنة (758هـ / 1357م) إلى قسنطينة وملكها، ثم اتجه إلى تونس بأسطوله من السنة نفسها، فخرج ابن تافراجين وهزمهم ثم وصله خبر بأن أبي عنان جاء براً إلى تونس، ففر ابن تافراجين وتحصن بالمهدية وتمكنت قوات أبي عنان من دخول تونس، وعندئذ بدأت تتوافد على أبي عنان وفود ولاة مبايعين له عدا المهدية وسوسة وتوزر على حد تعبير ابن الشماع[2].

وعندما أراد أبو عنان الزحف على تونس وكان في قسنطينة خالفه جنوده من بني مرين خشية أن يصيبهم ما أصاب والده أبي الحسن، فانفضوا من حوله وتنادوا المغرب، فاضطر للعودة إلى المغرب، كذلك عاد أفراد الأسطول أيضاً، وفي سنة (766هـ / 1364م) توفّى ابن تافراجين، ثم توفّى بعده أبو إسحاق سنة (770هـ / 1369م)[3].

ثم بويع ابنه أبو البقاء خالد وهو صغير السن وقد استبد حاجبه أحمد بن إبراهيم المالقي بأمور الحكم وأظهر سوء تدبير وجور على الناس وسرقة لأموالهم، فنقموا عليه كذلك سخط عليه العرب من بني كعب، فخرجوا إلى أبي العباس صاحب قسنطينة وحرضوه على القدوم إلى تونس، وبالفعل نزل تونس ودخلها وقبض على أبي البقاء خالد ووجهه مع أخيه في البحر فغرقت سفيتهما وماتا غريقين[4]، ثم تولى أبو العباس أحمد بن أبي عبد الله محمد بن أبي يحيى أبي بكر صاحب قسنطينة وبويع

---

1. (ابن الشماع): المصدر السالف، ص100. 101. (ابن قنفذ): المصدر السالف،ص173-174.
2. (ابن الشماع): المصدر السالف، ص104.
3. (ابن قنفذ): المصدر السالف، ص175-176.
4. (ابن أبي دينار): المصدر السالف، ص142.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بتونس في 12 ربيع الثاني سنة (772هـ / 1371م) وأهم ما يميز عهده: هو محاربته للعرب وقطع دابرهم حيث انتزع منهم الإقطاعات مما أزعجهم، فقام عليه بنو كعب وأولاد أبو الليل، فأرسل لهم السلطان أخاه زكريا والتقى معهم وهزمهم [1]، كذلك قبض على محمد بن تافراجين الذي أفسد مع العرب فاعتقله بقسنطينة إلى أن مات[2]، ثم إنه أخضع طرابلس، وبلاد الجريد، وتوزر، و قفصة،وبسكرة، وبجاية[3].

كما أنه استطاع أن يتصدى للحملة الموجهة ضد المهدية سنة (793هـ /1390م) كما سيمر لاحقاً، إلا أنه في نهاية حكمه استطاع أن يعيد الأمن والهدوء والاستقرار الداخلي للبلاد، وقد توفّى أبو العباس في شعبان سنة (796هـ / 1394م)[4].

---

1. (مقديش):المصدر السالف،مج1 ص 586ومايليها.
2. (الوزير السراج): المصدر السالف، ج1، ق4، ص1065.
3. (ابن أبي الضياف): المصدر السالف، ص180.
4. (الوزير السراج): المصدر السالف، ج1، ق4، ص1070.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

غارات قراصنة أراغونة وصقلية على إفريقية:

إن أراغونة التي أرسلت حملات عسكرية لإخضاع شمال إفريقية كان لها محاولات من نوع آخر وهي القرصنة البحرية التي كانت أحد أوجه العمل العسكري الموجه ضد شمال إفريقية، والتي هدفت من خلالها إثارة الرعب والخوف وعدم الاستقرار في شمال إفريقية، مما يسمح لها بالتدخل في الشؤون الداخلية لها[1]، والغريب بالأمر وجود معاهدة عقدت بين أراغونة والدولة الحفصية سنة (723هـ/ 1323م) تعد القرصنة وسيلة حربية مشروعة عند المسلمين أوالمسيحيين، لذلك نشط قراصنة أراغونة منذ بداية الربع الأخير من القرن الثالث عشر الذي واكب فوضى في شمال إفريقية، وأصبحت جربة مركزاً لهؤلاء القراصنة منذ احتلال "دي لوريا" لها، وانضمام صقلية للتاج الأراغوني، وقد أصبح قراصنتها أيضاً عوناً لقراصنة أراغونة .

وهؤلاء القراصنة لم يكونوا يتعرضون للسفن الإسلامية فقط، بل إنهم يهاجمون موانئ شمال إفريقية، مما أثّر على تجارتها وبالتالي قطعوا الشريان الرئيسي لاقتصادها، والغريب أن هؤلاء القراصنة كانوا يقومون بنشاطهم العدواني في وقت معاهدات السلام بين صقلية وأراغونة من جهة والسلطة الحفصية من جهة أخرى، وهذا يدل على عدم جدية ملوك أراغونة في الالتزام بما جاء فيها، خاصة أنها تهتم بمعالجة وضع حد لاعتداءات القراصنة بعد كثرة الشكاوي من هذه الاعتداءات التي تضمنتها رسائل بني حفص إلى ملوك أراغونة[2]، فعلى سبيل المثال محاولة خايمي الثاني إقناع أبي البقاء خالد بعقد صلح في السنوات (1309م . 1311م) يوفر الأمن بالبحر ويوقف غارات القرصنة ويسمح بنمو التبادل التجاري[3] .

ومن الغريب أيضاً أن ملوك أراغونة وصقلية كانوا لا يصغون لشكاوي السلاطين الحفصين، وبالمقابل إذا بدر عن مسلمي شمال إفريقية أي رد فعل بأي نوع من الحرب الوقائية ضد نشاطهم، كان هؤلاء يبادرون إلى الاحتجاج لدى السلطان الحفصي ويتهمونه بنقض المعاهدات المعقودة بين الطرفين، ويتضح ذلك في رسالة

---

1. (سعيدان، عمر): المرجع السالف، ص97.
2. (حسين، ممدوح): المرجع السالف، ص485-486.
3. (سعيدان، عمر): المرجع السالف، ص92.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أرسلها أبو عصيدة إلى خايمي سنة (707هـ / 1307م) عن هذا الموضوع[1]، كذلك يظهر من رعايا ملك أراغونة قراصنة قطلان، الذين كانوا أيضاً يمارسون نشاطهم العدواني ضد شمال إفريقية حتى في زمن السلم المعقود بين الطرفين، كما أنهم يجعلون من صقلية التي كانت تابعة لأراغونة مركزاً لعملياتهم فيعمرون سفنهم ثم يخرجون إلى شمال إفريقية، وكانوا كثيري العدد وقد عرف منهم رمند سلبير.

ولشدة ضررهم قامت السلطة الحفصية بمحاولات للحد من نشاطهم، فكلفت صاحب البحر بالعمل على مواجهتهم بعد أن استفحل خطرهم، وقد ورد في رسالة أبي عصيدة لخايمي الثاني مؤرخة سنة (706هـ / 1306م) أنه في شهر شوال سنة (702هـ / 1302م) هاجمت ثلاث قطع بحرية للقراصنة القطلانيين على مرسى تونس فأخذوا طريدة[2] لأهل بيزة محملة بالصوف، وشيطي[3] للجنويين محملة بالسلع لتجارمسلمين من بونة .

وفي الشهر نفسه هاجمت سفينة أخرى لأولئك القراصنة على ميناء بنزرت وأخذوا قطعة بحرية للمسلمين محملة بالأقمشة والبرانس آتية من بجاية، وسفينة صغيرة أخرى لأهل بونة، وفي شهر ذي الحجة هاجم قرصان قطلاني يسمى الميرالية على منطقة الحمامات، واحتل بلداً اسمه منزل زيد فقتل من أهلها وأسر وسبى وحرق، كذلك في محرم من سنة (703هـ / 1303م) هاجم أيضاً موضعاً يسمى "إيزو" ثم توجه إلى قصر زياد وقتل أهله، وفي شوال هجم قرصان يدعى "بير الرباطة" على بنزرت وأخذ سفينة محملة بالعود (الطيب) وسلع وركاب وباع الجميع في صقلية و قوصرة[4].

ولم تتوقف سلسلة هجمات القراصنة بل إنه في ربيع الأول سنة (704هـ / 1304م) وصل قرصان يدعى "جاقمة د. بروصة" من برشلونة وأخذ طريدة للمسلمين

---

1. (حسين، ممدوح): المرجع السالف، ص487.
2. (الطريدة): مركب صغير تستخدم في مطاردة العدو لسرعتها. (طرخان، إبراهيم علي): المرجع السالف، ص70.
3. (الشيطي): نوع من المراكب الحربية مهمته كشف العدو. (حسين، ممدوح): المرجع السالف، ص489.
4. (حسين، ممدوح): المرجع السالف، ص 489-490.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بالقرب من طرابلس وأرسل جميع ما فيها إلى صقلية حيث بِيعت هناك، كما أغار قرصان خرج من صقلية يدعى "القسيس المجزع" على بونة وأخذ من مرساها سفينتين محملتين بالعود، كذلك ما فعله رسول قطلونية التابع لملك أراغونة وهو "جيسبرت القصطلوني" الذي خرج في مهمة رسمية إلى صقلية ومر بقوصرة، ومن قوصرة اتجه إلى طرابلس وهاجم مركباً للمسلمين يحتوي سلعاً باعها في قوصرة.

كما أنه أطلق سراح رجل يدعى "عبد الله الجزي" الذي نقل أخباراً عن مراكب تعد في أراغونة لممارسة القرصنة ضد شمال إفريقية، الأمر الذي يؤكد ارتباط نشاط القرصنة بسياسة ملوك أراغونة تجاه شمال إفريقيةوفي سنة (705 هـ / 1305م) يذكر الرائس محمد بن زكريا البجائي أنه بينما كان مبحراً بالقرب من بنزرت خرج عليه قراصنة من بلنسية وهاجموه وأخذوا جميع ما كان في السفينة، كذلك هاجموا قلعة أبي خليفة بالقرب من بنزرت، وفي جمادى الأولى من نفس العام اكترى تجار من أهل تونس جفناً .وهو المركب في البحر- لشخص قطلاني يدعى "جيم ملقدر" فيه طعام وعطور لنقلها إلى قابس فهوجم الجفن في بحر قبودية وتم الاستيلاء عليه .

وفي أوائل صفر من سنة (706هـ / 1306م) هاجم غربان لقراصنة بلنسية ميناء القصير وأخذوا ثمانية قوارب كانت راسية فيها[1]، فأرسل أبو عصيدة إلى خايمي الثاني ملك أراغونة رسالة مؤرخة في ذي القعدة سنة (707هـ / 1308م) يشتكي فيها من كثرة اعتداءات قراصنة أراغونة على بلاده، لكن خايمي صم أذنيه عن شكاوي السلطان وحاول التنصل من فعلة قراصنته، مما يدل على رضاه وتشجيعه لهذه الأعمال، وقد استمرت القرصنة إلى عهد السلطان ابن اللحياني الذي أرسل رسالة إلى خايمي سنة (712هـ /1313م) يشتكي فيها من نشاط القرصنة في جربة التي يحكمها الأرغوني لجير ويتهدد بغزو جربة، لكن "خايمي" الذي كان مطلعاً على الأوضاع في إفريقية واضطراب الأمر فيها ومدركاً أن ابن اللحياني غير قادر على تنفيذ وعيده، لم يغير سياسته بعدم الاكتراث وهذا دليل آخر على رضاه وتشجيعه لهذه الأعمال[2].

---

1. (حسين، ممدوح): المرجع السالف، ص491-492.
2. (حسين، ممدوح): المرجع السالف، ص493-495.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

على أن "ابن اللحياني" الذي كان قد وعد أراغونة بالتنصر كما مرسابقاً عاشت على هذا الأمل لعلها من خلال ذلك تتدخل في شمال إفريقية، إلا أن فرار ابن اللحياني إلى الإسكندرية قطع هذا الأمل، مما جعلها تفكر بإنهاء الأمر بالقوة، فقام خايمي سنة (717هـ /1318م) بوضع خطة لاحتلال تونس واتفق مع فريدريك الثاني ملك صقلية على تقسيم إفريقية، وبارك البابا هذا الاتفاق والمخطط الأرغوني، ووجه نداء إلى نابلي وجنوى للمساعدة في تنفيذ هذه الخطة، لكن القدر حال دون ذلك ومنعهم حزم أبو بكر صاحب بجاية من تنفيذ المخطط ووضع حداً للسياسة الأرغونية، حيث استولى السلطان على تونس ووحد السلطة الحفصية بفرعيها في بجاية وتونس[1].

وبعد وفاة خايمي الثاني خلفه ابنه ألفونسو الرابع الذي سار على سياسة أبيه تجاه شمال إفريقية، حيث اتصل بأبي ضربة للاستعانة به وتشجيعه على غزو تونس لكنه لم يوفق، فعمد"ألفونسو" إلى تعيين مستشار له رئيساً للحرس المسيحي في تونس لدى السلطان الحفصي ووضع خطة للتدخل في شمال إفريقية، حيث أوعز إلى أربعة أجفان بالسطو على ميناء تونس حتى يجبر السلطان على مطالبة أراغونة بوقف القرصنة، مما يسمح له بالتدخل في السلطة الحفصية لكن هذه الخطة فشلت لمعارضة أمير البحر الأرغوني[2] .

---

1. (سعيدان، عمر): المرجع السالف، ص87-88.
2. (سعيدان، عمر): المرجع السالف، ص88-89.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تحرير جربة سنة (738 هـ/1337م):

مر معنا كيف تم احتلال جربة سنة (688هـ / 1289م) من قبل "الأرغونيين" الذين بنوا "حصن القشتيل" فيها، فبقيت شوكة في خاصرة السلطة الحفصية حتى تم تحريرها سنة (738 هـ/1337م)، وقد جرت محاولة لاستردادها في جمادى الأولى سنة (706هـ / 1306م) حيث خرج "أبو يحيى زكريا بن أحمد اللحياني" على رأس أسطول لتحريرها، وحاصر "القشتيل" لمدة شهرين[1]، لكن نجدة وصلت من "صقلية" حالت دون ذلك[2]، لكن الأمر لم يستمر على ذلك فأوضاع "أراغونة" تغيرت، حيث دخلت في معترك السياسة إلى جانب "قشتالة" لمواجهة الخطر "المريني" في الأندلس، لكنها ما لبثت أن دخلت في اشتباك مرير مع "قشتالة" نفسها، فالظروف التي عاشتها أراغونة في تلك الآونة أدت إلى انشغال أراغونة عما يخص شمال إفريقية[3]، ووفر بالتالي الجو المناسب لاسترداد "جربة" سنة (738 هـ/1337م) على يد"مخلوف بن الكماد" الذي حاصر حصن القشتيل واستخلصه من أيدي الأرغونيين[4] بمساعدة شعبية، فالأهالي الذين سئموا من تجاوزات بعض الولاة الجشعين رفعوا شكوى إلى "فريدريك" ملك صقلية لكن دون جدوى، لأن الأخير كان مشغولاً بشؤون إيطالية، ولم يتمكن من إرسال إلا أسطولاً صغيراً من خمس سفن حربية وبعض سفن نقل، وفي عرض السواحل الإفريقية هجم عليه أسطول أعظم منه تحت تصرف ملك نابلي روبار وتغلب عليه، وبعد دفاع مستميت سقط القشتيل أمام الهجمات التي شنها الرؤساء المحليون مع "مخلوف بن الكماد"[5]، وعندما علم الأرغونيون والصقليون في الجزر القريبة بفتح جربة غادروا مواقعهم فقل خطرهم على شمال إفريقية، خاصةً بعد أن فقدت أراغونة قاعدتها في جربة[6]، ومن خلال ما سبق يمكن القول إن تحرير "جربة" كان بسبب مساعدة داخلية لأسطول "مخلوف"، مما أوقع الحامية الفرنجية بين نارين

---

1. (الزركشي) :المصدر السالف، ص45. (مقديش): المصدر السالف، مج1، ص561.
2. (أبو الفداء): المصدر السالف، ج4، ص55.
3. (حسين، ممدوح): المرجع السالف، ص496.
4. (الزركشي): المصدر السالف، ص61.
5. (برنشفيك، روبار): المرجع السالف، ص189.
6. (حسين، ممدوح): المرجع السالف، ص497.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الأمر الذي سهل السيطرة عليها، وهذه الثورة الشعبية التي اندلعت داخلها لربما هي التي اتصلت "بالحفصيين" للقدوم إليها، وخاصة عندما لم تجد استجابة لشكواها من "فريدريك" ملك "صقلية" ضد ولاتها الجشعين.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هجوم الجنويين على طرابلس (755هـ /1354م):

استولى زكريا بن أحمد بن محمد اللحياني على طرابلس (711هـ /1311م)، ثم غادر البلاد إلى مصر واستخلف على طرابلس صهره محمد بن أبي عمران، فقام بأمرها لكنه أساء السيرة، فتولى حكم طرابلس أحمد بن عربي ثم مات، فقام بدلاً عنه محمد بن كعبور فقتله سعيد بن طاهر المزوغي الذي تولى الحكم في طرابلس، وقد استمر حكمه اثنتي عشر سنة ثم مات [1] ثم قام ثابت بن عمار من قبائل هوارة لكنه قتل، وتولى محمد بن ثابت بن عمار ثم تولى ابنه ثابت بن محمد[2]، الذي شهد عهده هجوم الجنويين على طرابلس في 10 ربيع الآخر (755هـ / 1354م)، فهناك عدة دوافع تحعل جنوى تختار طرابلس لهذا الهجوم منها:

1ـ كون طرابلس ثغراً هاماً منذ عهود الدول القديمة، وهذا ما جعل الفرنجة يفكرون باحتلالها[3]، كما أن سواحلها الشمالية تقابل أوربا الجنوبية وكونها ممراً ومركز للتجارة السودانية[4].

2. إعلان ثابت بن محمد نفسه أميراً على طرابلس مستقلاً عن الحفصيين، مما أعطى انطباعاً قوياً لدى الجنويين بأن السلطان الحفصي لن يتدخل في طرابلس لإنقاذها إذا هاجموها، فاستقلالها عن الدولة الحفصية حرمها من النصير، وجعلها تعتمد على إمكانيتها الذاتية في الدفاع نفسها[5]، فهي بذلك قطعت آخر أمل في الحصول على المساعدة الحفصية، التي كان بإمكانها أن تهدد جنوى بسبب ارتباطهما بمصالح حيوية، بدليل حرصها على تجديد المعاهدات التجارية المعقودة بينها وبين الحفصيين، أما وقد استقلت فإنه لم يعد بإمكان السلطان الحفصي أن يهدد جنوى التي يمكن أن تتعلل بأنها هاجمت بلداً خارجاً عن ممتلكاته[6].

---

1. (ابن خلدون، عبد الرحمن): ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ط1، دار الفكر، بيروت، (1989م)، ج6، ص615.
2. (النائب الأنصاري): المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب ، ص164-166.
3. (ابن خلدون): المصدر السالف، ج6، ص368.
4. (النائب الأنصاري): المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب ، ص166.
5. (الزايدي، محمد أنويجي غميض): المرجع السالف، ص144.
6. (حسين، ممدوح): المرجع السالف، ص503-504.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

3ـ وبسبب قرب الساحل الإيطالي من طرابلس، كان الجنويون كثيري التردد على طرابلس للتجارة، فهي أكبر سوق لتجارتهم، لذلك كانوا أكثرالناس علماً بأحوالها ومواطن الضعف في تحصيناتها، فأضمروا في أنفسهم غزوها[1].

4ـ أضف إلى ذلك أن جنوى كانت ترغب في استعادة مكانتها كقوة بحرية أمام منافساتها من القوى الفرنجية الأخرى، كما أنها ترغب في احتكار تجارة طرابلس على أمل دفع عجلة اقتصادها التي كادت أن تتوقف، نتيجة للأضرار التي لحقت بها بسبب كارثة الموت الأسود وهزيمتها أمام غريمتها البندقية قبل ذلك في معركة في القسطنطينية، مما ألحق بتجارتها في الشرق ضرراً بالغاً فأرادت أن تعوض عن ذلك في الغرب[2].

5. موقعها الجغرافي الذي جعلها تتمتع بأهمية كبيرة من الناحية التجارية فميناءها يربط بين الشرق والغرب وجنوب البحر المتوسط وشماله، كذلك كونها نقطة اتصال هامة بين القوافل التي تأتي من بلاد السودان ومنها إلى أوربا، فهي معبرٌ رئيسيٌ للسلع و المنتجات التي تأتي عبر الصحراء لتتدفق على أوربا، كما أن قربها من المدن التجارية الإيطالية زاد من نشاطها التجاري [3].

وبعد الاطلاع على المصادر الإسلامية نجد إشارات عابرة تتحدث عن الهجوم الجنوي على طرابلس، باستثناء "ابن خلدون" و"العسقلاني" في كتابه الدرر الكامنة الذي انفرد في وصف ذلك الهجوم[4]، كما يلاحظ وجود اختلاف بسيط حول تاريخ الهجوم، فابن كثير[5] مثلاً جعل سنة (756هـ / 1355م) وحدد جمادى الأولى

---

1. (فيرو، شارل): الحوليات الليبية منذ الفتح العربي حتى الغزو الإيطالي، تح: محمد عبد الكريم الوافي، ط2، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس، (1389هـ/1983م)، ص59.
2. (الزايدي، محمد أنويجي غميض): المرجع السالف، ص144.
3. (الزايدي، محمد أنويجي غميض): المرجع السالف، ص131.
4. (العسقلاني، شهاب الدين أحمد بن حجر): الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تح: محمد سيد جاد الحق، ط2، دار الكتب الحديثة، القاهرة، (1966م)، ج2، ص64.
5. (ابن كثير): المصدر السالف، ج14، ص252.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كشهر لهذا الهجوم، واتفق معه الذهبي[1]، وابن أبي دينار[2]، والوزير السراج[3]، وابن الشماع [4]، أما ابن خلدون فيقول: (فاطلعوا على عوراتها وائتمروا في غزوها و اتعدوا لمرساها فوافوه سنة خمس وخمسين)[5] ، واتفق معه العسقلاني[6]، والزركشي[7]، والنائب الأنصاري[8]، المهم أن الجنويين ساروا بقيادة الأميرال الجنوي فيليب دوريا ورسى الأسطول أمام مينائها[9]، وتجمع المصادر الإسلامية أن جنوى اتبعت في هجومها أسلوب الخديعة والغدر، فقد تذرعوا بأنهم تجار جاؤوا للتجارة ويروي العسقلاني تفاصيل هذه الخديعة: (فاحتال عليه الفرنج بأن قدم منهم طائفة في مراكب في صور التجار وهم مقاتلة .....واطلعوا على سرهم وأرسلوا من عندهم ترجماناً شيخاً مجرباً، فرأى في البلد غلاء لقلة الحب عندهم إذ ذاك، فتمت له الحيلة وأشار على ثابت أن يجمع الأسلحة التي مع جند البلد ويجعلها عنده في القلعة، ليطمئن إليه تجار الفرنج وينزلوا من مراكبهم ويبيعوا ما معهم من البضائع)[10].

من خلال نص العسقلاني يمكن القول إن وظيفة الترجمان هي نقل أخبار طرابلس إلى الجنويين وإقناع ثابت بنزع السلاح من الأهالي، ولم يكتف الجنويون بذلك بل إنهم أغروا ثابت بن محمد بأن يعطوه خمس ثمن البضائع التي تباع، وفعلاً انطلت الحيلة على ثابت وقرر جمع الأسلحة من جنوده[11]، وانتشر الجنويون في طرابلس وأخذوا

---

1. (الذهبي، الحافظ): العبر في أخبار من عبر، تح: أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ت)، ج4، ص167.
2. (ابن أبي دينار): المصدر السالف، ص140-141.
3. (الوزير السراج): المصدر السالف، ج1، ق4، ص1061.
4. (ابن الشماع): المصدر السالف، ص102-103.
5. (ابن خلدون): المصدر السالف، ج6، ص368.
6. (العسقلاني): المصدر السالف، ج2، ص64.
7. (الزركشي) :المصدر السالف، ص80.
8. (النائب الأنصاري) : المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب ، ص167
9. (حسن، محمد):المرجع السالف، ص692.
10. (العسقلاني): المصدر السالف، ج2، ص64.
11. تاريخنا الكتاب الرابع (ليبيا): دار التراث، (د.م)، (1977م)، ص192.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يعرضون ما معهم من بضائع على أنهم تجار وكان معهم تين ففرح أهل البلد بها وبادروا إلى شرائها منهم [1]، وفي ليلة 10 من ربيع الأول (755هـ / 1354م) وضعوا السلالم وصعدوا أسوارها[2]، ويقول العسقلاني : (تسور الفرنج السور ليلاً وهجموا المدينة دفعة واحدة سَحَرَاً وأهلها غافلون، فقتلوا منهم كيف شاءوا وحاصروا القلعة)[3]، فما كان من أهل طرابلس إلا النجاة بأنفسهم والفرار[4]، على أن هذا الأسلوب الذي اتبعه الجنويون كان الغرض منه تفادي ردة فعل السكان بالدفاع عن المدينة فكانوا يتوجسون خيفة من انتفاض الشعب عليهم وحملهم السلاح، لذلك فنزع السلاح يعني حرمان أهالي طرابلس من وسيلة الدفاع عن أنفسهم[5].

أما بالنسبة لوالي طرابلس ثابت بن محمد فقد تدلى بعماته من القصر[6]، وهرب قاصداً عرب الجوار من بني ذياب، لكنهم قبضوا عليه وقتلوه مع أخيه لدم كان قد أصابه منهم[7]، وقد تمكن بالمقابل أخوين له من الفرار إلى الإسكندرية[8]، ولكن ماهو السبب الذي دفع ثابت بن محمد إلى الفرارفي ظل هذه الظروف التي تعيشها البلاد ؟ يبدو أن الزايدي في أطروحته قدم تفسيراً لذلك: فالأوضاع المتفاقمة جعلت ثابت بن محمد بين فكي كماشة الخطر الجنوي من جهة، واحتمال انتفاض أهالي طرابلس الذين انتزع السلاح منهم من جهة أخرى، فلم يكن أمامه خيار إلا النجاة بنفسه، لكنه لم يعلم أن قراره كان طريقاً لحتفه على يد قبيلة بني ذياب[9].

---

1. (العسقلاني): المصدر السالف، ج2، ص64.
2. (الزركشي): المصدر السالف، ص80. (الوزير السراج): المصدر السالف، ج1، ق4، ص1062.
3. (العسقلاني): المصدر السالف، ج2، ص64.
4. (ابن خلدون): المصدر السالف، ج6، ص368.
5. (الزايدي، محمد أنويجي غميض): المرجع السالف، ص146و154.
6. (العسقلاني): المصدر السالف، ج2،ص64.
7. (الزركشي): المصدر السالف، ص80. (النائب الأنصاري): المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب ، ص167.
8. (ابن خلدون): المصدر السالف، ج6، ص369.
9. (الزايدي، محمد أنويجي غميض): المرجع السالف، ص154.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما الجنوية فقد استباحوا طرابلس للنهب والسلب فنهبوا الأموال وأسروا الرجال وسبوا النساء ونقلوا ما فيها إلى جنوى[1]، وبقي الأمر كذلك حتى دخل معهم أحمد بن مكي صاح قابس في مفاوضات لإجلائهم عنها، فاشترطوا عليه خمسين ألف من الذهب، فأرسل ابن مكي إلى أبي عنان المريني ليرسل له المبلغ المطلوب، وريثما يصل المال أخرج ابن مكي ماله وجمع الباقي من أهالي قابس و الحامة وبلاد الجريد ودفعه للجنويين، فسلموه البلد وعادوا أدراجهم في 12 شعبان (755هـ / 1354م)[2]، ثم أرسل أبو عنان بالمال لابن مكي مع أبي عبد الله بن مرزوق وأبي عبد لله محمد بن سيد الناس وطلب منهم أن يردوا الأموال إلى أصحابها، لكنهم امتنعوا إلا قليلاً منهم، ثم وضع المال لدى "ابن مكي" الذي قام بإصلاح ما تهدم من سورها ولم يزل والياً عليها حتى توفّى سنة (766هـ/1364م)، فتولى مكانه ابنه "عبد الرحمن بن مكي".

ولكن ما هو السبب في قيام أهالي الجريد وقابس و الحامة وابن مكي بتقديم المال لإجلاء الجنويين من طرابلس؟ لعل السبب ما ذكره ابن خلدون بقوله : (تزلفاً إلى الله باستخلاص الثغر من يد الكفر)[3]، كما أن موقف ابن مكي يدل على شهامة، ونخوة، وحمية إسلامية نحو إخوته في العقيدة، أما بالنسبة لمدة الإقامة فهناك اختلاف في المصادر الإسلامية حيث يذكر ابن كثير أن مدة الإقامة كانت خمسة عشر يوماً[5] وهذا غير معقول، إلا أن كل من ابن أبي دينار[6]، وابن الشماع[7]، و الوزير السراج[8] يذكرون أن مدة الإقامة خمسة أشهر، وينفرد الزركشي[6] في رواية أن الفرنج

---

1. (ستودار، لوثروب: حاضر العالم الإسلامي): نقله إلى العربية: عجاج بويهص، ط3، دار الفكر (د.م)، (1391هـ/1971م)، مج2، ص137.
2. (الزركشي): المصدر السالف، ص80. (الوزير السراج): المصدر السالف، ج1، ق4، ص1062.
3. (ابن خلدون): المصدر السالف، ج6، ص369وص616.
4. (ابن كثير): المصدر السالف، ج14، ص252.
5. (ابن أبي دينار): المصدر السالف، ص140-141.
6. (ابن الشماع): المصدر السالف، ص102.
7. (الوزير السراج): المصدر السالف، ج1، ق4، ص1061.
8. (الزركشي): المصدر السالف، ص80.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بقوا في طرابلس أربعة أشهر، أماالعسقلاني فلم يذكر مدة إقامتهم وإنما ذكر أن الفرنج بقوا فيها حتى اشتراها منهم صاحب جربة[1]، وهذا لم يرد ذكره في المصادر الإسلامية، و هنا لابد من ذكر رواية أوردها "ليون الأفريقي" في أحداث الهجوم على طرابلس بأنه (كتب هلال بن ميمون خليفة الملك أبي عنان بتونس رسالة إلى عاهله يخبره فيها بما حدث، وأنه صالح الجنويين على أن يؤدي إليهم خمسين ألف مثقال)[2] يذكر أن "هلال بن ميمون" هو الذي قدم المال إلى الجنوية، لكن الأصح هو أن ابن مكي طلب من أبي عنان عن طريق نائبه "هلال بن ميمون" المال المطلوب، ثم يذكر أنه تبين للجنويين أن نصف المثاقيل كانت مغشوشة وهي رواية لم نجد لها مثيلاً في المصادر الإسلامية. وقد عاود الفرنجة هجماتهم على شمال إفريقية ومن أهمها هجومهم على الحمامات سنة (760هـ / 1359م)[3].

---

1. (العسقلاني): المصدر السالف، ج2، ص64.
2. (الوزان): المصدر السالف، ج2، ص54.
3. (الوزير السراج): المصدر السالف، ج1، ق4، ص1062.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

حملة جنوى على جربة سنة (790هـ/ 1388م):

تميز الربع الأخير من القرن الثالث عشر وطوال القرن الرابع عشر بأعمال القرصنة البحرية، والتي حمل لواءها القراصنة الأراغونيون، إلا أنه وبقيام رد فعل إسلامي على ذلك من خلا ل نشاط غزاة البحر المسلمين في تلك الآونة نوّع من حركات القرصنة والقمع على السواحل الإفريقية، حيث هاجمت قطع بحرية أوربية السواحل الإفريقية في عقر دارها، مما أدى إلى قيام حركة من المقاومة الإفريقية[1]، وقد تجلت بوضوح في مدينة بجاية ويقول ابن خلدون في هذا الصدد: (فتنبهت عزائم كثيرة من المسلمين بسواحل إفريقية لغزو بلادهم، وشرع في ذلك أهل بجاية منذ ثلاثين سنة فيجتمع النفير والطائفة من غزاة البحر، يضعون الأسطول ويتخيرون له أبطال الرجال ، ثم يركبونه إلى سواحل الفرنجة و جزائرهم على حين غفلة فيتخطفون منها ما قدروا عليه ، ويصادمون ما يلقون من أساطيل الكفرة فيظفرون بها غالباً ويعودون بالغنائم والسبي والأسرى ..... فشق ذلك على أمم الفرنجة وملأ قلوبهم ذلاً وحسرة وعجزوا عن الثأر به وصرخوا على البعد بالشكوى إلى السلطان بإفريقية فصم عن سماعها وتطارحوا سهمهم ونكلهم فيما بينهم وتدعوا النزول المسلمين والأخذ بالثأر منهم)[2]، فبجاية كانت من أكبر قواعد السفن الإفريقية المجاهدة في البحر ضد عدوان الدول الأوربية على الشواطئ الإفريقية، وخاصة من أراغونة وقطلونية وصقلية والجمهوريات الإيطالية، المهم أن أبا العباس اهتم بأسطول بجاية تحديداً وعين القائد البحري أبا عبد الله محمد بن أبي مهدي قائداً للبحر[3].

وقد استفاد أبو العباس من نشاط هؤلاء نظراً لما يقدمونه من خدمات، إذ أزاحوا عن كاهله عبء الدفاع عن السواحل الإفريقية بالإضافة لم يدفعونه لخزينة الدولة من خمس الغنائم، ولذلك قد تصامم عن شكاوى النصارى من اعتداءات هؤلاء كما تصامم النصارى سابقاً وخاصة ملوك أراغونة عن شكاوى السلاطين الحفصيين من اعتداء

---

1. (حسن، محمد): المرجع السالف، ص693.
2. (ابن خلدون): المصدر السالف، ج6، ص399-400.
3. (مؤنس، حسين): المرجع السالف، مج2، ج2، ص254.
4. (حسين، ممدوح): المرجع السالف، ص518-519.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

القراصنة النصارى[1]، إلا أن ما قام به المغاربة من أعمال الدفاع والجهاد لم يرض الجمهوريات الإيطالية التي اعتمدت في حياتها على التجارة ولم تستطع السكوت على تلك الاعتداءات[2]، فأخذت جنوى تفكر في وضع حد لنشاط القرصنة البحرية المغربية، والتي باتت تهدد مصالحها، إذ أنها حاولت قبل التفكير بإرسال حملة عسكرية حل المشكلة عن طريق المفاوضات، فأبرمت جنوى معاهدة صلح مع محمد بن أبي هلال ممثل أبي العباس سنة (790هـ/ 1388م) بواسطة سفيرهم لوكافيلو[3]، وقد تضمنت بنودها إلى جانب الأمور التجارية عقد السلام بين الجانبين.

ولكن هذه المعاهدة وإن كفت غزاة البحر المسلمين عن أراضي جنوى وسفنها إلى حد كبير، إلا أنها لم توقف نشاطهم ضد الدول الأخرى، بل زاد خطرهم على حركة التجارة في غرب البحر المتوسط، الأمر الذي جعل جنوى صاحب أكبر نصيب في تجارة تلك المنطقة تشعر بأن هذا الخطر لازال يهدد مصالحها، وحفزها بالتالي على وقف ذلك النشاط بالقوة العسكرية، لكن الظروف التي كانت تمر بها جنوى في تلك الآونة حال دون قيامها بعمل عسكري ضد إفريقية لوقف هذا التهديد بسب الصراع بينها وبين البندقية الذي تجدد في سنة (780هـ /1378م) وكانت هزيمتها أمام البندقية بمعركة كيوجا سنة (782هـ/1380م)، إذ فقدت معظم أسطولها الأمر الذي جعل تلك المعركة نقطة تحول في تاريخ جنوى والقمة والازدهار إلى بداية الضعف والانحلال، كذلك تفجر المشاكل الداخلية فيها بسبب النزاع بين العائلات النبيلة فيها وكراهية الشعب للنبلاء، والانشقاق الديني بين بابا روما وبابا أفينون، إذ وجد كل منهما من يناصره بالإضافة إلى نزاعها مع أراغونة كذلك الخطر الخارجي الذي هدد حدودها الشمالية من قبل دوق ميلان والذي سيطر على إقليم لومبارديا وأخذ يتطلع إلى جنوى بعين طامعة[4] .

---

1. (عاشور، سعيد عبد الفتاح): الحركة الصليبية، ج2، ص1242. (عاشور، سعيد عبد الفتاح): أضواء جديدة على الحركة الصليبية، ص68-69.
2. (برنشفيك، روبار): المرجع السالف، ص229.
3. (حسين، ممدوح): المرجع السالف، ص520-521.
4. (برنشفيك، روبار): المرجع السالف، ص229-230.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وعندما تهيأت الظروف المناسبة في أوائل سنة (790هـ/ 1388م) تداعت أكبر الدول البحرية الإيطالية للقيام بعمل مشترك ضد "جربة" فاستجابت "البندقية" لطلب "جنوى"، وسلمت إليهم خمس سفن حربية من سفنها ثم تملصت بعد ذلك، ولم تكتف بذلك بل إنها أوفدت إلى تونس على انفراد سفيراً مكلفاً بافتداء رعاياها من الأسرى، ويبدو أن البندقية فضلت الصداقة الحفصية على الاشتراك بالحملة، أما "بيزة" فقد استجابت لطلب "جنوى" وأرسلت خمس سفن حربية بقيادة "فرانسوا أورلاندي".

أما "صقلية" التي كانت تجلس على عرشها الملكة الشابة "ماري" أخت "فريدريك "البسيط، وحفيدة "بيدرو الرابع" ملك أراغونة فإنها لم تشارك رسمياً في الحملة، ولكن أحد حكامها المدعو"مانفريد دي كلارمون" خصص لتلك الحملة بصورة شخصية ثلاث سفن حربية وتولى قيادتها[1]، أما البابا "أوربان السادس" فقد أيد وشجع هذه الفكرة فدعا أنصاره لمساندتها، الأمر الذي رفع هذه الحملة إلى مستوى الحملات الفرنجية، وهكذا تجمع الأسطول المشترك الذي أسهمت فيه صقلية بثلاث سفن، وبيزة بخمس سفن، وجنوى باثنتي عشر سفينة، وتم اختيار"جربة " التي كانت تابعة للسلطان أبي العباس هدفاً لهذه الحملة[2].

وفي سنة (790هـ/ 1388م) تم الاستيلاء على الجزيرة وانتزاعها من أهلها[3]، بعد أن بوغتت وأُ عمل السيف بالمسلمين فيها، ثم سُلبت ونُهبتْ ونقلت غنائمها وأسراها إلى السفن، التي امتلأت ثم أُ رسلت إلى مواطن الفرنجة[4]، ثم ضمت الجزيرة إلى صقلية حيث تنازلت جنوى لصقلية عن الجزيرة مقابل دفع مبلغ ستة وثلاثين ألف فلورين ذهب، وعين مانفريد دي كلارمون حاكماً لها[5]،

---

1. (برنشفيك، روبار): المرجع السالف، ص229-230.
2. (عاشور، سعيد عبد الفتاح): الحركة الصليبية، ج2، ص1240. (عاشور، سعيد عبد الفتاح): أضواء جديدة على الحركة الصليبية، ص67.
3. (العسقلاني، شهاب الدين أحمد بن حجر): أنباء العمر بأنباء العمر، تح: حسن حبشي، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، (1389هـ /1969م)، ج1، ص351.
4. (حسين، ممدوح): المرجع السالف، ص523.
5. (برنشفيك، روبار): المرجع السالف، ص229-230.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد استفادت جنوى من ذلك بإقامة دولة صديقة لها في الجزيرة بحيث تحافظ الحكومة على مصالحها دون أن تتحمل أي عبء في الدفاع عنها، وكل ما قامت به السلطة الحفصية للرد على هذا الهجوم نهب جزيرة غودش[1].

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

1. (حسين، ممدوح): المرجع السالف، ص523-525.

حملة لويس البوربوني على المهدية (793هـ/1390م):

الإعداد للحملة:

وقبل الدخول في تفاصيل الحملة لابد من التعرف على الأسباب التي أدت إلى اشتراك كل من فرنسا، وجنوى بحملة موجهة ضد المهدية، فالطرفان لهم هدف واحد وإن اختلفت الأسباب، فبينما كانت جنوى تهدف إلى تأديب القرصنة المغربية التي تعتدي على سفنها التجارية في البحر المتوسط، كانت فرنسا تفكر في إكمال ما بدأه لويس التاسع في حملته على تونس، وجعل شمال إفريقية منطلقاً للمشرق العربي[1]، وكما كانت بجاية من أكبر قواعد غزاة البحر المسلمين، كانت المهدية أيضاً مركزاً لهم، وكان أكثر نشاط هؤلاء الغزاة الذين يتمركزون فيها يوجه ضد إقليم ليجوريا الإيطالي الذي تتزعمه جنوى، فقد أدركت أن الاستيلاء على المهدية يريحها من مصدر هام لمتاعبها[2]، إلا أن هذا الجهاد الذي كانت تقوم به هذه المدن سمي في الكتب الأوربية بأعمال القرصنة، لكنها في الواقع أعمال جهاد ودفاع، والسؤال هنا لماذا عدت أعمال الجهاد لصوصية وقرصنة، ولم تعد الاعتداءات الفرنجية التي مرت معنا على مدار البحث قرصنة ؟

وهناك سؤال آخر هل كانت أعمال القرصنة، أو الجهاد الإسلامي فقط وراء الحملة على المهدية، ألا يوجد أسباب أخرى دفعت جنوى وفرنسا للقيام باعتداءاتهما على المهدية، واختيارها بالذات لهذا الاعتداء ؟ طبيعي أن شمال إفريقية كان يتمتع بموقع تجاري هام، و مما دفع كثير من التجار الإيطاليين بصفة خاصة للتردد على سوسة، وصفاقس، وقابس، والمهدية بالذات لأهمية مركزها التجاري، كما أنها تعد أقوى قلاع تونس[3]، ويصف الحميري أهمية المهدية التجارية قائلاً: (وهي مدينة حسنة مقصد للسفن الواردة من المشرق والمغرب، والأندلس، وبلاد الروم، وغيرها..)[4]. كما أن المهدية كانت من أكثر المدن شهرةً، والاستيلاء عليها يعطي الحملة شهرة واسعة في

---

1. (عطية، عزيز سوريال): المرجع السالف، ص92.
2. (حسين، ممدوح): المرجع السالف، ص552.
3. (عاشور، سعيد عبد الفتاح): الحركة الصليبية، ج2، ص1240.1241. (عاشور، سعيد عبد الفتاح): أضواء جديدة على الحركة الصليبية، ص68-69.
4. (الحميري): المصدر السالف، ص561.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أوربا ويجذب ذوي النزعة الفرنجية للسفر إليها والانضمام للفرنجة فيها، فتتوفر لديهم الطاقة البشرية لتثبيت الاحتلال ومن ثم التوسع[1]، فهي بذلك تصلح لأن تكون قاعدة لتوسع مستقبلي بسبب حصانتها، كما أنه لايجوز التقليل من أهمية الدافع الفرنجي، ويتجلى ذلك واضحاً في قضية الحماسة الفرنسية للمشروع الجنوي كماسنرى، أضف إلى ذلك أن شارل السادس اقترح إرغام أمراء تونس، وتلمسان، و باجة الذين يعتمدون على المهدية في الحصول على القمح بأن يصبحوا مسيحيين حيث قال: (نحن ليس لدينا من شك..... أنه إذا كانت إفريقيا في أيدي مسيحية، عندها سوف يجري تدمير هؤلاء الملوك الكفار الثلاثة وبلادهم، أو سوف يتبعون المسيحية)[2].

أما عن تونس فمن الطبيعي أن لا تفكر فرنسا بمهاجمتها على أثر الهزيمة التي لحقت بلويس التاسع سنة (669هـ / 1270م)، إذاً جنوى هي المحرض والمحرك على القيام بهذه الحملة والتي أخذت تفكر في شن هجوم على شمال إفريقية بعد احتلال جربة سنة (790هـ/ 1388م)، ولكن القيام بمثل هذا المشروع يتطلب التعاون مع قوة فرنجية كبرى تقوم على تنفيذه، وقد وجدت ضالتها في فرنسا.

ويعود السبب في اختيار فرنسا تحديداً لعدة أسباب أهمها: أن القوى الفرنجية الأخرى لم تكن في وضع يسمح لها بقيادة الحملة، كما أن علاقة جنوى بفرنسا جيدة ليس فقط بسبب العامل التجاري، بل أيضاً بسبب التعاون في المجال العسكري، فجنوى مدت يد العون لفرنسا من بداية حربها مع إنكلترة في حرب المئة عام ببحارتها الذين شاركوا إلى جانب فرنسا ضد الأسطول الإنكليزي[3] .

ومن أجل ذلك قامت جنوى بإرسال سفارة إلى فرنسا سنة (1389م/ 791هـ) لمقابلة ملك فرنسا تطلب معونته في الحملة الفرنجية الموجهة ضد المهدية، وقد ضربت على الوتر الديني لاستثارة الحماسة الدينية عند الملك شارل، حيث صور الجنوية الملك بأنه حامي المسيحية المدافع عن كيانها ضد المسلمين[4]، كما أسبغ

---

1. (حسين، ممدوح): المرجع السالف، ص552.
2. (زكار، سهيل): الموسوعة الشاملة في تاريخ الحروب الصليبية (الحروب الصليبية المتأخرة)، ج53، ص462-463.
3. (حسين، ممدوح): المرجع السالف، ص527-528.
4. (حسين، ممدوح): المرجع السالف، ص532.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الوفد على الملك صفات التمجيد فوصفه بأنه الملك العظيم، وأن اسمه على كل لسان وفي شتى البقاع، فهي بذلك كانت تقصد إثارة نخوة الملك ومؤكدة أن الفرنسيين والجنويين سيتمكنون من إحراز النصر في حربهم المقدسة ضد المسلمين[1].

وقد تعهدت جنوى للملك بالإشتراك في هذه الحملة بعشرين ألفاً من المحاربين فضلاً على تقديم السفن والمؤن، وقد وعد الملك بالتفكير بالأمر واتخاذ قرار بهذا الموضوع في ظرف يومين، ثم عرض الفكرة على أمرائه فعارضها البعض بحجة حاجة فرنسا إلى الاحتفاظ بقوتها فضلاً عن عدم جدوى مثل تلك الحملة، ولكن لم يلبث أن انتصررأي الأمراء الشبان الذين دفعتهم حماستهم على التمسك بفكرة مساعدة الجنوية، ومشاركتهم في حملتهم الفرنجية على المهدية، وهكذا وافق شارل السادس على مشروع الحملة التي قدمت بها جنوى ضد المهدية، وإن كان قد اشترط أن يتزود المشتركون في هذه الحملة على حسابهم الخاص لا على حساب الدولة وألا يزيد عددهم على خمسة آلاف[2]، ويبدو أن الهدف من قيام فرنسا بمثل هذا المشروع هو رغبتها بصنع روابط أقرب مع جنوى على أمل إنشاء محمية فرنسية هناك[3].

ولكن هل كانت جنوى هي الدافع لفرنسا للقيام بهذه الحملة، أم أن فرنسا لديها نية مسبقة للقيام بها؟ لقد كانت فرنسا العمود الفقري للحركة الفرنجية، ولكن ما شغلها عن خدمة أهداف هذه الحركة هي دخولها في حرب المئة عام مع إنكلترا، أضف إلى ذلك مشكلاتها الداخلية، أما الآن فقد تغير الوضع فلم يعد هناك ما يمنع مشاركتها، والدليل على ذلك أنه تم اتخاذ قرار الاشتراك بالحملة خلال يومين مما يدل على أن فرنسا كانت لديها رغبة مسبقة وجاء قرار جنوى ليزكي هذه الرغبة[4]، وبعد النقاش تم الاتفاق على أن يتولى قيادة الجيش الفرنجي الدوق "لويس دي بو بورن" خال الملك والبالغ من العمر خمسين عاماً والمدرب على الحرب[5].

---

1. (حسين، ممدوح): المرجع السالف، ص532.
2. (عاشور، سعيد عبد الفتاح): الحركة الصليبية، ج2، ص1242-1243.
3. (زكار، سهيل): الموسوعة الشاملة في تاريخ الحروب الصليبية (الحروب الصليبية المتأخرة)، ج53، ص461.
4. (حسين، ممدوح): المرجع السالف، ص535.
5. (برنشفيك، روبار): المرجع السالف، ص230.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن الجدير بالذكر أن السفراء الجنويين أبدوا رغبة بأن يتولى الملك الفرنسي قيادة هذه الحملة أسوة بأسلافه من ملوك فرنسا، لكنه اعتذر لانشغاله بأمور بلاده الداخلية وتدعيم السلام مع إنكلترة، أما وقد تم اختيار لويس البوربوني فهو مفعم بالروح الفرنجية وهذا يدل على فرنجية الحملة[1]، كما تم الاتفاق على أن تمد جنوى الحملة بأسطول كامل مجهز بجيش من البحارة، وعلى فرنسا أن تمدهم بالقوى البحرية من النبلاء الإقطاعيين والفرسان والجنود المسلحين[2].

وقد جرى الاعتراف بهذه الحملة بصورة استثنائية كحملة فرنجية من قبل كل من كليمنت السابع ومنافسه بينيدكت التاسع[3]، ثم بدأت الاستعدادات طوال ربيع سنة (793هـ/1390م)، فأبحر لويس البوربوني من مرسيليا باتجاه جنوى للالتحاق بأغلب قطع الأسطول، وبعد بضع أيام أصبح الجميع على متن الأسطول الجنوي الذي كان متألفاً من 22 سفينة حربية و18 سفينة شراعية يشاركها أربعة ألاف بحار جنوي، كذلك وفرّت جنوى ثلاثة آلاف جندي من المشاة منهم ألف من خيرة القذافين، ومن الجدير بالذكر أن بعض النبلاء الذين تراوح أعدادهم بين أربعمئة وألف وخمسمئة رجلاً كان جلهم من الفرنسيين ما عدا بعض الإنكليز، والأراغونيين، وكانوا فرادى أومصحوبين ببعض الجنود، ومن هؤلاء النبلاء فيليب دي بار، و أقماط وهاركور، وسانسار، وأستروفان، وكونت دوفان وغيرهم[4]، كما أقبل على المشاركة بالحملة إنكلترا، وأراغونة، وفلندرز، فضلاً عن مختلف أجزاء فرنسا[5].

ثم عاد"لويس البوربوني"_إلى باريس في فبراير(139 م /792 هـ) ليعمل على تدبير الأموال اللازمة، فباع قصره في باريس، واقترض من دوق تورين شقيق الملك مبلغ عشرين ألف فلورين، كما حصل على منحة مالية من الملك مقدارها اثنا عشر

---

1. (حسين، ممدوح): المرجع السالف، ص540-541.
2. (عطية، عزيز سوريال): المرجع السالف، ص92.
3. (زكار، سهيل): الموسوعة الشاملة في تاريخ الحروب الصليبية (الحروب الصليبية المتأخرة)، ج53، ص461.
4. (برنشفيك، روبار): المرجع السالف، ص231.
5. (عاشور، سعيد عبد الفتاح): الحركة الصليبية، ج2، ص1243.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فلورين، فضـلاً عن مبلغ آخر تبرع به المـلك للمشاركين بالحملة مقداره عشرون ألفاً وستمئة وثلاثون فرنكاً ذهبياً لمساعدتهم في تجهيز أنفسهم، وبعد جمع هذه المبالغ وسواها من تبرعات المحسنين، سافر لويس إلى ممتلكاته للإشراف على إعداد فرسانه وإجراء بعض الترتيبات المتعلقة بإدارتها أثناء غيابه، حيث ولى أمر إدارة ممتلكاته إلى أحد أتباعه المخلصين وهو "بيير دي نوريس"، وكتب وصيته الأخيرة استعداداً للمجهول ثم عاد إلى باريس، وقد واجهت الحملة عدة عقبات لم تكن في البال منها عدم تمكن جنوى من توفير ما يلزم من المؤن من أراضيها وخاصة القمح والخمور، مما جعل دوق جنوى يكتب للويس يخبره بذلك، فسارع لويس إلى إيفاد أحد مساعديه وهو "شارل دي هانجست" إلى بروفانس ونابلي للسعي لتوفير المؤن اللازمة وللموافقة على طلب جنوى، وبالفعل تم الأمر ومرت الأزمة بسلام[1].

وقد تم الاتفاق على أن تكون جنوى نقطة تجمع القوات المشاركة، و"مرسيليا" مكان تجمع القوات الفرنسية، كما تم تحديد الموعد النهائي للرحيل في نهاية يونيو (1390 م /792 هـ)[2]، وخلال تجمع القوات أثبت لويس كفاءته وقدرته الإدارية، و دل على ذلك النظام الذي ساد أثناء صعود القوات إلى السفن، فقد وجد كل فرد منها لدى وصوله إلى "مرسيليا" بياناً واضحاً بإقامته سواء في المدينة أو على ظهر السفن، ثم أقلع الأسطول من مرسيليا إلى جنوى لاصطحاب باقي القوات التي تجمعت هناك مستعدة للرحيل بإشراف بعثة أرسلها لويس البوربوني في جمادى الأولى (1390 م /792 هـ) لهذا الغرض، ومن ضمنها الدوق "فيليب دي بارو جاي لاترموي".

ثم وصل لويس البوربوني بقواته في اليوم الثالث لخروجه من مرسيليا، فرست السفن على بعد ثلاثة أميال من المدينة وأصدر أوامره بعدم نزول الجند إلى البر تلافياً لضياع الوقت، وسرعان ما انتهت الاستعدادات التي كانت تجري في المدينة، وقد سلمت قيادة قسم من السفن إلى "جيوفاني سنتريوني"[3] الذي كان يهدف إلى الحصول على جزيرة كونيجلبيرا التي تبعد ستة عشر فرسخاً من ساحل إفريقية، ثم قام

---

1. (حسين، ممدوح): المرجع السالف، ص544-546.
2. (عاشور، سعيد عبد الفتاح): الحركة الصليبية، ج2، ص1243.
3. (حسين، ممدوح): المرجع السالف، ص546-547.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

البـــابا كليمنت الســـــابع بمباركة المشـــروع وأعـــلن رسمياً قيام الحملة الفرنجية ضد المهدية[1]، وقد أقلعت الحملة قاصدة إفريقية، حيث أخذ الأسطول يسير ببطء بقيادة جان سانتوريون أولترمارينو قريب الدوق، ثم مروا بجزيرة آلب وميناء كالياري وتوقفوا قليلاً[2]، وبعد إبحار شاق هبت عاصفة على الأسطول في عرض البحر، ووصلوا جزيرة كونيجلييرا، وهم منهكون فأقاموا تسعة أيام للراحة ناقشوا خلالها الخطة العسكرية للهجوم على المهدية، ثم أقلعوا باتجاه المهدية[3] .

---

1. (عطية، عزيز سوريال): المرجع السالف، ص92-93.
2. (برنشفيك، روبار): المرجع السالف، ص232.
3. (حسين، ممدوح): المرجع السالف، ص551.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

نزول الفرنجة المهدية والمواجهة الإسلامية لها:

وقبل الدخول في تفاصيل نزول الفرنجة للمهدية، لا بد من ذكر رواية وردت عند ابن الصيرفي ذكر فيها: (وفيه ورد الخبر من الإسكندرية بأن مراكب الفرنج مشحونة بالسلاح والرجال نزلوا على طرابلس وعدتها سبعون مركباً، فأرسل الله عليهم ريحاً عاتية أغرقت لهم مركباً بما فيه وفرقت البقية فردوا مدحورين خائبين)[1] ويؤيده في رواية مشابهة ابن حجر العسقلاني أيضاً[2].

ثم يعود ليقول: (وفيه ورد الخبر من الإسكندرية أن الفرنج اللئام ... الذين أغرقت الريح مركبهم ومزقتهم كل ممزق توجهوا إلى إفريقية وحاصروها، و بها ولدا أبي العباس صاحب تونس، فوقع بينهم حروب شديدة وانتصف المسلمون عليهم وقتلوا منهم عدداً كبيراً)[3]، أما ابن خلدون ففي روايته يؤكد أن وجهة الحملة كانت المهدية مباشرة فيقول: (وأقلعوا من جنوى فحطوا بمرسى المهدية منتصف إثنتين وتسعين وسبعمائة .....)[4].

على أي حال وصلت الحملة المهدية في الخامس من شهر شعبان من سنة (792 هـ /1390 م) على حد تعبير ابن الشماع[5]، أما باقي المصادر الإسلامية لم تحدد بالضبط تاريخ وصول الحملة حتى أن ابن خلدون الذي يتوخى الدقة في روايته ذكر فقط أن الحملة وصلت في منتصف سنة (792 هـ /1390م)[6]، أما عن عدة الحملة لحظة وصولها المهدية، فابن الشماع[7] يذكر ثمانية محرقات[8]، أما ابن

---

1. (الصيرفي، علي بن داوود): نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان، تح: حسن حبشي، مطبعة دار الكتب، (1970م)، ج1، ص312.
2. (العسقلاني، شهاب الدين أحمد بن حجر): المصدر السالف، ج1، ص402.
3. (الصيرفي): المصدر السالف، ج1،ص314.
4. (ابن خلدون): المصدر السالف، ج6، ص400.
5. (ابن الشماع): المصدر السالف، ص111.
6. (ابن خلدون): المصدر السالف، ج6، ص400.
7. (ابن الشماع): المصدر السالف، ص111.
8. (المحرقة): نوع من السفن يستخدم لحمل الأسلحة النارية. (طرخان، إبراهيم علي): المرجع السالف، ص68.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

السراج[1] فيذكر أن النصارى نزلوا المهدية في مئة قطعة بين مراكب كبيرة وأغربة، ويتفق معه الزركشي[2] ومحمود مقديش[3]، أماعبد الله الترجمان[4]، وابن أبي دينار[5]، فيذكران أن الجنويين والفرنسيين جاؤوا بثمانين قطعة، ومهما يكن من عدة الحملة وعتادها فمن الطبيعي أن تبدأ الاستعدادات الإسلامية لمواجهتها، لكن هل وصلت أخبارها إلى مسامع المسلمين قبل وصولها ؟

يذكر"ابن خلدون" أن أخبارها وصلت إلى مسامع أبي العباس فيقول: (وبلغ الخبر استعدادهم إلى السلطان، فسرح ابنه أبا فارس يستنفر أهل النواحي ويكون رصداً للأسطول هناك)[6]، كذلك توقف الأسطول الفرنجي في "كونيجلييرا" مدة طويلة، قد أزال كل إمكانية للمباغتة، فقد كانت منطقة الساحل في حالة استنفار، حيث قام الأمير" أبو فارس عبد العزيز بن أبي العباس" بتعبئة الجيش وترصد وصول العدو[7]، ورغم هذا العلم والاستعداد فإن ابن خلدون يقول أنهم طرقوها على حين غفلة[8]، ومعنى ذلك أن الاستعداد لم يكن بالمستوى المناسب لمجابهة العدو.

على أي حال عند وصول الحملة قام "لويس البوربوني" بالرسو على بعد فرسخ من المهدية، وقد هاله ما شاهده من حصانة "المهدية" وكثرة الجند الإسلامي المحيط بها، ثم عقد مجلس حربه للبحث في كيفية النزول إلى البر وقد اتخذ قراراً بعدم النزول دفعة واحدة، وإنما قسم القوات إلى ثلاثة أقسام الطليعة الأولى يترأسها "سير دي كوسي"، والثانية" لويس البوربوني" المكونة من الفرنسيين[9]، و الثالث "سوديك"

---

1. (الوزير السراج): المصدر السالف، ج1، ق4، ص1069.
2. (الزركشي): المصدر السالف، ص98.
3. (مقديش): المصدر السالف، مج1، ص587.
4. (الترجمان، أبي محمد عبد الله): تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب، تح: عمر وفيق الداعوق، ط1، دار البشائر الإسلامية، بيروت، (1408هـ/1988م)، ص14.
5. (ابن أبي دينار): المصدر السالف، ص143.
6. (ابن خلدون): المصدر السالف، ج6، ص400.
7. (برنشفيك، روبار): المرجع السالف، ص232.
8. (ابن خلدون): المصدر السالف، ج6، ص400.
9. (حسين، ممدوح): المرجع السالف، ص555-556.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

صاحب تروا و"سير كاستيلون" وكونت دوفن، ومهمتها الحماية ومشاغلة المسلمين بالسهام حتى يتم الإنزال، وبالمقابل عقد قادة الجند الإسلامي مجلس حربي لبحث سبل الدفاع فطرحت في المجلس وجهتا نظر متباينتان، إحداهما ترى التصدي للصليبين ومنعهم من النزول، والثانية تقول بالسماح لهم ليسهل حصرهم والقضاء عليهم، وقد تقرر الأخذ بالرأي الثاني، وهو السماح للفرنجة بالنزول إلى البر[1]، وهذا مايذكر بخطة "المستنصر" أثناء حملة "لويس التاسع" على "تونس".

ويبدو أن الخطة التي وضعها المسلمون استهدفت التحصن بالمهدية وترك الفرنجة خارجها يصلون حرارة الشمس[2]، وتبعاً لذلك بدأت الطليعة تنزل البر وتتخذ مواقعاً لها، ثم تبعتها باقي القوات حتى تكامل زوالها يوم الخميس 22 يوليو سنة (792 هـ \1390 م)[3]، وأثناء عملية النزول حدثت بعض المناوشات بين الطرفين نقلها الزركشي: (فاتفق المولى أبو فارس عبد العزيز مع النصارى وقائع منها في يوم نزولهم)[4].

ثم عسكرت القوات الفرنجية في المضيق الذي يربط المهدية بالبر[5]، ثم بدأوا ببناء تجهيزاتهم العسكرية لعملية الحصار، وقد وصف ابن خلدون ذلك بقوله: (وضربوا عند أول الطرق سوراً من الخشب بينهم وبين البر حتى صار المعقل في حكمهم وعالوا عليه بالأبراج وشحنوها بالمقاتلة، ليتمكنوا من قتال البلد ومن يأتيهم من مدد المسلمين وصنعوا برجاً من الخشب من جهة البحر يشرف على أسوار المعقل لتعظم نكايتهم)[6]، ثم أمر لويس قواته في (248 شعبان 792 هـ/ يوليو 1930 م) بحصار المهدية براً بحراً، وقد حاول المسلمون بعد ثلاثة أيام من الحصار الخروج من المدينة، والقيام بهجوم مفاجئ مضاد على القوات الفرنجية، لكنه فشل وارتدوا داخل أسوار

---

1. (حسين، ممدوح): المرجع السالف، ص555-556.
2. (عاشور، سعيد عبد الفتاح): الحركة الصليبية، ج2، ص1243-1244.
3. (حسين، ممدوح): المرجع السالف، ص556.
4. (الزركشي): المصدر السالف، ص98.
5. (برنشفيك، روبار): المرجع السالف، ص232.
6. (ابن خلدون): المصدر السالف، ج6، ص400.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المدينة بعد أن خسروا عدداً من القتلى[1]، ويبدوا أن السبب في هذه الهزيمة عدم التنسيق بين حامية المدينة والقوات الإسلامية المعسكرة خارجها، أما عن أبي فارس فقد وصلته أفواج من الجنود القادمين من تونس بقيادة عمه أبي يحيى زكريا[2]، واستقر مع قواته على ربوة صغيرة وجهاً لوجه مع العدو، فسادت حالة من القلق بين الفرنجة بسبب تجمع القوات الإسلامية حتى أنه سرت همسات تدعو إلى رفع الحصار عن المدينة لكن "لويس البوربوني" رفض ذلك وعقد مجلس حربي لدراسة الموقف[3]، ورداً على ذلك أحاط "لويس" معسكره بسياج من الحبال وعززه بمجاذيف السفن[4].

أما الحامية الإسلامية داخل المهدية فكانت صابرة صامدة في وجه الفرنجة، مما أطال فترة الحصار ومنع الفرنجة من دخول المدينة[5]، والقوات الإسلامية الرابطة على الربوة لم تشن أية معركة حاسمة فقد كانت حريصة على تطبيق الطريقة الحربية المستعملة ضد الجنود الأوربيين المتفوقة عليها بالعدة والأسلحة واكتفت بالقيام ببعض المناوشات وأعمال التحرش المثيرة للأعصاب معولة على الطقس وإنهاك الخصم لاجباره على الانسحاب[6].

إلا أن وتيرة هذه المناوشات زادت مما اضطر الفرنجة للبقاء في أسلحتهم ودروعهم طوال اليوم، كما أن حرارة الشمس زادت من ضيقهم مما جعل المسلمين يزيدون من هذه الغارات، وأمام ازدياد حدة هذه الغارات وصمود الحامية داخل المدينة إضافة إلى فشل المحاولات الفرنجية لجر المسلمين للدخول في معركة حاسمة، بدأ لويس يفكر في هجوم قوي على المسلمين لعله يرفع معنويات جنده ويحطم المقاومة الإسلامية[7]، فحرارة الصيف بازدياد مع تناقص المؤن في المعسكر الفرنجي فضلاً

---

1. (عاشور، سعيد عبد الفتاح): الحركة الصليبية، ج2، ص1244.
2. (مقديش): المصدر السالف، مج1، ص587. (ابن أبي الضياف): المصدر السالف، ص167.
3. (حسين، ممدوح): المرجع السالف، ص559.
4. (برنشفيك ، روبار) : المرجع السالف،ص232.
5. (ابن خلدون): المصدر السالف، ج6، ص400.
6. (برنشفيك ، روبار) : المرجع السالف،ص232-233.
7. (حسين، ممدوح): المرجع السالف، ص559-561.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عن أزمة مياه الشرب[1]، وينقل "الزركشي" إحدى المعارك التي حدثت بين الطرفين فيقول: (وقعت بينهم وبين النصارى حروب كان للمسلمين فيها جولة بحيث أسلموا المحلة ودخلها العدو، ولم يجد فيها عيناً تطرف عدا رجلاً واحداً مغشياً فقتلوه، وبينماهم في سبي الأزواد والأسباب، إذ بالمولى أبا فارس نادى في المسلمين وجميع القواد..... وكر راجعاً تجاه العدو، حتى أخذ المحلة من أيديهم قهراً، فحميت العرب وانصرف العدو منهزماً وقتل منهم نحو خمسة وسبعين فارساً وواجه العدو بنفسه ....ولم يلتفت إلا والعدو قد أحاط به من كل جهة).

ثم يتابع حديثه عن أبي فارس الذي وقع أسيراً ثم تخلص من الأسر فيقول: (ومن عادتهم في الحرب أنهم إذا أخذوا ملكاً أو ابن ملك لا ينزلونه عن فرسه، فأخذوا بعنان فرسه وساروا به، فألهمه الله سبحانه فاخلع عنان فرسه من رأسه وألح على الفرس وهمزه، فخرج الفرس من بينهم فرموه بسهام وأسنة واتبعوه بخيل وأعنة، وهو لا يلتفت إلى أن وصل إلى المسلمين)[2]، فكانت هذه المعركة هزيمة للفرنجة، ثم إن لويس وجد نفسه بين نارين نار المسلمين داخل المدينة ونار القوات الإسلامية المعسكرة على الربوة، كذلك كان يخشى من احتمال تكاتف الطرفين مما يزيد الوضع سوءاً، فقرر ضرورة الإسراع في اقتحام المدينة، فعقد مجلس حربه للبحث في هذه القضية وتم اتخاذ قرار بالهجوم على المدينة بعد أن أبدى الجنويون استعدادهم ببناء برج خشبي من ثلاث طوابق وسلمين من نوع منقار الصقر من أجل نصبها على أسوار المدينة، كما تم الاتفاق على خطة الهجوم بحيث تقوم القوات الفرنجية بالهجوم براً حتى تخلو جهة البحر من المقاتلين، فيقوم القسم الآخر من القوات الفرنجية بمهاجمة تلك الناحية، وبالفعل شرع الفرنجة أوائل سبتمبر (1390 م/ رمضان 792هـ) بشن هجومهم على المدينة من ناحية البر وتم جر البرج الخشبي إلى أحد أبراج السور المواجهة للبر لأنه أقل استعداداً من غيره، وبدأ الهجوم شديداً واحتدم القتال عند باب الفتوح وهي البوابة الرئيسية للمدينة، فتصدت الحامية للمهاجمين[3].

---

1. (عاشور، سعيد عبد الفتاح): أضواء جديدة على الحركة الصليبية، ص69.
2. (الزركشي): المصدر السالف، ص98.
3. (حسين، ممدوح): المرجع السالف، ص564-565.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وما إن تحرك البرج الخشبي حتى تمكن المسلمون من إحراقه بواسطة القذائف الملتهبة التي أشعلت فيه النار[1]، ثم إن ضغط المهاجمين على البوابة الرئيسية للمدينة زاد وتمكنوا من كسرها لكن حصانتها واستماتة المسلمين بالدفاع عنها فوتت على الفرنجة اقتحامها، أولئك الذين لم ييأسوا، فبدؤوا هجومهم من البحر حيث تحركت سلالم منقار الصقر التي صممت لهذا الغرض على أربع سفن مع عدد كبير من المشاة والرماة في القوارب، لكن المسلمين ورداً على ذلك أخلوا برج الميناء من المدافعين بعد أن غطوه بأرضية من الخشب بها فتحات متقاربة صغيرة اختفى تحتها عدد من الرماة وتركز الدفاع على الأسوارالتي استهدفها سلماً منقار الصقر.

ولدى اقتراب المهاجمين بدأ المسلمون يرمونهم بالقذائف والسهام والحجارة، وقد تمكن الجنوية من الوصول إلى الأسوار حيث ركزوا أحد السلمين عليها لكن المسلمين حطموه، أما السلم الآخر الذي نُصب على البرج وصَعدَ عليه المهاجمون إلى البرج ليلقوا مصيرهم حيث بدأت سهام جند الكمين تنهال عليهم وتضطرهم إلى التراجع، احترق، فاضطر المهاجمون إلى التراجع والانسحاب من البر والبحر، وفشل الهجوم بعد أن تكبد الطرفان خسائر كبيرة، وقد حاول"لويس البوربوني" تجهيز معدات لمعاودة الهجوم لكن الجنوية أخبروه بنفاذ كمية الأخشاب لديهممما أفقده أي أمل بمعاودة الهجوم واقتحام المدينة[2].

---

1. (ابن خلدون): المصدر السالف، ج6، ص400.
2. (حسين، ممدوح): المرجع السالف، ص565-567.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

نهاية الحملة وعقد الصلح :

وهكذا مضى على الحصار تسعة أسابيع دون أن يحقق الفرنجة أي نصر أو تقدم، فلا هم نجحوا في اقتحام المدينة، ولا استطاعوا التغلب على القوات الإسلامية المرابطة أمامهم[1]، فمنذ وصولهم إلى المهدية واجهتهم عدة صعوبات بدءاً بالعاصفة، فالمناوشات التي أنهكتهم ولم تسمح بجر المسلمين إلى معركة فاصلة، إضافة إلى حرارة الصيف، وأزمة مياه الشرب، وتناقص المؤن، وعدم انتظام قدومها من إيطالية الجنوبية[2]، فالمؤن التي زودت جنوى بها الحملة لم تكن كافية حيث كان من المفترض إخضاع المدينة في مدة قصيرة قبل نفاذها لكن صمود المدينة وضع الفرنجة في وضع لا يحسدوا عليه، مما اضطر لويس لاستحضارها من الدول المسيحية المجاورة القريبة من إفريقية فالسلطات الحاكمة في نابلي، وصقلية، وسردينيا، وكورسيكا، وكريت، وبرشلونة عملت على مد الفرنجة بحاجتهم من المؤن[3]، كذلك خشي الفرنجة أن يدركهم فصل الشتاء وهم في إفريقية[4]، كل ذلك يُذكّر بما حدث في حملة "لويس" على "تونس"، ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل إن سرب من الحشرات هاجمهم لمدة أسبوع ولم ينقذهم منه إلا عاصفة قضت عليه[5].

ولكن الحق يقال إن كل هذه الصعوبات التي واجهتهم لا تقارن بشدة المقاومة الإسلامية التي تعد السبب الرئيسي في تردي معنوياتهم وشعورهم بخيبة أمل في تحقيق نصر حقيقي في المهدية، يضاف إلى ذلك شخصية قائد الحملة الذي فشل في تحقيق نصر حاسم وسريع، فجنوده بدأوا يتذمرون منه ويوجهون الانتقادات إليه بأنه كان متعالياً غير مهتم بمشاكل جنده وأنه ليس بالإمكان الاتصال به إلا عن طريق الوسطاء [6]، حتى إن كثيرين من الجنود كانوا يقارنون بين دماثة وأخلاق كوسي و مرونته، وبين تعالي وكبرياء لويس فقيادته غير الحكيمة هي السبب في عدم اقتحام

---

1. (عاشور، سعيد عبد الفتاح): أضواء جديدة على الحركة الصليبية، ص69.
2. (برنشفيك، روبار): المرجع السالف، ص233.
3. (حسين، ممدوح): المرجع السالف، ص568.
4. (المطوي، محمد العروسي): السلطنة الحفصية، ص539.
5. (حسين، ممدوح): المرجع السالف، ص568.
6. (حسين، ممدوح): المرجع السالف، ص569.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المدينة[1]، ثم إن خلافاً دب بين الجنوية والفرنسيين حول مواصلة الحصار أوالإقلاع عن المدينة[2]، وينقل الزركشي ذلك قائلاً: (ثم إن النصارى اختلفوا فيما بينهم وأراد الجنوي الغدر بالفرنسي)[3]، كذلك لم يكن المسلمون أقل رغبة في إنهاء هذه الحرب فبقاء الفرنجة حتى الخريف قد يؤدي إلى مدهم بقوات جديدة من أوربا ويسهل عليهم اقتحام المدينة، والسلطان الحفصي الذي واجهته منذ اعتلائه العرش العديد من الثورات لم يكن يأمن من نشوب ثورة جديدة يقوم بها أحد الطامعين بالعرش مستغلاً انشغال السلطان بالحملة، بالإضافة إلى الخوف من تخلي العرب عنه إثر انتهاء فصل الصيف للنجعة إلى مراعيهم في الجنوب[4].

وهكذا كان لكلا الطرفين أسبابه لإنهاء حالة الحرب هذه وعقد الصلح ويذكر"عزيز سوريال عطية" بأن"جنوى" كانت المبادرة لعقد الصلح حيث يقول: (ولما رأى أهل جنوى العمليون الصعاب التي كانت تحاصرهم بدؤوا سراً في المباحثات الوصول إلى اتفاقيات من جانب واحد من العدو)[5]، أي أنه يتهم"جنوى"صراحة بالانشقاق عن الصف الفرنجي للدخول في صلح منفرد، ويؤيد ذلك ما ورد في المصادر الإسلامية عن"الزركشي"القائل: (ثم إن النصارى اختلفوا فيما بينهم وأراد الجنوي الغدر بالفرنسي)[6]، ويؤيده في ذلك الوزير السراج حيث يقول: (ثم إن النصارى اضطربت أحوالهم لأنهم كانوا فرقتين أهل جنوى و فرانسة، أراد أهل جنوى الغدر بالفرنسيس ولكن لاقوة لهم)[7]، كذلك يورد عبد الله الترجمان[8]، و محمود مقديش[9]، مايشابه الرواية، ولكن ما هي الأسباب التي دفعت جنوى لمحاولة عقد صلح منفرد ؟

---

1. (برنشفيك، روبار): المرجع السالف، ص233.
2. (المطوي، محمد العروسي): السلطنة الحفصية، ص539.
3. (الزركشي): المصدر السالف، ص98.
4. (حسين، ممدوح): المرجع السالف، ص571.
5. (عطية، عزيز سوريال): المرجع السالف، ص93.
6. (الزركشي): لمصدر السالف، ص98.
7. (الوزير السراج): المصدر السالف، ج1، ق4، ص1070.
8. (عبد الله الترجمان): المصدر السالف، ص14.
9. (مقديش): المصدر السالف، مج1، ص588.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لقد كانت جنوى أكثر رغبة في إنهاء الحرب لأنها شعرت بأنها الشريك الأكثر خسارة في هذا المشروع الذي كلفها الكثير من الأموال بتجهيز الحملة والتي من الممكن أن تستثمر في أعمال تجارية تدر عليها أرباحاً، أضف إلى ذلك تجميد الأسطول موسماً كاملاً والذي كان من الممكن استخدامه في أعمال تجارية، وقد انعكس ذلك على تصرفاتهم فأخذوا يظهرون الاستياء من بطء سير العمليات الحربية ونتائجها كما أنهم أبلغوا" لويس" استياءهم من التأخر في تحقيق النصر ومن تعطيل أرزاقهم وهي أيضاً أحد الأسباب التي أدت إلى عقد الصلح[1]، وفي ظل هذه الظروف تم التفاوض مع القوات الإسلامية حول عقد الصلح ومن ثم الانسحاب بواسطة الجالية الجنوية المقيمة في "المهدية" و"عبد الله الترجمان"[2]، وبعد جهود مكثفة ومفاوضات توصل الطرفان إلى اتفاق يجلوا به"الفرنجة"عن"المهدية"مقابل عقد اتفاقية مع السلطان مدتها عشر سنوات تتضمن :

1ـ يتعهد السلطان بعدم إلحاق أي ضرر بالمسيحيين المقيمين في بلاده خلال مدة الاتفاقية[3].

2. يدفع السلطان لمدة خمسة عشر عاماً واردات المهدية[4] .

3. يدفع السلطان في ظرف سنة مبلغ 205 ألف دوكا[5].

4. أن يضمن تجار قطلونية وسردينيا ونابلي المقيمين في المهدية السلطان في تنفيذ هذه الاتفاقية[6] .

عندما عرضت شروط تلك الاتفاقية على"لويس البوربوني"استشار فيها كبار رجال الحملة فأقروها، ووجدوا فيها ترضية كافية للفرنجة وتعويضاً لهم عما بذلوه من مال وجهد، وبعد إمضاء الاتفاق[7] تقرر موعد الرحيل نهاية سنة (سبتمبر 1390 م/ شوال

---

1. (حسين، ممدوح): المرجع السالف، ص572.
2. (برنشفيك، روبار): المرجع السالف، ص233.
3. (عاشور، سعيد عبد الفتاح): الحركة الصليبية، ج2، ص1245.
4. (عطية، عزيز سوريال): المرجع السالف، ص93.
5. (برنشفيك، روبار): المرجع السالف، ص234.
6. (حسين، ممدوح): المرجع السالف، ص574.
7. (عاشور، سعيد عبد الفتاح): الحركة الصليبية، ج2، ص1245.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

792هـ)[1]، ويبدو أن"لويس البوربوني" غير راض على نتيجة الحملة، فقد أعلن غضبه وأنه سيكون آخر الفرنجيين الذين يركبون سفينة حربية [2]، ويبدو أن القوات الإسلامية كان لديها آخر محاولة لمناوشة الحملة أثناء الانسحاب لكن"لويس"كان محتسباً لهكذا موقف حيث أخفى كميناً من بعض الجنود، فخرج ذلك الكمين واشتبك مع هذه القوات وتمكن من صدها[3]، ثم إن المصادر الإسلامية تورد رواية مفادها أن الفرنسيين رحلوا أولاً ثم الجنوية (فرحل الفرنسيس بسفنه، ولما علم الجنوي أنه لا يقدر وحده رحل أيضاً)[4].

لكن بالنظر إلى سير الأحداث وأن جنوى هي التي كانت ترغب بالصلح لأن مصالحها تضررت فهي المبادرة بالصلح، لذلك لا يمكن أن تكون بقيت في المهدية بل انسحبت بكاملها إلى جزيرة "كورنليرا" وهناك جرت مناقشات حول وجهة السير، ففريق أبدى رغبة في العودة إلى وطنه وفريق رغب بالرحيل إلى نابلي، وفريق ثالث أصر على نقله إلى صقلية أو قبرص، أو رودس للتوجه إلى الديار المقدسة، وقد وافق لويس على ذلك، وغادر الفرنجة الجزيرة، فاتجه قسم إلى المشرق وقسم إلى سردينيا. فجنوى كانت ترغب بتحقيق مطامع على حساب أراغونة، و بيزا، لذلك اتجهوا إلى سردينيا بحجة أن غزاة البحر المسلمين كانوا يترددون إليها للتزود بالماء[5].

أما عن مدة إقامة الفرنجة في المهدية فبعض المصادر الإسلامية تذكر أن مدة الإقامة شهرين، وبعضها يذكر أنها شهران ونصف[6]، أما عن أهل المهدية فقد انفرد ابن "خلدون" بوصف وضعهم بعد خروج الحملة فيقول: (وخرج أهل المهدية يتباشرون

---

1. (حسين، ممدوح): المرجع السالف، ص575.
2. (عطية، عزيز سوريال): المرجع السالف، ص93.
3. (حسين، ممدوح): المرجع السالف، ص575.
4. (الزركشي): المصدر السالف، ص98. (مقديش): المصدر السالف، مج1، ص588.
5. (حسين، ممدوح): المرجع السالف، ص576.
6. يذكر كل من عبد الله الترجمان، وابن أبي دينار، والوزير السراج، وابن أبي الضياف أن مدة الإقامة شهران.أما ابن الشماع، وابن قنفذ، والزركشي، ومقديش فيذكرون أن مدة الإقامة شهران ونصف.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بالنجاة ويتنادون بشكر الأمراء على ما اعتمدوه في نصرهم)[1]، أما عن نتائج الحملة فمن الواضح أنها منيت بالفشل الذريع ولم تحقق أي هدف من أهدافها، حيث إنها لم تستطع الاستيلاء على المهدية[2]، كما أنها لم تحقق الهدف الأساسي لها وهو القضاء على القرصنة الإسلامية على حد تعبيرهم، بل على العكس، فقد أصبح المسلمون بعد ذلك سادة البحر[3]، أما بالنسبة للسلطان الحفصي، فقد كانت الحملة تدعيماً لمركزه وفرض احترامه في الداخل والخارج فقد متن علاقات الصداقة بين تونس من جهة و مصر والمغرب من جهة أخرى[4]، ولم يقتصر الأمرعلى الدول الإسلامية بل إن الفرنسيين عدوا الحملة نجاحاً مدوياً على أساس أن الجيوش المسلمة قد اضطرت للبقاء في وضع دفاعي وكانت الأهمية الأساسية هي انبعاث الاهتمام الفرنسي بالحروب الفرنجية[5].

أما جنوى فقد اضطرت بعد الحملة لإتباع الأسلوب السلمي بعلاقاتها التجارية مع إفريقية، فأخذت تحاول عقد صلح دائم مع السلطان وأرسلت سفيرها "ألفير مارتيني" إلى "تونس" في 20 مايو إلى 8 يوليو (1391م/ 793هـ) ولكن بدون جدوى، ثم عقدت في (17أكتوبر 1391م/ 16ذي القعدة793هـ) اتفاقاً رسمياً تم بمقتضاه تمديد معاهدة (1383م) – التي حكمت الأحداث بإلغائها– لمدة عشر سنوات، وقد أقرت تلك الوثيقة فشل الحملة الجنوية على المهدية، كما افتدت جنوى بثمن باهظ عدة مئات من رعاياها الذين أسروا في إفريقية بالمقابل تم إطلاق سراح جميع الأسرى الإفريقين أما البندقية فقد استطاع قنصلها"جاك فالاسو" الحصول على معاهدة تجارية لبلاده مع السلطان مدتها عشر سنوات[6]، كما تقرر إطلاق سراح عشرات الأسرى من رعايا

---

1. (ابن خلدون): المصدر السالف، ج6، ص400.
2. (عاشور، سعيد عبد الفتاح): الحركة الصليبية، ج2، ص1245.
3. (برنشفيك، روبار): المرجع السالف، ص234.
4. (الدولاتلي، عبد العزيز): المرجع السالف، ص63
5. (زكار، سهيل): الموسوعة الشاملة في تاريخ الحروب الصليبية (الحروب الصليبية المتأخرة)، ج53، ص461.
6. (برنشفيك، روبار): المرجع السالف، ص234–236.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

البندقية الموجدين في إفريقية وخاصة في عنابة ويُلاحظ الفرق في المعاملة الحفصية بين الدولتين والسبب في ذلك هو أن"البندقية"التزمت الحياد في النزاع، أما "بيزة" فقد أوفد حاكمها سنة (1393م) "نيكولا لانفرادوشي" (المكلف بتبرير موقف بلاده) إلى السلطان الحفصي وأعلمه أن المشاركين بالحملة هم من الخواص ولا دخل للدولة بهم مع ذلك لم تحصل بيزة على معاهدة جديدة إلا في عهد خليفة أبي العباس[1].

1. (برنشفيك، روبار): المرجع السالف، ص235-236.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

خاتمة:

من خلال ما مر معنا يتضح لنا عدة نقاط أهمها:

إن الحملات التي وجهت إلى شمال إفريقية هي حملات فرنجية بكل ما تعنيه هذه الكلمة من معنى، تحمل في طياتها دوافع سياسية، واقتصادية، ودينية، وذلك لما يتمتع به شمال إفريقية من أهمية إستراتيجية، وجغرافية، ودينية، فمن المنطقي اعتبار هذه الحملات حملات فرنجية بدليل مباركة البابوية لها، فشمال إفريقية كان ضمن المخطط الفرنجي، كذلك التقارب الزمني بين انطلاقة الحملات الفرنجية في المشرق والشمال الإفريقي على الرغم أن ثقل العمل الفرنجي كان في المشرق.

كذلك اتضح لنا دور العرب بعد هجرتهم إلى الشمال الإفريقي في الحياة السياسية في المنطقة، كذلك لا يمكن أن ننكر دورهم في صد الهجمات الفرنجية، كما لاحظنا أن التمزق والتفرقة التي عاشها الشمال الأفريقي والتي جرّت عليه الخطر الفرنجي سواء أثناء حكم الزيريين أولاحقاً الحفصيين، كذلك الصراع بين أفراد البيت الحفصي على الحكم، كذلك ما حدث في الشرق من توزيع البلاد على أنها تركة للحكام، كما فعل كل من عماد الدين زنكي وصلاح الدين، عندما قسما ملكهما بين أولادهما ومن ثم الصراع بين الأولاد على الملك كل ذلك شجع الفرنجة للاتجاه إلى الشرق أو الغرب الإسلاميين.

ومن خلال مجريات البحث لاحظنا هدوء الساحة الإفريقية من الهجمات الفرنجية بعد تحرير الموحدين للمهدية في سنة الأخماس (555هـ/1160م)، هذا إن دل على شيء يدل على مدى قوة الدولة الموحدية التي حمت المنطقة من الهجوم الفرنجي حتى قيام الدولة الحفصية، التي شهدت قدوم حملة لويس التاسع(668هـ / 1270م)، ومن القضايا الأخرى التي طرحناها أيضاً أن الأسباب الدينية لحملة لويس على تونس لم تكن هي الرئيسية بل لربما كانت قناعاً لتبرير الحملة بدليل فتور الروح الفرنجية في نفوس الأوربيين، وأن الأسباب الاقتصادية والاستراتيجية هي من الأسباب الرئيسية للحملة، كذلك محاولة الالتفاف من الغرب لضرب قلب المقاومة الإسلامية في مصر، وخاصة بعد سقوط إنطاكية الحدث الذي هز العالم الفرنجي، فتعالت نتيجة لذلك الأصوات لتوجيه حملة انتقامية تمثلت بحملة لويس، كذلك لا يمكن أن ننكر دور شارل أخ لويس في تغيير مسار الحملة لتحقيق مكاسب سياسية واقتصادية .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كذلك سلطنا الضوء على دور المدن التجارية الإيطالية في أحداث المنطقة، وخاصة جنوى التي شاركت مشاركة فاعلة في حملة لويس، ومن ثم محاولتها احتلال طرابلس وجربة أو حتى مشاركتها في حملة لويس دي بوربون على المهدية (793هـ/1390م)، كما اتضح معنا قضية هامة وهي دخول أرغونة بقوة إلى الساحة الفرنجية وظهور أطماعها في القرن (7هـ / 13م)، ومحاولتها استغلال الولاة الثائرين للوصول إلى الشمال الإفريقي، وجعلة منطلقاً للتوسع في المنطقة، كذلك لاحظنا اتباع اسلوب سلمي في الحرب الفرنجية يبتعد عن الأسلوب العسكري وهو التنصير والتبشير، والتي ظهرت بشكل واضح بجهود رامون لول وغيره من المبشرين، إلا أنه أثبتنا تمسك مسلمي إفريقية بدينهم ورفضهم هذا المخطط بدليل بطلان أكذوبة تنصير المستنصر، ومراوغة ابن اللحياني، ومن ثم التصدي لمحاولات رامون لول التبشيرية.

كما تناولنا قضية القرصنة الإسلامية، وأثبتنا أنها أعمال جهاد ودفاع عن النفس، كذلك رأينا تحول الحملات العسكرية الفرنجية إلى أعمال قرصنة وغارات قامت بها كل من أرغونة وصقلية في القرن (8 هـ / 14م) ويبدو أن الوضع السياسي التي عاشتها أوربا في تلك الحقبة فرض عليها هذا الأسلوب إلا أنه في الثلث الأول من القرن (8هـ / 14م) تجددت الهجمات الفرنجية متمثلة بجنوى في هجومها على طرابلس (755هـ /1354م)، ومن ثم حملتها على جربة سنة (790هـ/ 1388م)، كما لاحظنا عودة فرنسا العمود الفقري لحروب الفرنجة متمثلة بحملة لويس البوربوني وترافقها جنوى التي حرضت على القيام بهذه الحملة، لكن ذلك لا ينفي رغبة فرنسا في إعادة أمجادها الفرنجية السالفة .

وفي نهاية المطاف يمكن القول إن هذه الحملات فشلت في تحقيق أهدافها السياسية في السيطرة على المنطقة لجعلها قاعدة ونقطة انطلاق تنطلق منها إلى المشرق العربي، كما فشلت دينياً في تحويل الشمال الإفريقي إلى أرض مسيحية، واقتصادياً فلم تنجح في السيطرة على ثروات البلاد أو تجارتها، إلا أن فشل هذه الحملات لايعني توقف عجلة الحروب الفرنجية بل شهد العالم أكبر الحملات الفرنجية المتأخرة وهي حملة نيكوبولس (799هـ / 1396م) والتي كان هدفها إخراج العثمانيين من شبه جزيرة البلقان ومحاولة لوصول إلى القدس، وكان مصيرها مصير غيرها من الحملات الفشل الذريع.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الملاحق

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

شجرة نسب بنو زيري

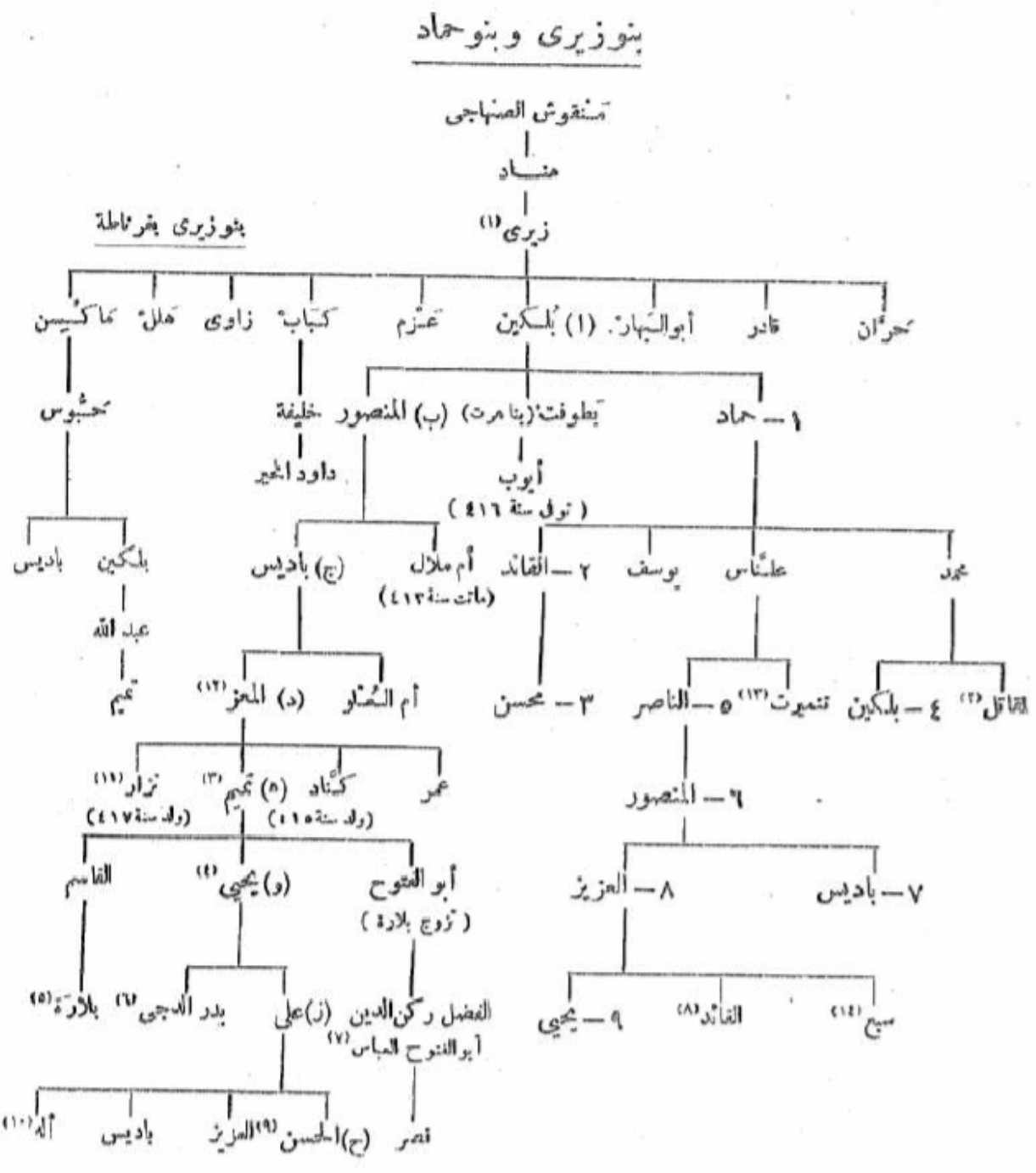

نقلاً عن (زامباور): معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي، أخرجه: زكي محمد حسن بك وحسن أحمد محمود، دار الرائد العربي، بيروت، (1400هـ / 1980م)، ص111.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

شجرة نسب بنوحفص

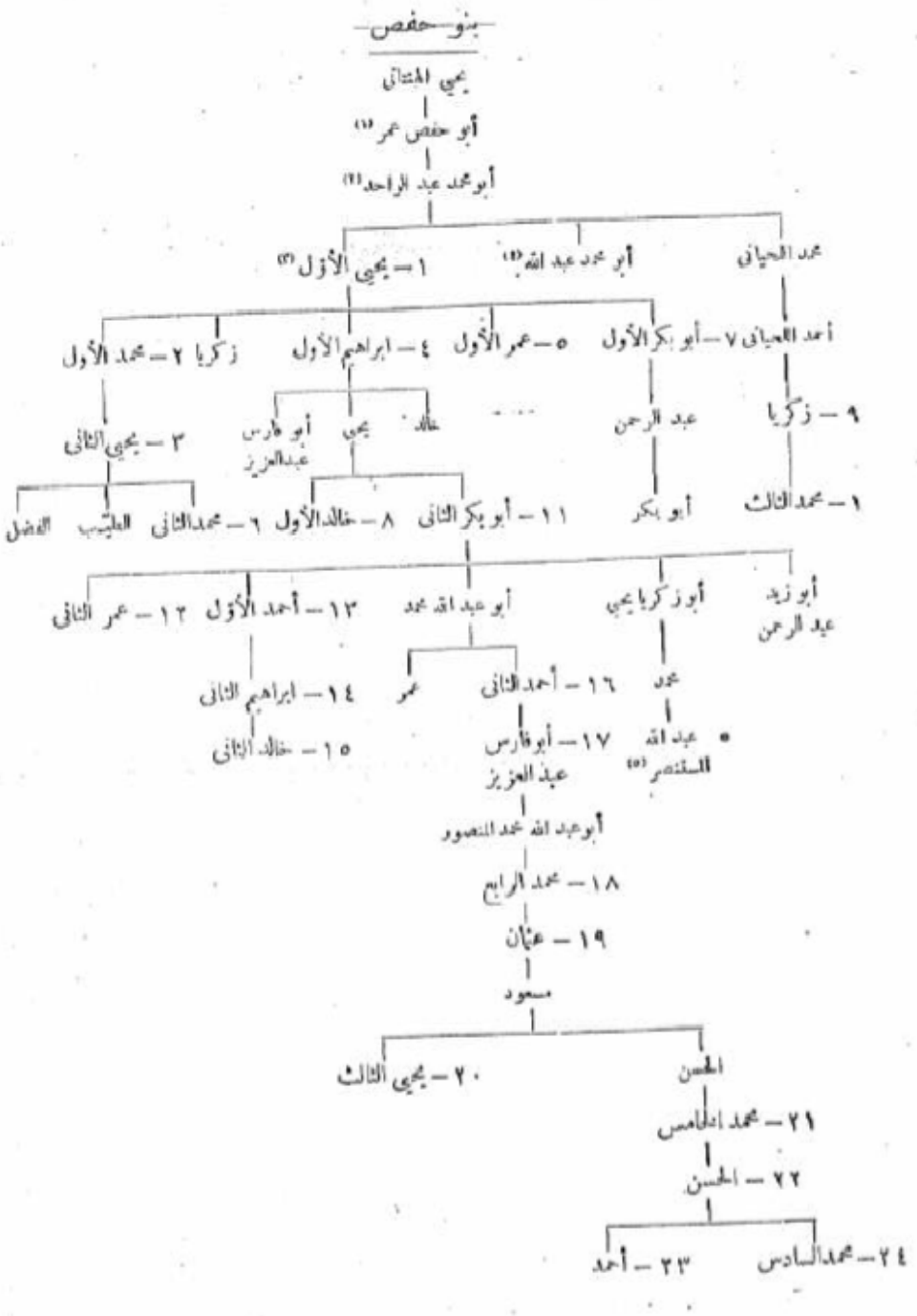

(زامباور): المرجع السالف، ص117.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

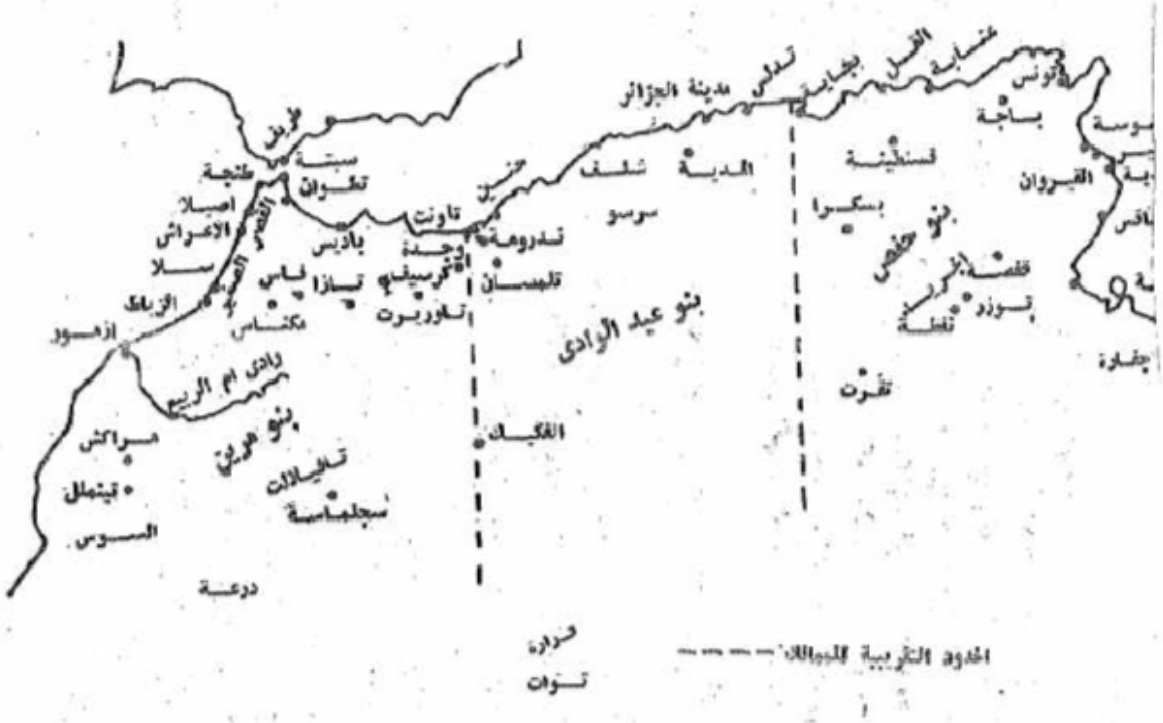

شكل 17 ـ المغرب في نهاية القرن الثالث عشر .

نقلاً عن (جوليان، شارل اندريه): المرجع السالف، ص174.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

حملة لويس التاسع إلى تونس

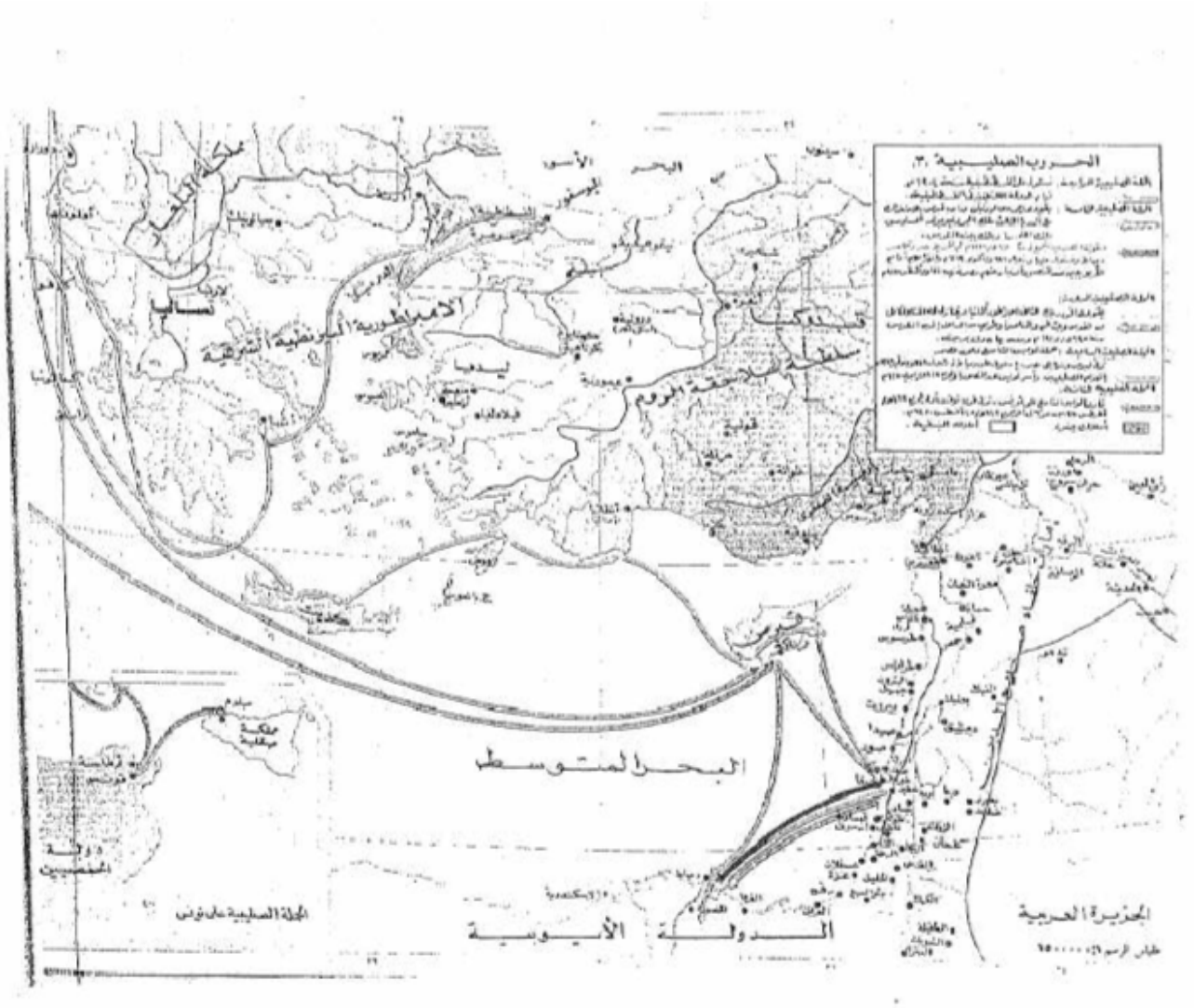

نقلاً عن (مؤنس، حسين): أطلس تاريخ الإسلام، ط1، الزهراءللإعلام العربي، القاهرة، (1987م)، ص265.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تونس وقت وصول الحملة

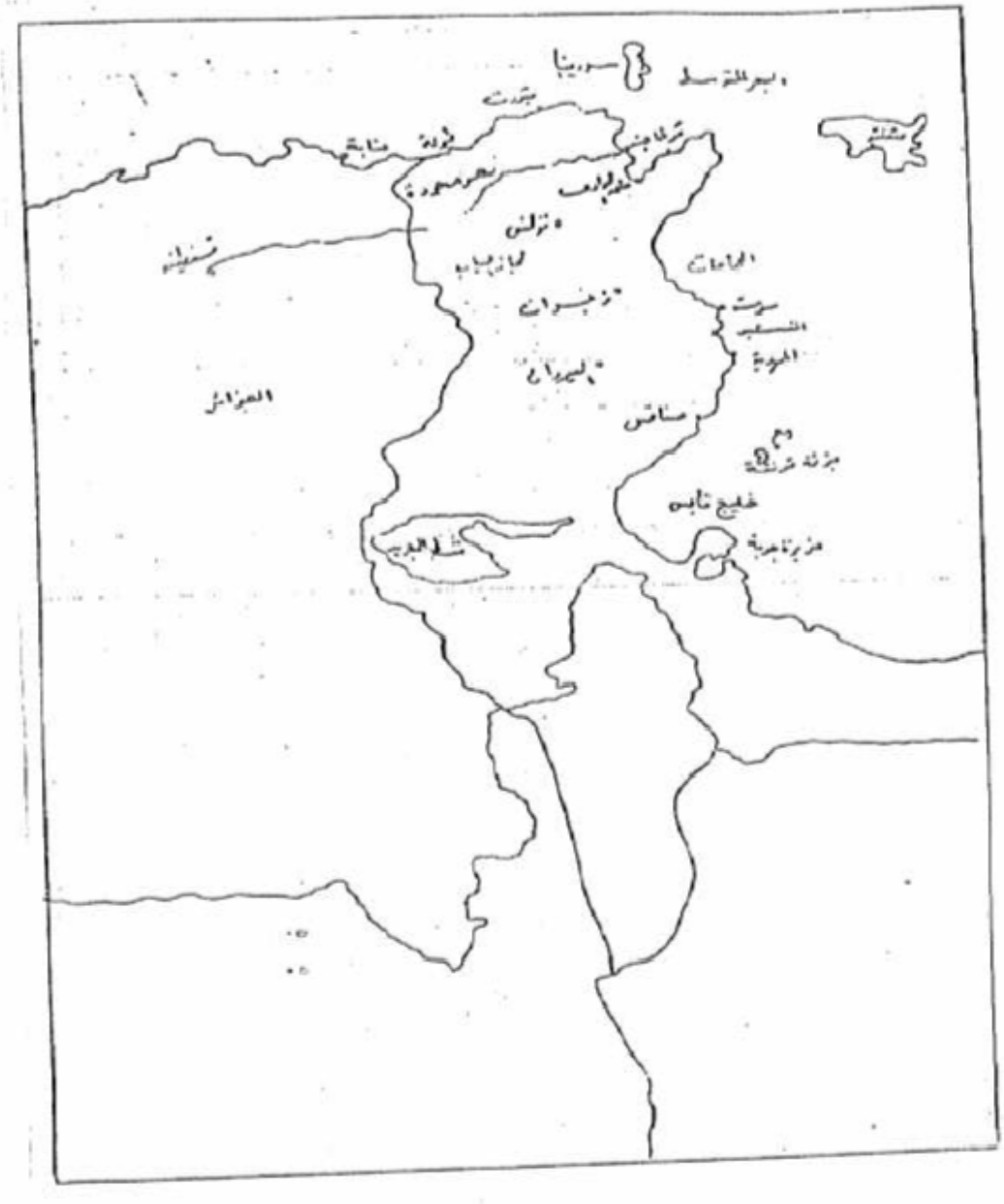

نقلاً عن (عامر، سامية): المرجع السالف، ص229.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

خريطة توضح سير الحملة من ميناء إجمورت بفرنسا وحتى ميناء قرطاجة

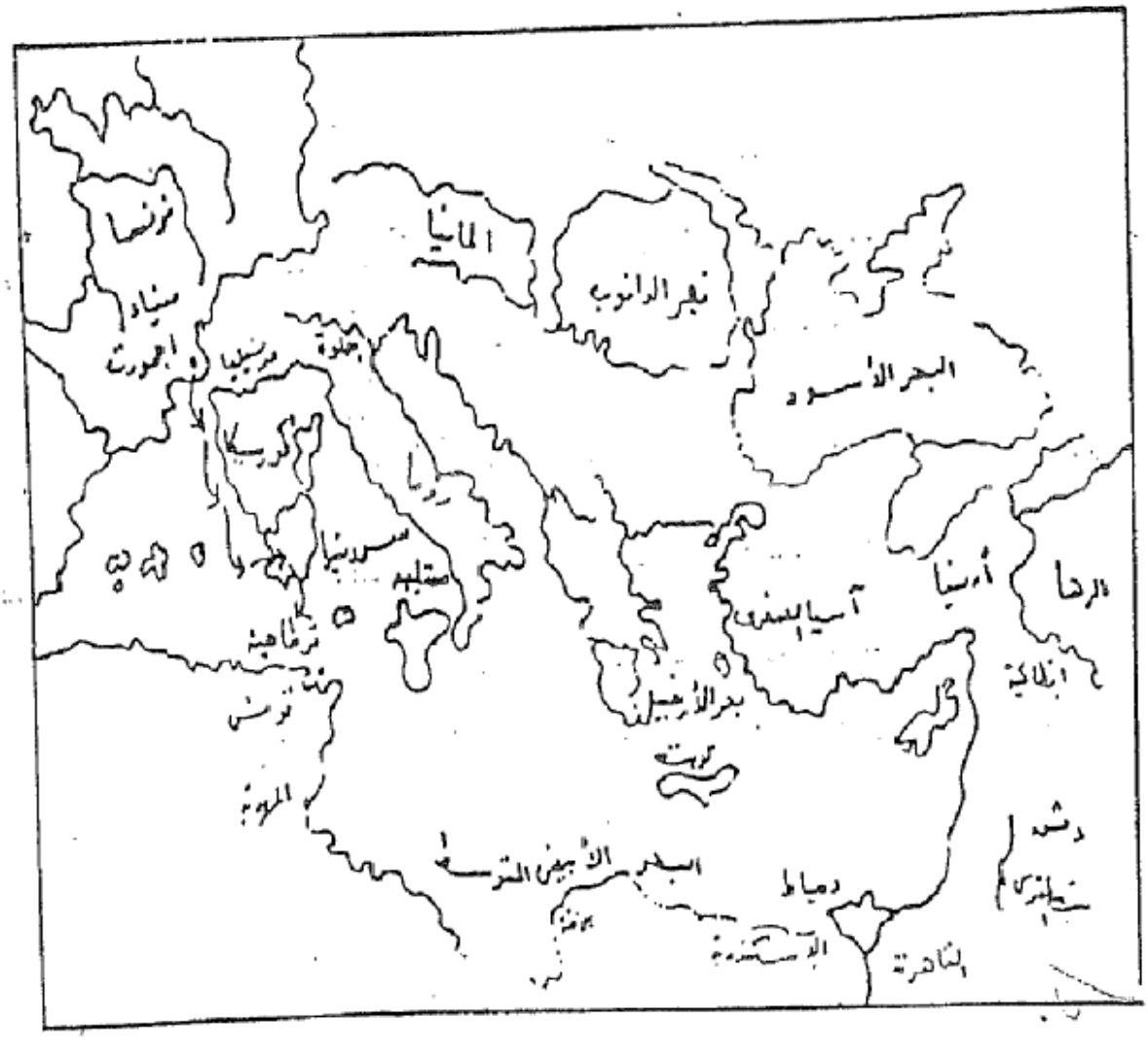

نقلاً عن (عامر، سامية): المرجع السالف، ص231.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

خريطة توضح خط سير الحملة أثناء عودتها من قرطاجة إلى أوربا

نقلاً عن (عامر، سامية): المرجع السالف، ص234.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

خريطة حملة لويس البوربوني على المهدية

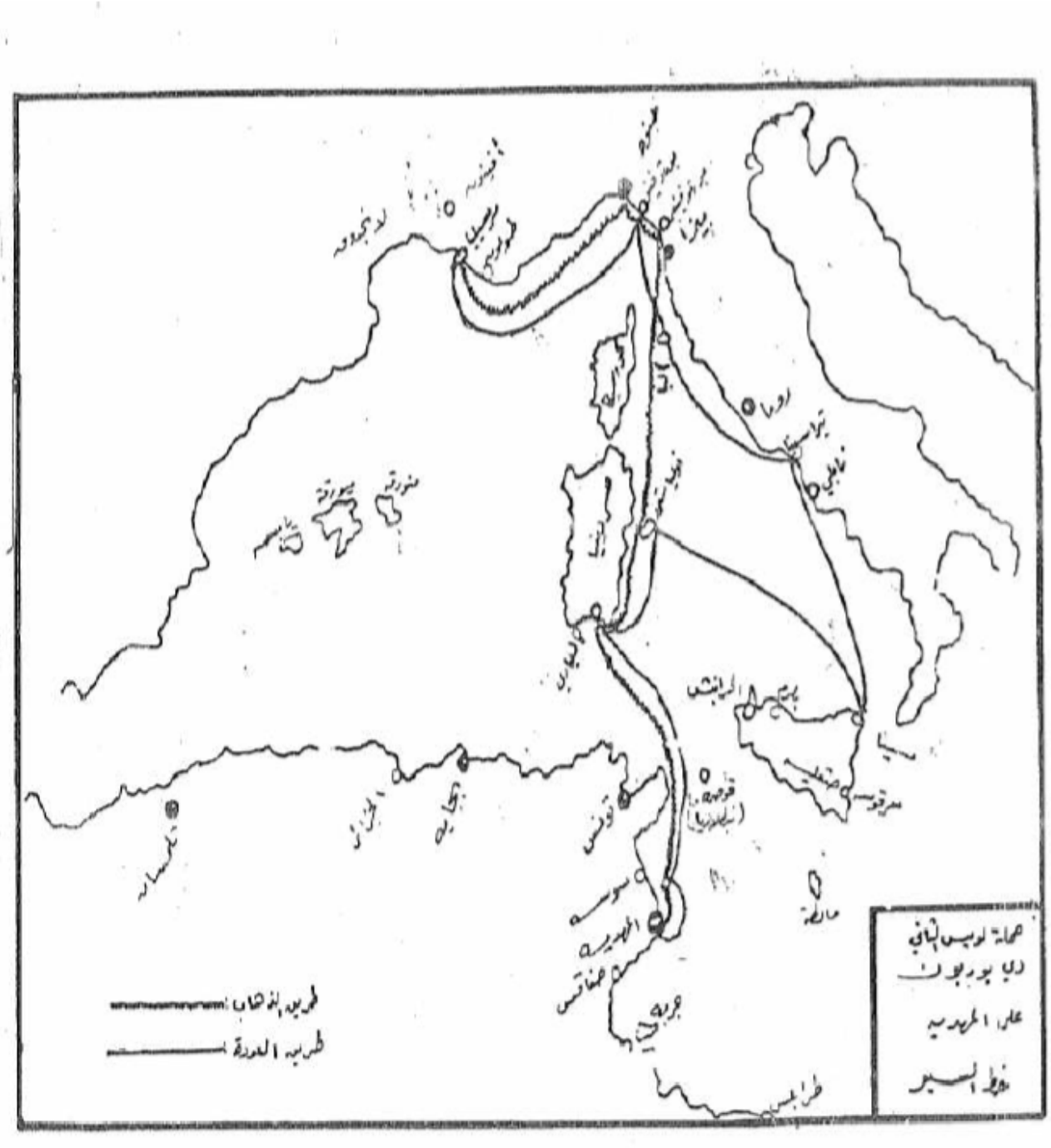

نقلاً عن (حسين، ممدوح): المرجع السابق، ص755.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قائمة المصادر:

1. القرآن الكريم.
2. ابن الآبار، أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي (ت658هـ / 1260م): الحلة السيراء، تح: حسين مؤنس، الشركة العربية للطباعة والنشر، القاهرة، (د.ت).
3. ابن أبي دينار، أبي محمد بن أبي القاسم الرعيني القيرواني (عاش في أواخر القرن 11 هـ / 17 م): المؤنس في أخبار أفريقيا و المغرب، ط1، مطبعة الدار التونسية تونس، (1286هـ /1869م).
4. ابن أبي زرع، علي بن محمد (ت 726 هـ / 1325 م): الأنيس المطرب وروض القرطاس في أخبار المغرب وتاريخ مدينة فاس، (د.ن)، (د.م) ، (1887م).
5. ابن أبي الضياف، أحمد (ت 1291 هـ / 1874 م):إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان، تح: لجنة من وزارة الشؤون الثقافية، الدار العربية للكتاب، (د.م)، (1999م).
6. ابن الأثير، عز الدين أبي الحسن بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني (ت 630 هـ / 1232 م): الكامل في التاريخ، دار صادر، بيروت، (1386هـ/ 1966م).
7. الإدريسي، أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس (ت 562 هـ /1164 م): نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، (د.ن)، (د.م)، (د.ت).
8. الإصطرخي، أبي اسحق إبراهيم بن محمد الفاسي (ت 346 هـ/ 957 م): كتاب مسالك الممالك، تح: محمد جابر عبد العال الحيني، دار القلم، القاهرة، (1381هـ / 1961م).
9. الأنصاري، شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي طالب الدمشقي المعروف بشيخ الربوة (ت727هـ /1326م): نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، مكتبة المثنى، بغداد، (د.ت).
10. نفحات النسرين والريحان فيمن كان بطرابلس من الأعيان، تقديم: محمد زينهم محمد عزب، دار الفرجاني للنشر والتوزيع، القاهرة، (1994م).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

11. ابن إياس الحنفي، محمد بن أحمد (ت930هـ /1523م): بدائع الزهور في وقائع الدهور، تح: محمد مصطفى، ط2، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، (1402هـ/ 1982م).
12. ابن ايبك الدواداري، أبي بكر بن عبد الله: كنز الدرر وجامع الغرر (الدرة الزكية في أخبار الدولة التركية)، تح: أولرخ هارمان، قسم الدراسات الإسلامية، القاهرة، (1971م).
13. ابن أيوب، عماد الدين إسماعيل بن الملك الأفضل نور الدين علي بن جمال الدين بن محمد بن عمر بن شاهنشاه : كتاب تقويم البلدان، صححه: رينود، دار الطباعة السلطانية، باريس المحروسة، (1840م).
14. ابن بطوطة، أبو عبد الله محمد بن إبراهيم (ت 779 هـ / 1377 م): رحلة ابن بطوطة، شرحه: طلال حرب، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ت).
15. البغدادي، صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق : مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، تح: علي محمد البجاوي، ط1، دار الجيل، بيروت، (1412هـ / 1992 م).
16. التجاني، أبو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد (ت حوالي 717هـ / 1320م): رحلة التجاني، قدم لها: حسن حسني عبد الوهاب، المطبعة الرسمية، تونس، (1377هـ /1928 م)
17. الترجمان، أبي محمد عبد الله (ت 832هـ / 1429م): تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب، تح: عمر وفيق الداعوق، ط1، دار البشائر الإسلامية، بيروت، (1408هـ/1988م).
18. ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف الأتابكي (ت874 هـ/1469 م): النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، المؤسسة المصرية العامة، القاهرة، (د.ت).
19. الدليل الشافي على المنهل الصافي، تح: فهيم محمد شلتوت، ط2، دار الكتب المصرية، القاهرة، (1998م).
20. ابن جبير، أبو الحسن محمد بن أحمد (ت 614 هـ / 1217 م): رحلة ابن جبير، تح : حين نصار، مكتبة نصر، القاهرة، (1992م).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

21. الحشائشي، محمد بن عثمان (ت 1335 هـ / 1916م): الرحلة الصحراوية، تح: محمد المرزوقي الدار التونسية للنشر، تونس، (1988م).
22. الحموي، شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله (ت 626 هـ / 1228 م): معجم البلدان، ط3، دار صادر، بيروت، (2007 م).
23. الحميري، محمد بن عبد المنعم (955 هـ / 1548 م): الروض المعطار في خبر الأقطار، تح: إحسان عباس، ط2، مؤسسة ناصر للثقافة، (د.م)، (1980م).
24. ابن حوقل، أبي القاسم النصيبي (ت 367هـ / 977م): صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، (1979م).
25. ابن الخطيب، لسان الدين (ت776هـ / 1375م): الإحاطة في أخبار غرناطة، تح: محمد عبد الله عنان، ط1، مكتبة الخانجي، القاهرة، (1395هـ/ 1975م).
26. ابن خلدون، عبد الرحمن (ت 808هـ / 1405م): ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، (1391 هـ / 1971 م).
27. ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ط1، دار الفكر، بيروت، (1989م).
28. ابن خلكان، أبي العباس شمس الدين احمد بن محمد بن أبي بكر (681هـ / 1282م): وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت (1970م).
29. الذهبي، الحافظ (ت 748هـ /1347م): العبر في أخبار من عبر، تح: أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ت).
30. الزركشي، أبو عبد الله محمد بن إبراهيم اللولي (ت 894هـ / 1488م): تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، ط1، مطبعة الدول التونسية المحروسة، تونس، (1289هـ).
31. زكار، سهيل: الإعلام و التبين في خروج الفرنج الملاعين على ديار المسلمين، مكتبة دار الملاح، دمشق، (1401هـ/ 1981م).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

32. ابن سباط، حمزة بن أحمد بن عمر (ت926هـ / 1520م): تاريخ ابن سباط، تح: عمر عبد السلام تدمري، ط1، جروس برس، طرابلس لبنان، (1423هـ/ 1993م).
33. ابن شاهين، غرس الدين خليل (ت782هـ/ 1467م): زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك، صححه: بولس راويس، المطبعة الجمهورية، باريس، (1894م).
34. ابن الشماع، أبو عبد الله محمد بن أحمد (869هـ / 1464م): الأدلة البيانية النورانية في مفاخر الدولة الحفصية، تح: الظاهر محمد العموري، الدار العربية للكتاب، تونس، (1984م).
35. الصنهاجي، أبو بكر بن علي المكنى بالبيذق: كتاب المهدي بن تومرت، تح : عبد الحميد حاجيات، ط2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، (1986م).
36. الصيرفي، علي بن داوود (ت900هـ / 1500م): نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان، تح: حسن حبشي، مطبعة دار الكتب، (1970م).
37. العبدري، أبي عبد الله محمد بن محمد بن علي بن أحمد بن سعود (ت 700هـ / 1300م): رحلة العبدري، تح: علي إبراهيم كردي، ط1، دار سعد الدين، دمشق، (1419هـ / 1999م).
38. بن عبد الظاهر، محي الدين (ت692هـ /1292م): الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر، تح: عبد العزيز الخويطر، ط1، (د.ن)، (د.م)، (1396هـ / 1976م).
39. ابن عذارى المراكشي، أحمد (ت 712هـ / 1312م): البيان المغرب في أخبار المغرب، دار صادر، بيروت، (د.ت).
40. العسقلاني، شهاب الدين أحمد بن حجر(ت 852 هـ / 1448 م): الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تح: محمد سيد جاد الحق، ط2، دار الكتب الحديثة، القاهرة، (1966م).
41. أنباء العمر بأنباء العمر، تح: حسن حبشي، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، (1389هـ /1969م).
42. ابن العماد، أبي الفلاح عبد الحي (ت1089هـ / 1678م): شذرات الذهب في أخبار من ذهب مكتبة المقدسي، القاهرة، (1305هـ/1887م).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

43. العمري، شهاب الدين أحمد بن يحيى بن فضل الله: مسالك الأبصارفي ممالك الأمصار ،تح: حمزةعباس، ط1،المجمع الثقافي، أبوظبي،(2002م).
44. الغبريني، أبي العباس أحمد بن أحمد (ت704هـ / 1304م): عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تح: رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، (د.ت).
45. ابن غلبون، أبو عبد الله بن خليل بن عبد الرحمن الطرابلسي (ت 1177هـ / 1763م): التذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من أخبار، تح: الطاهر أحمد الزاوي المطبعة السلفية، القاهرة، (1349هـ).
46. أبي الفداء، عماد الدين إسماعيل (ت 732هـ /1331م): المختصر في أخبار البشر، دار المعرفة بيروت ، (د.ت).
47. ابن الفقيه، أحمد بن محمد الهمذاني: مختصر كتاب البلدان ، مطبع بريل في ليدن المحروسة ، (1302 هـ).
48. القرماني، أحمد بن يوسف (ت1019هـ / 1610م): أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ، تح: أحمد حطيط ، ط1، عالم الكتب، بيروت، (1412هـ/1992م).
49. القزويني، أبو عبد الله زكريا بن محمد بن محمود (ت682هـ / 1283م): آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، (1970م).
50. ابن القطان المراكشي، أبي محمد حسن بن علي بن محمد بن عبد الملك الكتامي: نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان ،(كان على قيد حتى النصف الثاني من المئة السابعة الهجرية)، تح : محمود علي مكي ، ط1، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، (1990م).
51. القلقشندي، أبي العباس أحمد بن علي(ت 821هـ / 1418م): نهاية الأرب في معرفة أحوال العرب ، تح : إبراهيم الابياري ، ط 1، الشركة العربية للطباعة والنشر القاهرة ، (1959م).
52. قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان ، تح: إبراهيم الإبياري ، ط2، دار الكتاب العربي بيروت (1402هـ /1982م).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

53. مآثر الأنافة في معالم الخلافة ، تح : عبد الستار أحمد فراج ، ط2، مطبعة حكومة الكويت ، (1985م).
54. ابن قنفذ، أبو العباس أحمد بن حسين بن علي بن الخطيب القسطنطيني (ت 810 هـ/ 1407 م): الفاسية في مبادئ الدولة الحفصية، تح: محمد الشاذلي النيفر، عبد المجيد التركي، الدار التونسية للنشر، تونس، (1968م).
55. الكتبي، محمد بن شاكر بن أحمد (ت 764هـ / 1362م): فوات الوفيات ، تح : محمد محي الدين عبد الحميد ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، (د.ت).
56. ابن كثير، أبو الفداء الحافظ (ت 774هـ / 1372م):البداية والنهاية، ط1، مكتبة المعارف، بيروت، (1966م).
57. مخلوف، محمد بن محمد: شجرة النور الذكية في طبقات المالكية، دار الكتاب العربي، بيروت، (1350 هـ).
58. المراكشي، أبي محمد عبد الواحد بن علي (ت 647هـ / 1249م): المعجب في تلخيص أخبار المغرب، شرحه: صلاح الدين الهواري، ط1، المكتبة العصرية، بيروت (1426هـ /2006م).
59. المغربي، ابن سعيد (ت 685هـ / 1286م): المغرب في حلى المغرب، تح : شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، (1995م).
60. المقدسي، شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر(ت 380هـ / 999م): كتاب أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ط2، مطبعة بريل، ليدن المحروسة، (1909م).
61. مقديش، محمود بن سعيد (ت 1228هـ / 1813م): نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار تح: علي الزاوري، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، (1988 م).
62. المقري، أحمد بن محمد (ت 1041هـ / 1631م): نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، ط1، مطبعة السعادة، القاهرة، (1367هـ / 1949م).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

63. المقريـزي، أحمـد بـن علـي (ت 845هـ / 1441م): كتـاب السـلوك لمعرفـة دول الملوك، صححه: محمد مصطفى زيادة، ط2، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، (1957م).
64. مؤلف مجهول (مؤلف أندلسي من أهل القرن الثامن الهجري): الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تح: سهيل زكار، ط1، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، (1399هـ / 1979م).
65. النائب الأنصاري، أحمد بك (ت 1335 هـ / 1916 م): المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب، مطبعة جمال أفندي، (د.م)، (1317هـ/ 1899م).
66. ابن الوردي، زين الدين عمر (ت 749هـ / 1148م): تتمة المختصر في أخبار البشر، تح: أحمد رفعت البدراوي، ط1، دار المعرفة، بيروت، (د.ت).
67. ابن الوردي، سراج الدين أبي حفص عمر (ت861هـ / 1455م): خريدة العجائب وفريدة الغرائب، صححه: محمود فاخوري، دار الشرق العربي، حلب، (1991م).
68. الوزير السراج، محمد بن محمد الأندلسي (ت1149هـ / 1736م): الحل السندسية في الأخبار التونسية، تح: محمد الحبيب الهيلة، الدار التونسية، تونس، (1970م).
69. الوزان، الحسن بن محمد الفاسي المعروف بليون الأفريقي (ت 957هـ / 1550م): وصف أفريقيا، تر: محمد حجي، ومحمد الأخضر، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، (1983م).
70. اليونيني، قطب الدين موسى بن محمد (ت 726هـ / 1325م): ذيل مرآة الزمان، ط2، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، (1413هـ/ 1992م).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قائمة المراجع:

1. أحمد، عزيز: تاريخ صقلية الإسلامية، تر: أمين توفيق الطيبي، الدار العربية للكتاب، طرابلس، (1980م).
2. أحمد ، علي: تاريخ المغرب الإسلامي ، منشورات جامعة دمشق ، (1991-1992م).
3. بردج، انتوني: تاريخ الحروب االصليبية، نقله إلى العربية: أحمد غسان سبانو ،راجعه: سهيل زكار، دار قتيبة، دمشق، (1985م).
4. برنشفيك، روبار: تاريخ أفريقيا في العهد الحفصي، تر: حمادي الساحلي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، (1988م).
5. التليسي، خليفة محمد: حكاية مدينة، الدار العربية للكتاب، طرابلس، (1974م).
6. التميمي، رفيق: الحروب الصليبية، ط1، مطبعة اللواء، القدس، (1945م).
7. جوليان، شارل اندريه: تاريخ إفريقية الشمالية، تر: محمد مزالي، الدار التونسية، فيفري، (1983م).
8. الجيلالي، عبد الرحمن بن محمد: تاريخ الجزائر العام، ط1، دار الثقافة، بيروت، (1403هـ/1983م).
9. الحريري، سيد علي: الحروب االصليبية، تح: عصام محمد شبارو، ط1، دار التضامن، بيروت، (1988م).
10. الأخبار السنية في الحروب الصليبية، ط2، مطبعة النيل، القاهرة،(1911م).
11. الحريري، محمد عيسى: تاريخ المغرب والأندلس في العصر المريني، ط2، دار القلم للنشر والتوزيع، الكويت، (1987م).
12. حسين، ممدوح: الحروب الصليبية في شمال أفريقيا و أثرها الحضاري، ط1، دار عمار، عمان، (1419 هـ/1998م).
13. الخوري، سليم: تاريخ فرنسا، مطبعة العرفان، صيدا، (1344هـ/ 1925م).
14. الدوري، تقي الدين عارف: دراسات في تاريخ العرب وحضارتهم في صقلية، منشورات جامعة ناصر الخامس، ليبيا، (1997م).
15. الدولاتلي، عبد العزيز: مدينة تونس في العهد الحفصي، تر: محمد الشابي، دار سراس، تونس، (1981م).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

16. ديوانت، ول: قصة الحضارة، تر: محمد بدران، لجنة التأليف والترجمة والنشر، جامعة الدول العربية، (د.ت).
17. رشدي، راسم: طرابلس الغرب بين الماضي والحاضر، ط1،طرابلس الغرب، (1953م).
18. رمضان، عبد العظيم: الصراع بين العرب وأوربا، دار المعارف، القاهرة، (1983م).
19. رنسيمان، ستيفن: تاريخ الحروب االصليبية، تر: السيد الباز العريني، دار الثقافة، بيروت، (1977م).
20. تاريخ الحروب االصليبية، تر: نور ادين خليل، مكتبة الشروق،القاهرة، (1989م).
21. زابوروف، ميخائيل: الصليبيون في الشرق، تر: الياس شاهين، دار التقدم، موسكو،(1986م).
22. زامباور: معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي، أخرجه: زكي محمد حسن بك وحسن أحمد محمود، دار الرائد العربي، بيروت، (1400هـ / 1980م)
23. الزاوي، أحمد الطاهر: تاريخ الفتح العربي في ليبيا، دار التراث العربي، ليبيا، (1969م).
24. الزايدي، محمد أنويجي غميض: إقليم طرابلس في القرن الثامن الهجري، بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه في تاريخ العرب والإسلام، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، دمشق، (2007م).
25. الزركلي، خير الدين: الأعلام، ط5، دار العلم للملايين، بيروت، (1980م).
26. زكار، سهيل: الموسوعة الشاملة في تاريخ الحروب الصليبية، دار الفكر، دمشق، (1416هـ/1995م)،ج2.
27. الموسوعة الشاملة في تاريخ الحروب الصليبية (الإعلام و التبين في خروج الفرنج الملاعين على ديار المسلمين)، دارالفكر للطباعة والنشر، دمشق، (1995م)، ج23.
28. الموسوعة الشاملة في تاريخ الحروب الصليبية (حياة القديس لويس لجوانفيل)، دار الفكر، دمشق، (1999م)، ج36.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

29. الموسوعة الشاملة في تاريخ الحروب الصليبية (الأسرار لمارينو سانوتو)، دار الفكر، دمشق، (1999م)، ج38.
30. الموسوعة الشاملة في تاريخ الحروب الصليبية (ذيل تاريخ متى باريس)، دارالفكر للطباعة والنشر، دمشق، (2001م)،ج50.
31. الموسوعة الشاملة في تاريخ الحروب الصليبية (الحروب الصليبية المتأخرة)، دارالفكر للطباعة والنشر، دمشق، (2008م)،ج53.
32. حروب الفرنجة (الصليبية)، منشورات جامعة دمشق، دمشق، (2004 . 2005م).
33. الزيدي، مفيد: موسوعة تاريخ الحروب الصليبية، ط1، دار أسامة، الأردن، عمان، (2004م).
34. سالم، السيد عبد العزيز: تاريخ المغرب الكبير، دار النهضة العربية، بيروت، (1981م).
35. ستودار، لوثروب: حاضر العالم الإسلامي، نقله إلى العربية: عجاج بويهص، ط3، دار الفكر، (د.م)، (1391هـ/1971م).
36. شاكر، أمين وآخرون: شمال إفريقية بين الماضي والحاضر، دار المعارف، مصر، (د. ت).
37. الشريف، محمد الهادي: تاريخ تونس، تر: محمد الشاوش، ط2، دار سراس، تونس، (1985 م).
38. سعيدان، عمر: علاقات اسبانيا القطلانية بالحفصيين في الثلثين الأول والثاني من القرن الرابع عشر، ط1، منشورات سعيدان، سوسة، (2002م)
39. شلبي، أحمد: الحروب الصليبية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، (د.ت).
40. موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة العربية، ط4، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، (1975م).
41. شيخة، جمعة: قرقنة وجربة في كتب الرحلات، ط1، المطبعة المغاربية، تونس، (1415هـ/1994م).
42. الصلابي، علي محمد: تاريخ المرابطين والموحدين، ط2، دار المعرفة، بيروت، (1426هـ / 2005م).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

43. طرخان، إبراهيم علي: المسلمون في أوربا في العصور الوسطى، مؤسسة سجل العرب، القاهرة، (1966م).
44. طقوش، محمد سهيل: تاريخ الفاطميين في شمالي أفريقيا ومصر و بلاد الشام، ط1، دار النفائس، بيروت، (1422 هـ / 2001 م).
45. ضيف، شوقي:عصر الدول الإمارات ليبيا تونس صقلية، دار المعارف، القاهرة، (1992م).
46. عاشور، محمد سعيد عبد الفتاح: الظاهر بيبرس، كلية الآداب، القاهرة، (1382هـ /1963م).
47. الحركة الصليبية، ط2، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، (1999م).
48. أضواء جديدة على الحركة الصليبية، دار القلم، القاهرة، (1964م).
49. بن عامر، أحمد: الدولة الصنهاجية، الدار التونسية للنشر، تونس، (1390هـ/1970 م).
50. عامر، سامية: الصليبيون في شمال إفريقية، ط1، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، بور سعيد، (2002م).
51. العبادي، أحمد مختار: قيام دولة المماليك الأولى في مصر والشام، دار النهضة العربية، بيروت، (1406هـ/ 1986م).
52. عبد القوي، زينب عبد المجيد: الإنكليزوالحروب الصليبية، ط1، عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية، بورسعيد، (1966م).
53. عبد الوهاب، حسن حسني: خلاصة تاريخ تونس، ط3، دار الكتب العلمية العربية الشرقية، تونس، (1373هـ).
54. العدوي، أحمد إبراهيم: بلاد الجزائر تكوينها الإسلامي والعربي، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، (1399هـ/ 1970م).
55. عطية، عزيز سوريال: الحروب الصليبية وتأثيرها على العلاقات بين الشرق والغرب، تر: فيليب صابر سيف، ط2، دار الثقافة، القاهرة، (1952م).
56. عودات، أحمد وآخرون: تاريخ المغرب والأندلس من القرن السادس إلى القرن العاشر الهجريين، دار الأمل، عمان، (1989م).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

57. عوض، محمد مؤنس أحمد: الحروب الصليبية العلاقات بين الشرق والغرب ، ط1، عين للدر اسات والبحوث الانسانية والاجتماعية، بورسعيد، (1999. 2000م).
58. الغتيت، محمد علي: الغرب والشرق من الحروب الصليبية إلى حرب السويس ، ،الدار القومية ، القاهرة ، (1975م).
59. غنيم ،اسمت: دراسات في تاريخ العصور الوسطى، جامعة الاسكندرية، (1992م).
60. الغنيمي، عبد الحميد المقلد: موسوعة تاريخ المغرب العربي، ط1، مكتبة المدبولي القاهرة، (1414هـ /1994م).
61. فشر، هـ.ا.ل: تاريخ أوربا في العصور الوسطى، تر: محمد مصطفى زيادة وآخرون، دار المعارف، مصر، (د.ت).
62. فيرو، شارل: الحوليات الليبية منذ الفتح العربي حتى الغزو الإيطالي، تح: محمد عبد الكريم الوافي، ط2، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس، (1389هـ/1983م).
63. قاسم، عبده قاسم: ماهية الحروب الصليبية، المجلس الوطني للثقافة والفنون الآداب، الكويت، (1410هـ /1990م).
64. الكعاك، عثمان: البربر، ط1، كتاب البعث (الكتاب الخامس)، فيفري، (1956م).
65. الكناني، مصطفى محمد حسن: حملة لويس التاسع الصليبية، توزيع منشأة المعارف الإسلامية، الإسكندرية، (د.ت).
66. المدني، أحمد توفيق: المسلمون في جزيرة صقلية وجنوب إيطالية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، (1365هـ/ 1945م).
67. حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا (1492.1792)، ط2، الشركة الوطنية للنشر، الجزائر، (1976م).
68. المطوي، محمد العروسي: السلطنة الحفصية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، (1986م).
69. الحروب الصليبية في المشرق والمغرب، دار الغرب الإسلامي، بيروت، (د.ت).
70. المطوي، عبد المجيد: كتاب البعث تونس وفرنسا، الكتاب 17، (د.ن)، (د.م)، (1957م).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

71. معلوف، أمين: الحروب الصليبية كما رآها العرب، تر: عفيف دمشقية، ط1، دارالفارابي، بيروت، الجزائر، (1977م).
72. (مونتريل،جيراداوب): الحروب الصليبية أعمال ودراسات (أعمال القبارصة)، تر: سهيل زكار، ط1، دمشق،(2008م)،
73. مونرود، مكسيموس: تاريخ الحروب المقدسة في المشرق والمغرب، طبع في دير الرهبان الفرنسيسكان، أورشليم، (1865م).
74. مؤنس، حسين: تاريخ المغرب وحضارته، ط1، العصر الحديث للنشر والتوزيع، بيروت، (1992م).
75. أطلس تاريخ الإسلام، ط1، الزهراءللإعلام العربي، القاهرة، (1987م).
76. نيابي، ج.ت: تاريخ إفريقيا العام، اللجنة العلمية والدولية لتحرير تاريخ إفريقيا العام، اليونسكو، (د.ت).
77. النيفر، محمد: عنوان الأريب عما نشأ بالمملك من عالم وأديب، المطبعة التونسية، تونس، (1351هـ).
78. هاوس، سوفينير بوك: موسوعة عالم البلدان(بلدان المغرب العربي)، دار الراتب الجامعية، بيروت، (د.ت).
79. يوسف، جوزيف نسيم: العدوان الصليبي على بلاد الشام، ط1، دار الكتب الجامعية، الاسكندرية، (1971م).
80. تاريخنا الكتاب الرابع (ليبيا): دار التراث، (د.م)، (1977م).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المراجع الأجنبية:

1-A.pavy :Histoire de la tunisie, 2Edition, Editions Bouslam

2-Dubyde,gorge:histoire de monde lemoyen age ,larersse, p367

3-Castelot, Andre: Histoire de la France et des Francais au Jour librairie academique perrin, larousse, 1979.

4-Sicard, Ernest: Easy French History, Chicago, scott, 1901.

المواقع على الانترنت:

1- م2010/12 /2 http:/www.islamstory.com

2-م2011/7/12http://tablat.ahladalil.com/t11303-topic

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit